جامعة دمشق
كلية الآداب
قسم التاريخ

# مملكة حماة الأيوبية

رسالة جامعية أعدت لنيل شهادة الماجستير في تاريخ
العرب والاسلام

اعداد
أحمد غسان سبانو

بإشراف
الأستاذ الدكتور سهيل زكار

دمشق ١٩٨٤



الى الأخضر بن عادل

جمعنا كهف سهيل

وفرقنا كهف الأبدية

## تنويه

لا بد لي من الاعتراف بالفضل والامتنان لمن قدموا لي الكثيرمن المساعدات في سبيل اعداد هذه الرسالة ، ولعلي في هذا التنوية اقدم بعضاً مما علي تجاههم . وأخص بالذكر الاستاذ الدكتور سهيل زكار الذي كان له الفضل الاكبر والاوفى فيها :

# شرح اسماء المواقع التي وردت بالنص

اياس : محلة على شاطيء كليكية فوق الجانب الغربي لخليج الأسكندرون الشرقي عند مصب نهر جيحان (دائرة المعارف الإسلامية)

ايله : مدينة على ساحل بحر القلزم هي اخر الحجاز اول الشام (ايلات والعقبة) .

باناس : بانياس مدينة على الساحل السوري

بركة زيزا : زيزاء من قرى البلقاء (الأردن) يمر بها الحجاج ويقام لهم فيها سوق وفيها بركة عظيمة (ياقوت) .

بلبيس : مدينة بينها وبين فسطاط نحو عشرة فراسخ على طريق الشام من مصر (ياقوت)

تروجه : قرية بمصر من كورة البحيرة (بحيرة لوط) من أعمال الأسكندرية (ياقوت)

تيزين : قرية كبيرة من نواحب حلب كانت تعد من أعمال قنسرين ثم صارت من العواصم مع منبج (ياقوت) .

حصن المرقب : على الساحل السوري مطل على البحر بين طرسوس وطرابلس .

حياصة : بلدة من أعمال حلب

رابغ : موضع على طريق الحاج بين الابواء والجحفة (الحجاز) .

الزرقا : موضع بالشام بناحية معان (جنوب الأردن) والزرقاء أيضاً بين خناصرة وسورية من أعمال حلب وسلمية . (ياقوت) والمقصود هنا (القريبة من حلب) .

سرمين : بلدة مشهورة من أعمال حلب (ياقوت) .

سرياقوس : بليدة من نواحي القاهرة بمصر (ياقوت)

الشغر وبكاس : الشغر قلعة حصينة مقابلها أخرى يقال لها بكاس على رأس جبلين بينهما واد كالخندق وهما قرب انطاكية (ياقوت) والقلاع ايام الحروب الصليبية .

صرفندة : قرية من قرى صور من سواحل بحر الشام (ياقوت)

عتبة بل ضيفة : وضيعة تقارب بلبيس وهي من مصر إليها مرحلة ينزل بها الحاج المصري (ياقوت)

العريش : أول عمل مصر من ناحية الشام على ساحل بحر الروم في وسط الرمل (ياقوت) وما تزال أول حدود مصر مع فلسطين على ساحل البحر الأبيض المتوسط .

العمق : بنواحي حلب بالشام وكان أولاً من نواحي أنطاكية ومنه أكثر ميرتها (وهو سهل العمق في الشمال السوري)

عين ثابت : قلعة حصينة بين حلب وانطاكية .

قلعة حموص (وحموص) : وهي من بلاد سيس كانت للأرمن جنوبي جيحون في الشمال السوري

قلعة مرعش : قلعة ومدينة في الثغور بين الشام وبلاد الروم (ياقوت)

قلعة نجم (نجمية) : وهي قلعة حصينة مطلة على الفرات على جبل وعند جسر وهي المعروفة بجسر منبج (ياقوت) وهي قريبة من منبج .

كسروان : مقاطعة في لبنان بالجبل

الكويرة : تصغير كاره : جبل من جبال (الفيلية : (ياقوت)

المصيصة : مدينة على شاطىء جيحان من ثغور الشام بين أنطاكية وبلاد الروم تقارب طرسوس (ياقوت)

نقير : حصن منيع من بلاد سيس جنوبي جيحون ـ ويقع في الشمال السوري .

نهر الأسود : نهر قريب من نهر الأزرق في طرف بلاد المصيصة وطرسوس (ياقوت) .

نهر الأزرق : نهر بالثغر بين بهسنا وحصن منصور في طرف بلاد الروم من جهة حلب (ياقوت)

نهر جيحان : نهر بالمصيصة بالثغر الشامي مخرجه من بلاد الروم ويصب في بحر الشام (ياقوت)

نهر العوجا (الأعوج) نهر ينبع من سفوح جبل الشيخ ويمر جنوب مدينة دمشق ويصب في بحيرة الهيجانة .

الهارونية : مدينة صغيرة قرب مرعش بالثغور الشامية في طرف جبل اللكام استحدثها هارون الرشيد عام ١٨٣ هـ (ياقوت)

## المقدمة

تتشابه ظروف نضالنا الحالي ضد الهجمة الصهيونية والاستعمارية مع ظروف الحروب الصليبية. وكانت بلاد الشام مثلما هي الآن المركز الرئيسي للدفاع ورد العدوان وكان النصر من صنع دمشق حاضرة بلاد الشام كما سيكون في المستقبل القريب إن شاء الله.

ورغبة في دراسة تلك الفترة التي تلقي الضوء على طبيعة الصراع ومراحله واشكاله الذي تم في عصر الأيوبيين والمماليك ضد قوات الصليبيين ومن ثم المغول ؛ فإن دراسات مماثلة أخذت تصدر عن بلاد الشام ومصر عموماً وعن بعض المناطق بشكل خاص مثل (دمشق) و (صفد) و (حلب) و (طرابلس) ؛ وخصوصاً أن التقسيمات لبلاد الشام كانت كما يلي (دمشق، حلب، حمص، حماة، صفد، الكرك) للملك اخترت حماة التي كانت مركزاً متقدماً من الصراع والتي دامت كمملكة أيوبية أكثر من باقي الممالك الأيوبية بفضل جهود ملوكها وخاصة أبي الفداء.

استلم تقي الدين عمر حماة بعد تعيينه ملكاً عليها، وأخذ في ترتيب أوضاعها ودفاعاتها. كان الصليبيون في الغرب منه والحشيشة على أعتابه والبدو الى الشرق منه. وضع تقي الدين اللبنات الأولى في صرح مملكة حماة الأيوبية إلا أن المنية عاجلته واستلم من بعده ابنه المنصور، الذي يعتبر الوارث الأول للملكة وبذلك حولها بفعل الأمر الواقع الى مملكة وراثية. وكان لوفاة صلاح الدين الأيوبي وتقاسم ارثه بين أخيه وأولاده الأثر العميق على حماة، إذ خلق بجوارها دولاً وممالك أخرى تتنازع معها على الحدود والبقاء أحياناً، إضافة لاضطرار ملكها وخلفائه من بعده للدخول في صراعات الملوك الأيوبيين، إلا أن هذا الصراع بقدر ما كان له أثر سلبي على حماة، كان له تأثير ايجابي أيضاً، إذ بفضله كانت حماة ذات استقلالية، وكانت النتيجة أن خرجت عن الصراعات الداخلية الأيوبية في أواخر الفترة الأيوبية مما مهد السبيل لبقائها في ظل المماليك، مع أن كافة الممالك الأيوبية قد سقطت فعلاً.

وقد حاولت رسم صورة متكاملة عن حماة الأيوبية تشمل مختلف مظاهر الحياة فيها، فبدأت في مقدمة تشرح موقع حماة وأهميتها ودورها، ونبذة عن تاريخها حتى بداية الفترة الأيوبية، ثم درست الحياة السياسية في مملكة حماة الأيوبية اعتباراً من فترة الولاية التبعية وحتى الاستقلال والملكية ودرست أيضاً فترة انقطاع البيت الأيوبي عن حكم حماة وعودتها ولاية، ومن ثم عودتها مملكة في ظل ملكها أبي الفداء وابنه من بعده، حيث سقطت في عهده مملكة حماة الأيوبية وعادت ولاية مملوكية. ثم قمت

بدراسة الحياة الإدارية ثم الحياة الاجتماعية . وانتقلت بعدها لدراسة الحياة الاقتصادية وأخيراً الحياة الثقافية .

ثم اتبعت الدراسة ببعض الملاحق التي تتمم رسم صورة شاملة وكاملة لمملكة حماة الايوبية ، مؤيدة وموثقة لمختلف نواحي الدراسة ، وشارحة لبعض ما جاء في الرسالة . كذلك زودت البحث ببعض الخرائط التوضيحية . آملاً أن أكون قد وفقت في رسم الصورة التي أردتها ، واضحة صادقة عن مملكة حماة الأيوبية .



## نقد المصادر

اعتمدت هذه الدراسة على كثير من المصادر والمراجع ، في نهاية الدراسة بياناً مفصلاً عنها . إلا أن هناك بعض المصادر كان لها التأثير الكبير في الدراسة وسأقوم بعرضها ونقدها تبعاً للبحث وقد أدرجتها بحسب اهميتها وعلاقتها بالموضوع وبحسب الاستفادة منها .

### ـ المختصر في أخبار البشر

من تأليف عماد الدين اسماعيل أبي الفداء المتوفى سنة ٧٣٢ هـ . والكتاب يقع في أربعة أجزاء مذيل بتاريخ ابن الوردي .

يبحث المختصر الذي يدل اسمه على ان أبا الفداء قد اختصر كتب غيره فيه ، وعلى الأخص كتاب ابن الأثير (الكامل) وغيره . وهو يبدأ كتابه من ابتداء الزمن وحتى قبيل وفاته . وقد بدأ أبو الفداء كتابه بمقدمة بسيطة ، حاول فيها تقديم نوع من التحليل التاريخي . إلا أن الجزء الهام من الكتاب هو ما يتعلق بالفترة التي عاصرها أبو الفداء منذ نعومة أظافره وحتى قبيل وفاته ، إذ يصبح هو المصدر الاهم لأخبار حماة وأحوالها ، وعلاقاتها مع جوارها ومع السلطان في مصر . وهو يقدم وصف شاهد عيان فاعل للاحداث ومشارك بها . فيقدم الأدلة والبراهين والوثائق ، ويجتزء بعض الوثائق الرسمية . وقد كان الكتاب مصدراً هاماً جداً من مصادر البحث مع أن القسم الأخير من الكتاب للسنوات العشرة الأخيرة من حياة أبي الفداء جاء مختصراً جداً ، ويكاد يكتفي بحوادث الوفاة التي تقع في السنوات التي دونها . لأن الكتاب اعتمد أسلوب الحوليات .

وقد تابع ابن الوردي تدوين الحوادث حتى عام ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م بينما توقف أبو الفداء عند حوادث ٧٣٠ هـ / ١٣٢٩م . ولكن المعلومات التي يقدمها ابن الوردي بالمقارنة مع ما سبق هزيلة وتكاد تقتصر على أخبار الوفيات التي دونت بأسلوب الحوليات أيضاً .

### ـ السلوك لمعرفة دول الملوك :

لتقي الدين أبي العباس أحمد بن علي الشافعي المقريزي المتوفى عام ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م . يعتمد المقريزي أسلوباً علمياً دقيقاً في الاستقصاء والتحقيق في الأخبار التي يوردها . وهو ينقل عمن

سبقه أما الأخبار التي عاصرها فيقوم بنقلها بصفته شاهد عيان .

وقد اعتمدت على مادة المقريزي في السلوك في الأخبار المتعلقة بمملكة حماة الأيوبية ، وخصوصاً أخبار علاقاتها مع السلطنة في مصر . والمادة التي يقدمها عن فترة المماليك مادة هامة كانت أساساً للفترة المملوكية من حماة الأيوبية . والكتاب يعتمد أسلوب الحوليات ، وليس فيه مواد خاصة عن حماة سوى ما ورد عن علاقاتها العامة الخارجية مع السلطة المركزية ومع نيابة الشام .

## الكامل في التاريخ

لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري الملقب بعز الدين والمتوفى سنة ٦٣٠ هـ ١٢٣٢ / م يهمنا من هذا الكتاب الجزء التاسع منه ، وقد جاءت المعلومات فيه من عهد نور الدين وحتى عام ٦٢٩ هـ السنة التي سبقت وفاة ابن الأثير . ومع أن كتابه يعتبر من التواريخ العامة المتوسعة في ذكر المعلومات عن كافة الأقطار وخصوصاً أقطار العالم الإسلامي ، إلا أنه أورد معلومات قيمة عن الفترة التي ندرسها ولو أن حصة حماة في هذه المعلومات محدودة جداً . وقد وردت في إطار العرض العام وضمن كتابته عن المركز الرئيسي للسلطنة في القاهرة ودمشق وضمن علاقات ملوك حماة مع السلطان . والمعلومات الواردة في الكتاب ورد بعضها في كتابه الباهر .

لذلك فإن الكتاب قد أفادني في دراسة هذه العلاقة . والكتاب يعتمد أسلوب الحوليات وهو مطبوع أكثر من مرة .

## البداية والنهاية :

لعماد الدين اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م . وهو كتاب اعتمد طريقة الحوليات ، واعتمد على مصادر سبقته وخصوصاً الكامل ومرآة الزمان والروضتين وغيرها .

ومواده ثانوية لوجودها في المصادر ، عدا ما جاء في الجزء الثالث عشر والتي أورد فيها بعض الأخبار بشكل مفصل نسبياً ، وهو يعتمد فيها على مشاهداته لأنه شامي دمشقي ، وقد اقتصرت استفادتي منه على هذا الجزء . وفيه أورد ذكر وترجمة بعض الأعلام التي لها علاقة مع هذا البحث .

## ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة :

لجمال الدين أبي المحاسن بن تغري بردي الأتابكي (٨١٣ ـ ٨٧٤) هـ (١٤١٠ ـ ١٤٦٩) م والكتاب موسوعة تاريخية وأهميته تأتي من أنه يؤرخ بشكل موسع للعصر المملوكي ، معتمداً أسلوب الحوليات . وقد اعتمد على مصادر هامة تسبق عصره منها ابن شداد ، والذهبي ، وابن كثير

وهو يشير الى المصدر كما وانه ينقل أحياناً من مصادر اخرى لا يذكرها منها «نزهة الانام في تاريخ الاسلام» لابن دقماق وأحياناً يشير إليه قائلاً «قال صاحب النزهة»

وتنبع أهمية الكتاب من اعتماده على مصادر بعضها مفقود وهو لا يكتفي بمصدر واحد ، كذلك تعود أهميته لقربه من الأحداث المبحوث فيها . تلك الاحداث التي لا زالت أصداؤها تعيش في مجتمع عصر ابن تغري بردي .

وقد استفدت من الكتاب فيما يتعلق بمملكة حماة الأيوبية عبر علاقاتها مع مصر حاضرة الدولة الأيوبية والمملوكية من بعدها ، وخصوصاً تلك الأنباء التي وردت اعتباراً من صلاح الدين وحتى سقوط مملكة حماة الأيوبية ، والتي جاءت في الكتاب في الأجزاء (٦ - ٧ - ٨ - ٩) .

سنا البرق الشامي :

لقوام الدين الفتح بن علي البنداري وهو مختصر البرق الشامي للعماد الأصفهاني .

وقد أخذ واضع سنا البرق الشامي كتاب العماد الأصفهاني في البرق الشامي مع ذيليه عُتبى الزمان وخطفة البارق ، وذلك عام ٦٦٢هـ/ ١٢٦٣ م للسلطان الملك المعظم عيسى ، مختاراً المعلومات التاريخية دون تغيير في لفظها ، ووثقها بالوثائق الرسمية والرسائل والقصائد الأدبية ، ولم يزد على النص إلا تعليقات قليلة . والقسم المنشور من سنا البرق الشامي يمثل المجلد الأول وهو بالنسبة للكتاب (البرق الشامي) يمثل حوادث سنوات ٥٦٣ - ٥٨٣ أي من أول البرق الشامي حتى أوائل المجلد السابع .

وقد اتخذ الكاتب أسلوب الحوليات. واعتمد الصناعة الادبية من سجع وجناس وطباق ، ورغم ذلك فإن للكتاب أهميته وخصوصاً أنه يعالج قضايا كان الكاتب فيها مشاركاً للأحداث جامعاً وموثقاً للمراد بصفته (كاتب الإنشاء) .

- شفاء القلوب في مناقب بني أيوب

تأليف أحمد بن ابراهيم الحنبلي

هذا الكتاب بمثابة تاريخ أعلام بني أيوب فهو يذكر أخبار بني أيوب بشكل موجز . وهو بمثابة سيرة لبني أيوب منذ تأسيسها وحتى نهايتها ، وينهج صاحبه في تأليفه نهج الطبقات في استناده لتقسيم المراحل الزمنية التي مرت بها العائلة الأيوبية . فقد قسمها الى عشر طبقات ، آخذاً بذكر أفراد كل طبقة على حدة ، مؤرخاً لكل جيل من العائلة على حدة ، شارحاً أهم الحوادث السياسية والاجتماعية والأدبية .

وكتاب هذا نهجه لا بد أنه أهمل الكثير من النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية والأدبية

العامة ، لذلك نجد أن الأحداث الهامة التي عاصرت الأسرة الأيوبية مثل الحروب الصليبية والهجمة المغولية ، تمر سريعاً ولا تأخذ حيزاً في الكتاب ، ومرورها يتم عبر الأشخاص الذين أتى المؤلف على ذكرهم .

وقد استفدت من الكتاب في تدوين حوادث بني أيوب الذين لهم علاقة مع حماة ومملكتها ، سواء من ملوك حماة أو من الأسرة الأيوبية عموماً .

كتاب الشماريخ في التواريخ (مخطوطة)

اوتاريخ ابن أبي الدم الحموي (مخطوط في مكتبة البودليان برقم(60 (Marsh) وعدد ورقاته ١٨٧) كان قد وضعه القاضي شهاب الدين أبو اسحاق ابراهيم بن عبد الله المعروف بابن ابي الدم الحموي الشافعي المتوفى سنة ٦٤٢ هـ ، وهو من مواليد حماة عام ٥٨٣ هـ تاريخاً إسلامياً ابتداء بذكر الرسول صلى الله عليه وسلم وانتهاء بالملك المظفر صاحب حماة الذي قدم الكتاب إليه .

وقد جاء الكتاب مختصراً وخصوصاً ان للمؤلف كتاباً ، آخر اسمه التاريخ الكبير أو التاريخ المظفري الذي يقع في ستة مجلدات كبار ويعتبر تاريخ ابن أبي الدم مختصراً له .

والفائدة من الكتاب هي في أخبار الحوادث التي عاصرت مملكة حماة الايوبية ، والتي هي موضوع بحثنا وقد استغرقت من الكتاب ٣٨ ورقة ، اعتمدت أسلوب الحوليات .

وقد استفدت من المخطوطة ببعض الأخبار المتعلقة بحماة والتي ينفرد بها المؤلف ، كذلك اخبار بعض العلماء والوزراء الذين اورد سيرتهم ابن أبي الدم .

ـ النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، أو سيرة صلاح الدين :

لبهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم الذي شهر باسم ابن شداد ، والمولود في الموصل عام ٥٣٩ هـ / ١١٤٥ م ، والمتوفي بحلب عام ٦٣٢ هـ / ١٢٣٩ م بعد أن عمر وعاش ثلاثاً وتسعين سنة .

وقد لازم صلاح الدين الأيوبي الذي عينه قاضياً لعسكره . فكان لا يفارقه ليلاً أو نهاراً . وبقي حتى أثناء مرضه الأخير، وشاهد اللحظات الأخيرة من حياة صلاح الدين، ووضعها في كتابه النوادر الذي هو بالحقيقة سيرة صلاح الدين كما سبقت الإشارة . والكتاب هام جداً لما يتعلق بصلاح الدين ، وعلاقته مع كافة الأمراء حوله وعلاقته مع الصليبيين . واهمية الكتاب أنه جاء من شاهد عيان عاش الأحداث وشارك بها ، ورافق أصحابها وبنفس الوقت دونها في عصرها .

وقد استفدت من الكتاب كثيراً في تدوين الأحداث التي وقعت زمن صلاح الدين الأيوبي ، وعلاقة مملكة حماة في أول نشوئهامع السلطان ، وتطور حماة في عهده من نيابة الى مملكة ، وتحولها الى مملكة

ورائية بعد وفاة تقي الدين عمر . كذلك استفدت من الكتاب في تدوين أحداث حماة وعلاقاتها الخارجية في زمن شهاب الدين وتقي الدين عمر وابنه الملك المنصور ، وعلاقته مع صلاح الدين وخصوصاً أنه قام بتعيين نفسه ملكاً على حماة دون وصية ودون رضى السلطان صلاح الدين .

## ـ مفرج الكروب في أخبار بني أيوب

### لابن واصل الحموي

كتاب جمع أخبار بني أيوب معتمداً على مصادر سبقته وأخرى شفوية نقلها عن أشخاص عاشوا الحدث المدون أو صنعوه . والكتاب يعتبر مصدراً لكثير من الكتب التي جاءت بعده وخصوصاً في القرن السابع الهجري والذين كتبوا عن العصر الأيوبي مثل أبي الفداء والذهبي والمقريزي وغيرهم .

والمؤلف ينقل عن غيره بعض الأخبار إلا أنه يعتمد النقد التاريخي ، فهو ينقل عدة روايات ، ثم ينقدها ويصوّب إحداها أو يضع رواية جديدة يرى أنها هي الأصح ، فهو من الكتب القليلة التي اعتمدت النقد التاريخي كما وأنه اعتمد التحليل التاريخي فهو يذكر الحدث ويحلله ويفسر مضامينه وأسبابه ونتائجه .

وقد جمع الكتاب الأحداث التاريخية وأيدها بالوثائق والأشعار . واستعمل المؤلف مصطلحات إدارية وحربية واجتماعية تعاصره ، وبذلك قدم معلومات مفيدة عن الحياة السياسية والإدارية والاجتماعية والعلمية والأدبية لعصر بني أيوب ، وللفترة التي شملها الكتاب ، وقد استفدت من الكتاب في تدوين أخبار بني أيوب المتعلقة بحماة ، واستفدت منه بأخبار حماة التي وردت عبر أخبار بني أيوب .

## ـ الروضتين في أخبار الدولتين (النورية والصلاحية)

لشهاب الدين أبي محمد عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم المقدسي الشافعي المعروف بأبي شامة المتوفى عام ٦٦٥ هـ/ ١٢٦٨م

الكتاب بالأساس عبارة عن سيرة لكل من الملكين نور الدين محمود وصلاح الدين . جمع فيه كل ما تحصل له من أخبارهما واعتمد على مصادر ذكرها في مقدمة كتابه منها تاريخ ابن عساكر وابن شداد وكتابي عماد الدين الأصفهاني : الفتح القدسي والبرق الشامي . واعتمد على دواوين شعر كانت متداولة في عصره ، واعتمد أيضاً على الرواية الشفوية التي وصلته بعد أن يتأكد من الثقة بصاحبها ، واختصر جميع ما وصله بكتابه الذي جاء خالياً كما يقول من السجع والمحسنات اللفظية والجمل الرنانة بعيداً عن الإطالة ، مختصراً من الأشعار إلا ما كان لازماً لشرح حال أو واقعة .

ويبدأ الكتاب بأخبار أسرة نور الدين ، مبيناً كافة حوادثهم وأعمالهم . وينتهي بوفاة صلاح الدين مبيناً انقسام مملكته بين أولاده وأخيه .

وقد استفدت من الكتاب في المقدمة وفي أخبار نور الدين وصلاح الدين وعلاقتهما ، ثم استفدت منه في حوادث عصر صلاح الدين والأنباء الحموية التي وردت في سيرة صلاح الدين وعلاقات حماة مع صلاح الدين والتأثيرات المتبادلة بينهما .

والكتاب هام جداً لأنه يجمع مواد أصول بعضها متوافر لدينا حالياً وبعضها مفقود . وللكتاب ذيل للمؤلف نفسه فيه تراجم القرنين السادس والسابع الهجريين

## ـ مضمار الحقائق وسر الخلائق

لصاحب حماة محمد بن تقي الدين شاهنشاه (٥٦٧ ـ ٦١٧) هـ . والكتاب مؤلف من عدة مجلدات أوصلها بعضهم الى عشرة ولكن يعتبر بحكم المفقود ومابين أيدينا لا يشمل إلا سنوات قليلة (ما بين ٥٧٥ ـ ٥٨٢ هـ) . وقد قام بنشره حسن حبشي بمصر .

والقطعة المنشورة من الكتاب تقدم معلومات هامة من مصدر صانع للمعلومات ، وعلى اطلاع واسع بها يتحدث عن فترة عاصرها فيورد أخباراً وأسراراً لا تتأتى لغيره ويقدم لنا مادة جيدة وجديرة . واستناداً لذلك فقد كانت الفائدة منه كبيرة في البحث . وقد قدم معلومات اجتماعية هامة . ويبقى الكتاب عموماً بمستوى عالٍ من الجودة رغم أنه يمر أحياناً على بعض الأخبار سريعاً سطحياً ليتحاشى الغوص فيها .

## الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر :

للقاضي محي الدين أبو الفضل عبد الله بن رشيد الدين عبد الظاهر بن نشوان بن عبد الظاهر السعدي المصري . والكتاب عبارة عن سيرة الملك الظاهر بيبرس . ولد المؤلف في القاهرة عام ٦٢٠ هـ/ ١٢٢٣ م ومات عام ٦٩٢ هـ/ ١٢٩٢ م . وقد اشتهر بعمله في ديوان الإنشاء عندما تولى الظاهر بيبرس الحكم . وكان عمله أيام الملك المظفر قطز . ورافق حملته الى سورية ضد المغول ثم عمل مع بيبرس وحاز ثقته .

ولطبيعة عمل المؤلف مع الظاهر بيبرس واطلاعه على الوثائق التي اقتبسها في مؤلفه بصيغتها الكاملة . سواء ما تعلق بالأمور السياسية أو الاجتماعية أو الإدارية .

كذلك اعتمد على كتب ومؤلفات معاصرة له فقدت الآن منها «الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة» وهي مع غيرها من مصادره الكتابية . كذلك اعتمد على مصادر شفوية من أشخاص مسؤولين في الحكم والدولة منهم السلطان نفسه والقضاة والوزراء وغيرهم واعتمد أسلوب الحوليات وقد جاء كتابه خلواً من المحسنات اللفظية والسجع الذي كان معتمداً في عصره . وكتابه هام للصراعات التي نشأت بين المسلمين والصليبيين في عهد بيبرس وقد جاءت من شاهد عيان وقد استفدت من الكتاب في

علاقة حماة مع الملك الظاهر بيبرس أثناء فترة حكمه .

## التاريخ المنصوري :

أو (تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان) : تأليف أبي الفضائل محمد بن علي بن نظيف الحموي . كان كاتباً عند الملك المجاهد صاحب حمص ، وقد تمتع بشخصية بارزة في عصره ، واستلم عدة وظائف جعلته مطلعاً على مجريات الأمور . يبدأ تاريخه اعتباراً من ابتداء الخليقة وحتى حوادث عام ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣ م . ومع أن الكتاب التزم بالايجاز لانه مختصر عن كتاب «الكشف والبيان في حوادث الزمان» ، إلا انه قدم اخباراً أكثر تفصيلاً فيما يتعلق بحمص وخصوصاً اخبار الملك المجاهد صاحبها .

ومع أن المؤلف حموي الأصل والمولد ، إلا أنه لم يعط حماة اعتناء خاصاً في ذكر أخبارها سوى ما ارتبط منها بحمص .

لذلك يمكن الاستفادة من الكتاب بما يخص علاقات حماة مع حمص في الفترة التي دونها ابن نظيف الحموي .

## كتاب قوانين الدواوين

للأسعد بن مماتي المتوفى عام ٦٠٦ هـ/ ١٢٠٩ م الذي جمعه وحققه عزيز سوريال عطيه

ومؤلف الكتاب هو احد وزراء الدولة الأيوبية البارزين . وكتابه من الكتب الفريدة في بابها والعظيمة في مضمونها وقد قدم فيه معلومات هامة جداً قلما نستطيع العثور على مثيلها في المصادر الأخرى . ومع أن الكتاب خصص في الأصل للحديث عن مصر وأقسامها الإدارية وجغرافيتها وعن النيل وأحواله وأعمال مصر ونواحيها وتحقيق أسمائها ، ضياعها ومناطقها الإدارية وتحدث أيضاً عن مزروعاتها .

إلا أن القسم الهام من الكتاب فيما يتعلق بموضوعنا ، هو ما جاء في الباب الثامن والباب التاسع والمعلومات التي جاءت في الكتاب ، والتي تشمل كما سبق القول الفترة الأيوبية . فإن في كتاب نهاية الأرب ما يتممها خلال الفترة المملوكية من حياة مملكة حماة الايوبية .

وقد استفدت من هذا القسم من الكتاب في دراسة الحياة الاقتصادية والإدارية والاجتماعية في الفترة الأيوبية في مملكة حماة التي كانت جزءاً من دولة واسعة كانت مصر حاضرتها وصاحبة السلطة عليها وقانونها يطبق بشكل ما وبحدود معينة على حماة .

والمعلومات التي جاءت في الكتاب ، والتي تشمل كما سبق القول الفترة الايوبية . فإن في كتاب نهاية الأرب ما يتممها خلال الفترة المملوكية من حياة مملكة حماه الايوبية .

وقد اعتمدت على طبعة مصر الصادرة عام ١٩٤٣ عن الجمعية الزراعية الملكية .

## ـ صبح الأعشى في صناعة الإنشا

لشهاب الدين أبي العباس أحمد بن علي القلقشندي المتوفى عام ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م وقد اعتمد المؤلف على مصادر هامة منها تقويم البلدان لابي الفداء والتعريف ومسالك الابصار لابن فضل الله العمري .

ويضيف المؤلف عما استقاه من معلومات عن المصادر الموثوقة ما أتيح له معرفته والوثائق التي تحت يديه بصفته رئيساً لديوان الإنشاء . والكتاب يعتبر موسوعة حقيقية تغطي النواحي التاريخية والجغرافية والسياسية والأدبية والاجتماعية والعلمية والإدارية ونظام الحكم . ويقدم المعلومات ويوثقها بالوثائق الرسمية الصادرة عن ديوان الإنشاء . وقد تسنى لي الاطلاع على مخطوطه بخط المؤلف .

وتبين أنها مكتوبة على الأوراق الرسمية العائدة لديوان الإنشاء ، وبعضها مكتوب على خلفية مسودات مراسم ومكاتبات ديوان الإنشاء .

وقد استفدت من صبح الأعشى في المواد المتعلقة بالفترة المملوكية من حياة مملكة حماة الأيوبية في ميدان الإدارة والمالية وسائر النشاط المرسمي في مملكة حماة الأيوبية في أواخر حياتها في الفترة المملوكية .

## نهاية الأرب في فنون العرب :

لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري (٦٧٧ - ٧٣٣) هـ

وهو كتاب موسوعي يشمل سائر النشاط العلمي من زراعة وصناعة وتجارة وإدارة واجتماع وأخلاق . واختص قسمه الاخير اعتباراً من الجزء العاشر اخبار الأمم القديمة ، ثم تابع المؤلف حتى الرسول والسيرة حيث استغرقت عدة أجزاء من كتابه الموسوعي .

ولقد استفدت من هذا الكتاب الكثير عن الفترة المملوكية من حياة مملكة حماة الأيوبية ، وخصوصاً في الإدارة والضرائب والمالية وأبحاثه التي جاءت في الجزء الثامن من الكتاب ، تتمم أبحاث ابن مماتي في كتابه قوانين الدواوين الذي جاء فيه بأبحاث مشابهة عن العصر الأيوبي .

والكتاب هام جداً ، اخذ من مصادر موثوقة واستند الى وثائق بين يديه ، قدم منها نصوصاً كاملة مع ذكر المصدر أو صاحب الوثيقة أو الرسالة أو نصوص محاضر مجالس الحكم وكتب دواوين الإنشاء .

## ـ الخطط المقريزية أو كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط

لتقي الدين أبي العباس أحمد بن علي المقريزي المتوفى سنة ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م ، وكان يحترس

الحديث عن الكتاب مع كتاب السلوك . ولكن اثرت تأخيره التزاما بمبدأ الاهمية وحجم الاستفادة .

ومع أن الكتاب يتعلق بمصر وخططها ، إلا أنه أورد معلومات هامة عن الحياة الإدارية ، والوظائف وعن الحياة الاقتصادية والمالية والاجتماعية في مصر التي تتشابه مع مثيلاتها في بلاد الشام ، وخصوصاً تلك الأمور التي جرى تطبيقها في سائر أنحاء الدولة الأيوبية والمملوكية .

وقد أورد بصورة مختصرة أيضاً ذكر ملوك مصر من الأكراد ومن المماليك البحرية ، وهو أمر استفدت منه في مقابلة المعلومات التي حصلت عليها من المصادر الأخرى .

ـ معجم البلدان :

لشهاب الدين ابي الفضل عبد الله ياقوت الحموي المتوفي عام ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م ، وهو كتاب هام جداً لكل عصر ومصر . ويتفوق على أي كتاب من نوعه. ومادته مأخوذة من مصادر موثوقة ، من احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم للمقدسي المتوفي عام ٣٧٥ هـ / ٩٨٥ م ، والإشارات الى معرفة الزيارات لعلي بن أبي بكر الهروي المتوفي ٦١١ هـ / ١٢١٤ م .

ومواده على درجة كبيرة من الأهمية ، فهي مادة شاملة تقدم صوراً كاملة وجغرافية مع التعرض الى بعض النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية والإدارية . ولو أنها جاءت عرضاً إلا أن لها أهمية في الكتاب .

والمؤلف اعتمد أسلوب التصنيف المعجمي مما يسهل استخراج المادة. وقد شملت مواده أكثر المواقع والأصقاع التي عرفت في زمانه ، وهو يوثق معلوماته ، وكثير من المعلومات التي ينقلها عن غيره يزيد فيها ويتوسع ، ويجدد حتى تأتي بصياغة ومعلومات جديدة تصل الى عصره . كما وأن لديه مواد لا نجدها عند غيره .

وقد استفدت من الكتاب كثيراً في التعريف بالمواقع والأمكنة التي وردت في البحث ، وخصوصاً أن الكتاب ومواده لا يمكن لأي باحث في أي بحث من الاستغناء عن الرجوع الى معجم البلدان .

وأخيراً فقد اعتمدت على مصادر أخرى غير التي جئت على ذكرها ؛ منها في مجال التاريخ : الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة لابن شداد ، وتاريخ ابن خلدون .

ومن كتب الرحلات والزيارات اعتمدت كتاب الإشارات الى معرفة الزيارات للهروي . ونخبة الدهر في عجائب البر والبحر لشيخ الربوة ، ورحلة ابن جبير الأندلسي وابن بطوطة ، ورحلة بنيامين التطيلي ، ورحلة ناصر خسرو التي جاءت بعيد انقضاء فترة مملكة حماة الايوبية .

ومن كتب الإعلام والتراجم ، اعتمدت كتاب سير أعلام النبلاء للذهبي ، وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان .

أما المصادر الأجنبية ، فإن اعتمادي عليها كان محدوداً بسبب عدم ذكرها أمور حماة وعلاقاتها بشكل

مستقل . وقد جاءت أخبار حماة فيها قليلة ونادرة وجئت على ذكرها في الحواشي ، كما وسأبين في ذيل هذه الدراسة قائمة بالمصادر والمراجع التي اعتمدتها في هذا البحث .



# قيام مملكة حماة

## ـ مدخل عام ـ

يحد بلاد الشام من الشرق نهر الفرات ، ومن الغرب البحر المتوسط ، ومن الجنوب البحر الأحمر ومصر ، ومن الشمال سفوح جبال طوروس التي تشكل حدود آسية الصغرى ، وتشكل بلاد الشام موقعاً متميزاً ذا أهمية عالمية ، إذ يقع بين قارات العالم الثلاث : آسية ، وأوروبة ، وإفريقيا ، وقامت هذه البلاد بدور صلة الوصل بين أفريقيا وآسية وأوروبا ، كما وصلت بين أفريقيا وأوروبا .

كانت بلاد الشام موطناً أولاً للهجرات البشرية الكبرى في العصور القديمة والوسيطة ، فوصل إليها من بداة ما وراء النهر الاتراك والمغول عبر العصور التاريخية المتتابعة مثل : الهون ، والغز ، والتركمان ، والمغول ، والتتار أما من اوروبة فقد وصلها منهم شعوب البحر والرومان والفرنجة مع سواهم من الشعوب الجرمانية . أما من افريقيا فقد وصل عدد من الرافدين البداة منهم : المصريون القدماء ، والسودان ، والبربر .

رغم ذلك فإن أهم الهجرات التي اندفعت الى بلاد الشام هي من شبه الجزيرة العربية ، من آموريين وكنعانيين وآراميين وعرب مسلمين ، وكان استمرار الهجرات في العصور القديمة والوسيطة مع الطبيعة الجغرافية لبلاد الشام عاملاً حاسماً في تطور المنطقة ، واكتسابها الصفة العربية الدائمة عبر مختلف عصور التاريخ . فبنية بلاد الشام تتشكل من شريط ساحلي ضيق ، ثم سلسلة من الجبال الحاجزة ، ضمت داخلها بلاد الشام بوديان الانهار الكبيرة وبسهوب شبه صحراوية . وأدى ذلك لظهور عدة أنماط اجتماعية كان أهمها نمط تمركز في الشمال وآخر في الجنوب وثالث حول شواطىء البحر المتوسط وتمت الاقليات في جبال ، ونمط المجتمعات الزراعية الصناعية التجارية في جوف بلاد الشام . وكان هنالك نمط أخير منفرد عن هذه الانماط غير مستقر بقي على بدويته وسكن البادية والسهول الداخلية . إن اختلاف

---

• صورة الأرض لابن حوقل : ١٥٣ / الاعلاق النفيسة : ١٠٧ / مختصر كتاب البلدان : ٩١ ـ ٩٢ الاصطخري : ٤٢ / أحسن التقاسيم : ١٨٦ / معجم البلدان مادة الشام .

الأنماط الاجتماعية وشكل معيشتها وطبيعتها جعل بلاد الشام متمايزة اجتماعياً وحضارياً وسياسياً ، وقد ساهم هذا في فقدان الوحدة السياسية والإدارية في بلاد الشام ، وتكريس هذه التفرقة ضمن صراعات اخذت بعداً جغرافياً دار على محورين شمالي وجنوبي ، واستمر الصراع بشكل غير حاسم مما تسبب في قيام قوة (منطقة عازلة) بينهما ، فيما عرف باسم المنطقة الوسطى من بلاد الشام التي حوت مدينتين رئيسيتين هما : حمص وحماة ، وتمركزت القوة العازلة حيناً في حماة وحيناً آخر في حمص . والمتفحص لأوضاع هاتين المدينتين يلاحظ وجود الكثير من الصفات والتواسم المشتركة ، فكل منهما واقع على نهر العاصي ، قريب من البادية وسكانها ، له أكبر العلاقات مع سكان المنطقة الجبلية والساحلية في الغرب .

ويلاحظ أنه بعد أن تم للعرب في بداية القرن الأول للهجرة / السابع للميلاد فتح بلاد الشام وتحريرها من حكم الامبراطورية البيزنطية ، قاموا بتقسيم هذه البلاد الى أربعة أقسام عسكرية إدارية ، دعي كل واحد منها باسم جند : وهي جند فلسطين ، جند الاردن ، جند دمشق ، جند حمص ، وقد شمل جند حمص وسط بلاد الشام مع قسمها الشمالي .

ومع توقف التوسع داخل الأراضي البيزنطية ، وتوضع منطقة للحدود بين بلاد الشام وبيزنطة . ومع استمرار الأعمال العسكرية العربية البيزنطية ازدادت أهمية المنطقة الشمالية من بلاد الشام أو بالحري استردت هذه المنطقة مكانتها ، وكانت مدينة قنسرين مركز هذه المنطقة وكانت كل من حلب وانطاكية أهم مدنها .

وفي النصف الثاني للقرن الأول للهجرة ، في أواخر عهد معاوية بن أبي سفيان ، ثم في زمن ابنه يزيد اتجهت الخلافة نحو تقسيم جند حمص الى قسمين ، بحيث تفرد الجزء الشمالي من بلاد الشام في جند خاص ، وتمّ هذا في أيام يزيد بن معاوية الذي كان من جملة ما احدثه إقامة جند جديد خاص عرف باسم جند قنسرين .

كانت معظم القبائل العربية الموجودة في الشام قبل الفتح العربي من أصل يماني ، وكانت قبائل طيء وتنوخ أبرز قبائل شمالي بلاد الشام ومنطقة الجزيرة ، ويستخلص من الكتابات السريانية للقرن السادس فما بعد ومن المصادر العربية لأخبار فتوحات بلاد الشمال ، أن عناصر هذه القبائل كانت في القرن السابع قد فقدت معظم طباعها البدوية ، ومالت نحو حياة الاستقرار في مناطق خاصة أخذت تمدن الشمال ، ودعي كل منها باسم «حاضرة» وبعد الفتح العربي قامت قبائل كثيرة بالهجرة من شبه الجزيرة العربية نحو الشام عن طريق وادي الفرات ، وصعد بعضها شمالاً نحو إقليم الجزيرة ، ثم تحول غرباً نحو شمال بلاد الشام ، وتركز الى جانب القبائل القديمة .

وكانت لهذه الهجرة آثارٌ كبيرة على التركيب البشري والقبلي لشمال بلاد الشام ، كما أن لها نتائج على مستقبل شمالي بلاد الشام السياسي والاجتماعي والحضاري، وظهرت أولى هذه النتائج في تميز بلاد الشام ، ودفع الخلافة الأموية نحو جعله أجنداً خاصاً ، ومع الأيام ازداد تميز هذا الشمال وبنفس الوقت

برز بين القبائل التي هاجرت إليه قبيلة كلاب ، وأخذ بعض زعماء هذه القبيلة يرنو بصره نحو السيطرة على جميع أجزاء بلاد الشام وتحقيق السيادة والإمارة على جميع قبائل عرب الشام .

ولقد برز هذا بعد وفاة يزيد بن معاوية ووضح أثناء الصراع من أجل الخلافة بعده ، خاصة في معركة مرج راهط سنة ٦٤ هـ / ٦٧٣ م ، ففي هذه المعركة قاتل زفر بن الحارث الكلابي تسانده قبائل الشمال القيسية ، ضد مروان بن الحكم الذي ساندته قبيلة كلب وسواها من قبائل اليمن ، وهزم زفر بن الحارث في هذه المعركة ، وفرّ نحو الشمال ثم شرقاً حيث اعتصم في مدينة قرقيسياء (البصيرة حالياً في سورية) وامتنع لفترة من الزمن عن الاعتراف بالخليفة الأموي الجديد [1] .

ولقد كان لمعركة مرج راهط نتائج كبيرة على تاريخ بلاد الشام بعدها ، فقد أزالت هذه المعركة تقسيمات الأجناد من الناحية السياسية ، وحولت الشام الى قسمين يفصل بينهما خط وهمي يمر قرب الرستن على العاصي ويمضي شرقاً داخل بادية الشام ، وسيطرت قبيلة كلاب على الشمال بينما وقع الجنوب تحت سيطرة كلب .

واستمر الصراع بين كلب وكلاب ، ونتج عن هذا الاستمرار توضح الانقسام السياسي الذي حل ببلاد الشام ، وكان لذلك نتائج كبيرة للغاية على مستقبل عدد من المدن الشامية البارزة . فلقد تأثرت حمص بشكل كبير ، وبدات تفقد أهميتها تدريجياً ، كذلك تأثرت مدينة قنسرين ، فأخذت تتقهقر ، وازدادت أهمية حلب ، وتقدمت هذه المدينة لتحتل مكان الصدارة بين مدن الشام ، وذلك على حساب كل من قنسرين وانطاكية ، وأصبحت حلب عاصمة ديار الشمال ومركزاً للصراع مع الجنوب ، وفي نفس الوقت عظمت أهمية مدينة دمشق ، وأصبحت مركز الجنوب الرئيسي ، بالإضافة الى كونها عاصمة الخلافة الأموية ومع الأيام بدأ الصراع بين كلب وكلاب يتحول الى صراع بين جنوب بلاد الشام وشمالها أو بين حلب ودمشق وتوضح هذا بعد زوال الدولة الأموية بفترة من الزمن . [2]

ذلك أن الدولة العباسية التي اتخذت من العراق مركزاً لها ، انشغلت كلياً بمشاكل شرقي دار الخلافة ، وأولت الأقسام الغربية القليل من العناية ، لذلك تطور في منطقة الحدود مع بيزنطة نظام دفاعي ، وكان هذا التطور من الأمور التي ساهمت في ازدياد أهمية مدينة حلب وبداية لتحولها الى مركز سياسي شبه مستقل .

وبعد مصرع الخليفة المتوكل على الله العباسي ، واستيلاء الجند على تقاليد الأمور في بغداد ، أخذت الأجزاء الواقعة على أطراف الدولة خاصة في الغرب بالانفصال ، وتكوين دولة شبه مستقلة ، وانتقلت عدوى الانفصال من قسم الى آخر ، كل ذلك تم في الوقت الذي ازدادت فيه الأمور في عاصمة

---

(1) تاريخ خليفة : ١ : ٢٢٦ / الطبري ج ٥ : ٥٤٠ ـ ٥٤٢ ، ابن عساكر ج ٦ : ٢١١ و ٢١٢ ظ .

(2) ديوان ابن ابي حصينة ج١ : ١٥٩ ـ ١٦٣ ، انظر أيضاً مرآة الزمان حوادث ٤٥٢ ـ ٤٧٢ هـ (مخطوطة أحمد الثالث) ، سيرة المؤيد في الدين : ١٠١ .

العباسيين اضطراباً وضعفاً ، وكان من بين المناطق التي استقلت إقليم مصر .

ومارست حكومات مصر الإسلامية المستقلة بعد قيامها سياسة خارجية موروثة ومحددة تجاه بلاد الشام ، ونبعت هذه السياسة من طبيعة تركيب مصر الجغرافية ، كما أنها استفادت من تجارب تاريخ العلاقات بين مصر القديمة وبلاد الشام ، فمصر التي هي عبارة عن سهل ليس له حدود ذات مواقع طبيعية تحميه ، غزيت دائماً عن طريق بلاد الشام ، لذلك قامت سياسة هذا البلد القديمة على احتلال بلاد الشام للتصدي لكل هجوم طارىء خارج أراضي مصر .[1]

ولقد ترافق هذا الاحتلال في كثير من الأحيان مع مطامح الحكام ورغباتهم في التوسع ، كما انه دفع نحو التوسع الامبراطوري ، والذي حدث بعد قيام دولة مصر الاسلامية أن هذه الدولة نجحت في احتلال بلاد الشام ، واخفقت في الاحتفاظ بالقسم الشمالي من هذه البلاد ، وكان من اهم أسباب الإخفاق بُعْدُ الشمال عن مصر ووجود قبيلة كلاب التي حرصت على المحافظة على استقلالها في ديارها ثم سياسة الامبراطورية البيزنطية التي ابتغت ان لا تكون حدودها المباشرة مع دولة اسلامية قوية . بل أرادت أن يكون بينهما دولة صغيرة حاجزة . وهكذا حافظت على استقلالها ، واخذ الكلابيون يحاولون اقامة دولة مستقلة فيها ، لكن طبيعة تركيب قبيلتهم ثم وجود الدولة الحمدانية في الموصل حرمهم من ذلك وساعد على قيام الدولة الحمدانية في حلب ، وهكذا غدت مدينة حلب مركزاً لدولة صغيرة تحكم شمال بلاد الشام وتتطلع إلى احتلال الجنوب ، وفي نفس الوقت بذلت مصر الاسلامية المستقلة قصارى جهدها للاحتفاظ بجنوب بلاد الشام ، وسعت دائماً لاحتلال الشمال ، وعلى هذا الأساس استمر النزاع بين حلب ودمشق وتوضح هذا بشكل ملحوظ في القرنين الرابع والخامس هـ/ العاشر والحادي عشر م . واثناء هذا الصراع ازداد اضمحلال مدينة حمص ، وساعد على ذلك تعرضها في القرن العاشر لغزوات بيزنطية هدمتها ودمرت منطقتها ، فانجرفت منطقتها اكثر نحو الانحدار والاضمحلال ، وصارت منطقة حماه أرض الصراع بين دمشق وحلب ، وساعد هذا الصراع على دفع حماه وتقدمها ولما لم يوصل الصراع بين حلب ودمشق منذ قيام الدولة الحمدانية إلى نتائج حاسمة دائمة لصالح أحد الطرفين ، فقد استفادت منطقة حماه من ذلك وبدأت تتحول منذ أواخر القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي من حقل للصراع إلى منطقة عازلة بين القوتين المتصارعين ، وتطورت مدينة حماة من بلدة صغيرة كانت تابعة إلى جند حمص ، وبدأت تتحول إلى مدينة من أبرز مدن الشام واكبرها .

ومما زاد من اهمية مدينة حماة وساعد على بروزها موقعها الاستراتيجي الهام واحاطتها بعدد من المراكز الحصينة مثل : شيزر وكفر طاب وبارين ومصياف،ثم لمرور نهر العاصي بها وسقايته لسهولها مما وفر لها موارد اقتصادية تدفع بذوي المطامح للاستيلاء عليها،وتستطيع تحمل نفقات دولة مستقلة ذات إدارة وجند وبلاط خاص بها .

---

(1) The Emirate of Aleppo : 37 - 42., 96 - 101

ومن المقرر أن الجغرافية تعد من اكبر الحقائق في صنع التاريخ ، ولهذا من المفيد بعد هذا المدخل الهام تقديم عرض جغرافي مكثف لحماة ، ومن ثم الانتقال نحو الحديث التاريخي

تقع حماة في وسط سورية وهي على ارتفاع ٣٠٨ م فوق سطح البحر ، في وهدة سحيقة من وادي العاصي [١] وهي تبعد عن دمشق ٢٠٩ كم . وعن حمص ٥٨ كم وتبعد عن حلب ١٤٣ كم [٢]

وحماة هي مركز ابتداء المنخفض السوري الافريقي الذي حدث في نهاية دور البليستوسين المتوسط والحديث من «الحقب الرابع» والمنخفض السوري الافريقي يبدأ من حماة ويمتد عبر حوض العاصي ثم يصل إلى مناطق جبل لبنان الشرقية في مواقع المرمل واللبوة ، ثم يتابع جنوباً باتجاه منخفض نهر الاردن ؛ «بحيرة الحولة وبحيرة طبريا والبحر الميت» ثم يتابع اتجاهه الجنوبي عبر منخفض البحر الأحمر الذي تشكل بعد الانخفاض .

وقد كان لهذا الموقع من المنخفض السوري الافريقي تأثير كبير على تاريخ حماة منذ مطلع التاريخ المعروف للبشر في أرضنا ، واستمر حتى عصرنا الحاضر ، فمن هذا المنخفض جاء حماة معظم الغزاة من الجنوب (الفراعنة)

وحماة من ناحية أخرى تقع على الشريط الفاصل بين البادية السورية وبين المناطق الزراعية المتجهة غرباً ، وقد جعل موقعها هذا من المدينة نقطة تلاق بين البدو والحضر منذ أقدم العصور وجعلها محط أنظار البدو ومسرحا لغزواتهم ، وسوقا لنشاطاتهم التجارية .

ومن ناحية أخرى كانت حماة ، محطة للهجرات العربية (السامية) سواء الاتية من جهة العراق عبر شمال بلاد الشام أو الآتية من الجنوب عبر جنوب بلاد الشام أو الاتية مباشرة من الشرق من البادية [٣]

وبالنسبة لأصل تسمية هذه المدينة :

اورد ياقوت الحموي في معجمه بأن حماة بالفتح ، بلفظ حماة المرأة ، وهي أم زوجها . وقال وحماة أيضاً عصبة الساق [٤]

---

١) راجع جولة أثرية في بعض البلاد الشامية لأحمد وصفي زكريا ص٢٤ وما بعدها . جغرافية حماة ص١

٢) جدول المسافات للقطر العربي السوري - إدارة المساحة العسكرية طبعة ١٩٧٩

(٣) العرب والقبائل العربية قبل الاسلام مقال لأحمد غسان سبانو في مجلة الاكليل اليمنية . العدد الأول السنة الثانية ١٩٨٢ ص١٧ وما بعدها وانظر أيضاً المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام لجواد علي وامراء غسان لتيودور نولدكه ترجمة زريق ، العرب في الشام قبل الاسلام محمد أحمد باشميل - القبائل العربية وسلائلها في بلادنا فلسطين مصطفى مراد الدباغ . منازل القبائل العربية حول دمشق لصلاح الدين المنجد . العرب تاريخ موجز لفيليب حتي

(٤) معجم البلدان : مادة حماة

كما ورد اسم حماة في التوراة باسم حمت الكبرى تمييزاً لها عن حمت الصغرى في كيليكية . وذلك نسبأ إلى حماتي من أبناء كنعان الذي ينسب بنائها إليه [١]

وهناك من ينسبها إلى حماة وهو الأب الحادي عشر لاولاد كنعان ، بين يذهب (أنغولست) الى أن تسميتها أتت من اسم اول ملك آرامي لها يدعى حماة .

أما حمات او حماث في اللغة الآرامية فهي بمعنى واحد إذ (ت) و (ث) من نفس المخرج ، واختصت حماة في الاولى واختفت حمص (حمث) في الثانية إذ كان يطلق عليها اسم صوبة حماة وحماة من الاسم الآرامي من حصن وقلعة [٢] . وحماة من حمث السريانية أو (حم) العبرانية

وتعني كلتاهما سخن او صار حاراً [٣] وحماة من حما السريانية التي تعني حرارة وسخونة وعين ماء حارة أو معدنية كبريتية (كالحمة قرب طبريا وحمة الاردن وحمان في محافظة جبل لبنان ، قضاء عالية [٤]) وقد استبدل اسم حماة باسم (آبيفانيا) نسبة إلى الملك السلوقي (ابيفان) وعادت إلى اسمها الاساسي (حماة) بعد موت (ابيفان) في زمن خلفه جيروم . ويرى (روبنسون) ان اسم حماة قد اطلق على عدة مواقع منها مدينة (هيت ، الواقعة على شط نهر الفرات) وقد ذكر في سفر الملوك.وعلى مدينة ربلة الواقعة على الحدود السورية اللبنانية حالياً [٥]

وتعتبر حماة ووادي العاصي من أقدم مواقع سكن الانسان القديم في سوريا وقد عثر على مواقع فيها تعود إلى سوية (الفيلفرانشي) المتأخرة السابقة للعصور الحجرية .

فموقع المشارنة (٣٩ كم شمال حماة وجنوب شرق المشارنة) يعتبر موقعاً من الدور الاشولي الاوسط وفي هذا الموقع تم العثور على أقدم النماذج التي عرفت في الشرق الأوسط منها فؤوس يدوية وأدوات حجرية أخرى . وعثر في نفس الموقع على عمق ٢٠ ـ ٢٥ م بسماكة قدرها ٧٠ ـ١,٥ م على أدوات تعود إلى عصر مندل الجليدي أو على العصر الجليدي الفاصل [٦] .

وعثر أيضا في موقع سد الرستن على شظايا وفؤوس حجرية تعود إلى سويات سحيقة في القدم .

---

١)) جولة أثرية ص٢٤٠ وانظر أيضاً .

٢) معجم الكتاب المقدس (الطبعة العربية)

٣) معالم واعلام لأحمد قدامة

٤) معجم اسماء المدن والقرى اللبنانية انيس فريحة

(٥) لم يذكر ياقوت الحموي في كتابه المشترك وضعاً والمفترق صقعاً اسم حماة مما يعني عدم معرفته موقع اخر لهذا الاسم في عصره

(٦) مجلة الحوليات العدد ١٦ عام ١٩٦٦ صفحة ١٣ وما بعدها

كما وعثر في موقع (كركور) على بقايا تعود للدور الأشولي تشبه في وصفها صناعة كهوف يبرود [1] . وعثر في مدينة حماة على مواقع من العصر الحجري القديم في (جوثية) و (مزرعة الشيخ عبد الله) و (قمنهارية) و (شرية) و (خطاب) وجنوب شرق (الزور الجديد) [2]

ودون الدخول بمزيد من التفاصيل نلاحظ في العصور التاريخية أنه : اثر التوسع الحثي أصبحت حماة مدينة حثية وقد وجد فيها الكثير من الكتابات (الحثية[3]) واطلق على حماة اسم (حمت) [4]

وقد دخلت حماة في حلبة الصراع الذي وقع بين الحثيين والفراعنة اعتباراً من القرن الثامن عشر قبل الميلاد . ونجد في اسماء الفراعنة الذين هاجموها (تحوتمس الثالث عام ١٧٠٠ ق.م) و سيأتي ابن رعمسيس الأول ، الذي استطاع الوصول إلى قادش أو (قادس) قرب بحيرة حمص [5] واستمر الصراع الحثي المصري ، حتى ظهر صراع جديد وقع بين الحثيين وقوة جديدة هي قوة الأشوريين فقام تغلات بلاتسر الاول عام ١١٣٠ ق.م بغزو سوريا (وحماة) واحتلها ثم قام (آشور نسيربال) أو (آشور ناصر بعل) بمهاجمة حماة عام ٨٨٣ ق.م وكذلك قتل ابنه شلمناصر الذي لقي مقاومة من ملك حماة (ايدكرلينا) . وفي عام ٧٤٥ ق.م هاجم تغلات بلاتسر الثاني حماة ، فصالحه ملكها (انيبال) . ثم هاجم سرجون الاشوري وادي العاصي وهزم الحثيين الذين انقرضت دولتهم وانتشر بعدهم الأراميون [6]

وقد كان بدء التغلغل الآرامي لحماة منذ أواخر القرن الحادي عشر والاراميون قبائل دخلت منطقة حماة اثر الفوضى التي واجهت الحثيين في ذاك العصر ، وقد استطاع الاراميون تشكيل دولة خاصة بهم في حماه ضمت بعض المدن والمواقع واهمها مدينة أفاميا .

وشهدت الدولة ازدهاراً بقي حتى وقع الصراع بينها وبين الملك سليمان من جهة وبين الأشوريين من جهة اخرى، وكانت حماة دائما إلى جانب سائر الممالك الارامية مثل مملكة دمشق وصوبا وشمأل. ومن اهم ملوك الآراميين في حماة الملك زكير الذي اوصل حدود دولته إلى حلب ، وخاف ملك دمشق

---

(١) نفس المصدر : صفحة ٧ وما بعدها ، مجلة العمران عدد حماة مقال عدنان المفتي

(٢) الحوليات مجلة ١٤ عام ١٩٦٤ ص٢٤٣ وما بعدها العمران عدد حماه ص١١٦ وما بعدها

(٣) معالم واعلام : مادة حماة / العمران عدد حماة : ١١٦ وما بعدها

(٤) قاموس الكتاب المقدس : مادة حماة ، حثي : ج١ : ٢٦٠ ، تاريخ لبنان لامارتين : ٣٤٦ ، الدبس ج١ : ١٥٤

(٥) قاموس الكتاب المقدس : مادة حماة : حثي ج١ : ٢٦٠ / تاريخ لبنان لامارتين : ٣٤٦ ، اسد الاشقر : ٢٠٩

(٦) تاريخ حماة : للصابوني ٣٧ وما بعدها ، دائرة المعارف البستاني ، دائرة المعارف الاسلامية ، قاموس الكتاب المقدس : مادة حماة ، تاريخ لبنان لامانين اليسوعي : ٣٤٦ ، أسد الاشقر ج١ : ٢٠٨ / الدبس ح ، ١٢٦ وما بعدها .

الارامي من توسع زكير فاقام حلفامن ستةعشر ملكا ضده، ولكن لم يستطع هزيمته وقام زكير مستنجداً بالاشوريين الذين انجدوه . وقد اكتشفت مسلة في افيس جنوب غرب حلب ٤٠ كم نقش عليها تفاصيل عن هذه الحرب والمسلة موجودة الآن في متحف اللوفر بباريس [1]

وقد اشترك ملك حماة بالحلف الذي قام ضد الاشوريين للتخلص من الجزية المفروضة ، إلا ان سرجون الثاني الأشوري قام عام ٧٢٠ ق .م بمهاجمتهم .

وحدثت موقعة قرمز على النهر العاصي التي انتهت لصالح سرجون الثاني ، والقي القبض على ملك حماة وقتل وسلخ جلده ، واحضر إلى حماة ٦٣٠٠ آشوري وأقام عليها حاكماً آشورياً ونقل إلى حران على ضفاف الخابور من سبع وعشرين الفاً من سكانها ، وبذلك انهى مملكة حماة الأرامية [2] ثم انتقلت حماة ضمن الاطار السوري إلى السيطرة الفارسية إلا أن هذه السيطرة لم تدم طويلاً اذ أنهى الاسكندر المقدوني الوجود الفارسي في سورية اثر معركة افسوس سنة ٣٣٣ ق .م واصبحت حماة تابعة للمقدونيين [3] .

وبعد وفاةالاسكندر الكبير قام قائده بروكاس بتقسيم المملكة على ضباط الاسكندر ، فكانت سورية من حصة سلوقس الذي حكم سورية الشمالية وما بين النهرين إلى الهند [4] .

واثر الفتح الروماني لسورية عام ٦٤ ق .م بقيادة بومبي ، غدت سورية ولاية واحدة عاصمتها انطاكية وقد استمر الوضع هكذا رغم ظهور تقدم في المنطقة وخاصة اثر استلام الاسرة السورية الحكم في روما وعلى رأسها سبتم سيفر وخلفاؤه حيث وجهت لسورية عناية خاصة كذلك خضعت حماة لملكة تدمر زنوبيا (زينب) أثناء حكمها ، ثم تبعت حماة الحكم البيزنطي ضمن ولاية سورية وفي نهاية القرن الرابع الميلادي كانت حماة من تبعية سورية الثانية والتي تضم العاصمة أفاميا وحماة واريثوزة (الرستن) ولاريا (شيزر) [5]

وفي هذه الفترة مر امرؤ القيس بحماة وقال قصيدته المشهورة (المعلقة) وفيها :

---

(١) تاريخ لبنان لامارتين : ٣٤٧ ـ الممالك الارامية : ٨٦ ، اسد الاشقر ج١ /٢٣٤/ الدبس ج١ : ١٢٦ وما بعدها .

(٢) راجع الممالك الارامية : ٨٦ وما بعدها ، وراجع فيليب حتي جزء (١) ١٨٩

(٣) تاريخ شيزر ص٨٨ وما بعدها : حتي ج١ : ٢٥٣ ، اسد الاشقر ج١ : ٢٦٥/ وما بعدها / تاريخ الدبس ج٣ / ٥٠

(٤) تاريخ حمص للخوري عيسى أسعد : ٢٢٨ وما بعدها : حتي ج١ : ٢٦٠/ الدبس ج٣ : ٨٥ وما بعدها

(٥) تاريخ الدبس : ج٣ : ٢٧٤ حتي ج١ : ٣٠٨ وما بعدها

تقطع اسباب اللبانة والهوى
عشية جاوزنا حماة فشيزرا [1]

وقبيل الفتح العربي الإسلامي لحماة قام خسرو الثاني الفارسي بالهجوم على سورية سنة ٦١١ -٦١٤م ، وأعمل فيها القتل والدمار . وبعد أربعة عشر عاماً أعاد البيزنطيون بقيادة هرقل سورية إلى الحكم البيزنطي وطرد الفرس . وقد تولى هرقل حكم ولايةسورية ومعروف انه في عهده تم الفتح الاسلامي لبلاد الشام [2]

ومن المرجع أنه في سنة ١٥ للهجرة تم فتح مدينة حمص على يد ابي عبيدة بن الجراح الذي انضم إليه خالد بن الوليد . وبعد ان تم فتح حمص جاء حماة أبو عبيدة فصالح اهلها عل الجزية على رؤ وسهم والخراج على أرضهم وجعل كنيستهم العظمى جامعاً وهو الجامع الكبير [3]

إلا ان الهجوم العكسي الذي شنه هرقل على القوات الاسلامية اجبر المسلين على التخلي عن بعض المواقع في بلاد الشام الشمالية ومن ضمنها حماة في سبيل تجميع القوات لمقابلة الجيش البيزنطي . وتمت المعركة الفاصلة في اليرموك حيث انتصر العرب المسلمون في اب عام ٦٣٦م . فعادت القوات الاسلامية بعدها لاسترداد حماة حوالي عام ٦٣٨م [4]

وقد جعل الخلفاء الراشدون حماةمن اعمال جند حمص لان حمص كانت في حينها واعتبارأمن العهد البيزنطي حاضرة للمنطقة الوسطى والشمالية من سوريةبسبب تخريب حماة نتيجة حروب البيزنطيين مع الفرس [5] واستمر الوضع هكذا في أوائل زمن الخلافة الاموية . إذ بقيت حماة من اعمال جند حمص الذي شمل وسط بلاد الشام مع قسمها الشمالي . إلا انه في عهد يزيد قسم جند حمص إلى قسمين جند حمص وجند قنسرين وتبعت حماة جند قنسرين .

وكان لهجرة القبائل العربية بعد الفتح واستقرارها في أطراف المدن التي دعيت باسم (حاضر) أثر كبير على التركيب البشري والقبلي لشمالي بلاد الشام ، حيث تركزت هناك قبيلة كلاب بينما استقرت قبيلة كلب في الجنوب .

---

(١) معجم البلدان مادة حماة .

(٢) حتي ج٢ : ٣ وما بعدها ، الدبس ج٤ : ٥٤٩ وما بعدها
وراجع العمران العدد الخاص بمدينة حماة .

(٣) جولة أثرية احمد وصفي زكريا وقد حدد تاريخ الفتح ١٧هـ بينما حدد الطبري تاريخ فتح حمص ب ١٥هـ انمر ص٢ ٤

(٤) نفس المصدر والصفحة

(٥) بحث سهيل زكار عن أبي الفداء في مهرجانه راجع كتاب المهرجان ص٤٢ . العمران العدد الخاص بحماة وفيه عدة مقالات حول هذا الموضوع .

وقد استقر الصراع بين كلب وكلاب ، مما أكد الانقسام السياسي في بلاد الشام بين الشمال والجنوب - كما سلفت الاشارة - وكان له تأثير كبير على مستقبل عدد من المدن الشامية البارزة. فقد تأثرت حمص بشكل كبير وبدأت تفقد أهميتها تدريجياً، كذلك تأخرت مدينة قنسرين التي أخذت بالتقهقر. وبالعكس زادت أهمية حلب التي احتلت مكان الصدارة بين مدن الشام على حساب قنسرين وانطاكية واصبحت حلب عاصمة الشمال ومركزاً للصراع مع الجنوب الذي احتلت الصدارة فيه مدينة دمشق عاصمة الخلافة الاموية .[1]

وأخذ الصراع بين كلب وكلاب يتحول : الى صراع بين جنوب بلاد الشام وشمالها ، وتركز الصراع بين حلب ودمشق ذاك الصراع الذي توضح أكثر بعد زوال الدولة الاموية ، بسبب انشغال الدولة العباسية بمشاكل شرقي الدولة الاسلامية وبامور العاصمة بغداد والعراق عموماً يضاف إلى ذلك النظام الدفاعي في منطقة الحدود مع بيزنطة الذي ساهم باعطاء اهمية خاصة لمدينة حلب وساهم في تحويلها إلى مركز سياسي شبه مستقل [2].

وسلف القول أنه بعد مصرع الخليفة المتوكل على الله العباسي ، واستيلاء الجند على مقاليد الامور في مركز الدولة العباسية ، أخذت اجزاء كثيرة من أطراف الدولة الاسلامية وخاصة في الغرب بالانفصال وتشكيل دولة مستقلة تربطها بالعاصمة روابط اسمية شكلية . وقد شكل هذا الاستقلال موجة متنقلة من مكان لآخر ، فانتقلت عدوى الانفصال حتى وصلت إقليم مصر الذي شكل دولة مستقلة ذات سياسة خارجية محدودة تجاه بلاد الشام تعتمد اعتبار الشام خط دفاع شمالي مصر .

وقد نجحت مصر الاسلامية المستقلة فعلاً في احتلال بلاد الشام إلا أنها اخفقت في الاحـ بالقسم الشمالي من هذه البلاد وذلك لأسباب كثيرة أهمها - بعد الشمال عن مصر ، ووجود قبيلة كلاب التي نجحت بالاحتفاظ باستقلالها وبديارها ، وساهمت سياسة الامبراطورية البيزنطية التي استهدفت أن يكون على حدودها دولة صغيرة تعجز مصر القوية عنها في بقاء استقلال [3] الشمال او بالحري مدينة حلب التي غدت ولاية كلابية لصالح مصر .

إلا أن وجود الدولة الحمدانية في الموصل حرم قبيلة كلاب من تشكيل دولة مستقلة بها ، أضيف إلى ذلك طبيعة تركيب القبيلة . مما ساعد على قيام الدولة الحمدانية في حلب

---

(1) ديوان ابن ابي حصينة ج1 : 163 ، مرآة الزمان حوادث 452 / مختارات من كتابات المؤرخين العرب : 87- 95 .

(2) مهرجان أبي الفداء ، العمران العدد الخاص بحماة

(3) حطين : 40

وبذلك أصبحت حلب مركزاً لدولة صغيرة تحكم شمال بلاد الشام وتتطلع باستمرار للتوسع على حساب الجنوب مما جعل حماة ومنطقتها ميدان هذا الصراع الذي أخذ شكل [illegible] بين دمشق وحلب . وقد ساعد هذا الصراع على دفع حماة وتقدمها وخصوصاً أن الصراع لم يحسم من قبل أي من الفريقين مما جعل حماة تأخذ بالتحول منذ أواخر القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي من حقل للصراع إلى منطقة عازلة بين القوتين المتصارعتين وتطورت حماة من بلدة صغيرة كانت تابعة لجند حمص ، وبدأت تتحول إلى مدينة من أبرز مدن الشام واكبرها[1] ففي القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي تدفقت جموع الغز إلى خراسان ونجم عن ذلك قيام السلطنة السلجوقية . ولم يتوقف زحف الغز عند حدود خراسان بل تابعت قبائلهم الاندفاع نحو العراق وارمينيا وآسيا الصغرى والجزيرة وبلاد الشام ، وترافق هذا مع دخول السلاجقة إلى العراق وإزالة التحكم البويهي فيها .

وفي هذا الوقت كانت بلاد الشام ممزقة وكان الوضع فيها كما يلي :

كانت حلب ومعظم مناطق شمال الشام تحت الحكم المرداسي . بينما كانت دمشق مع معظم مناطق جنوب بلاد الشام تحت الحكم الفاطمي ، وكانت شيزر وكفر طاب تحت حكم بني منقذ وفي معرة مصرين وجبل السماق كان هناك تجمعات لاتباع الدعوة الاسماعيلية من نزارية مستعلية مع اعداد من الدروز وسواهم [2]

وقد أغار السلاجقة سنة ٤٦٣ هـ/ ١٠٧٠م على الدولة المرداسية في شمال سورية، واستتبعوا حاكمها المرداسي ثم اقتحم اتسز أحد زعماء التركمان فلسطين حتى عسقلان منتزعاً تلك المناطق من أيدي الفاطميين وفي سنة ٤٦٤هـ/ ١٠٧١م احرز الب ارسلان انتصاراً حاسماً على البيزنطيين في معركة منازكرد وكان نتيجة ذلك أن تدفقت قبائل التركمان على شمالي بلاد الشام وآسيا الصغرى . وفي عهد ملكشاه بن الب ارسلان (١٠٧٢ -١٠٨٢) دخل اتسز دمشق سنة ١٠٧٦م بينما بقيت مناطق حماة تحت سيادة أمير شيرز (عز الدولة أبو المرهف) الذي اعتصم في قلعته المنيعة واعترف بسلطنة ملكشاه وفي عام ١٠٧٩ دخل تتش بن الب أرسلان أخو ملكشاه دمشق وقتل اتسز [3]

خلف ملكشاه وراءه آق سنقر قسيم الدولة والياً على حلب وقد بقي حاكماً فيها مايقارب من سبع سنوات وتعتبر فترة حكمه هامة في تاريخ حلب وشمالي بلاد الشام

---

(١) بحث زكار في مهرجان أبي الفداء ، تاريخ العصر الأيوبي : ٥ -٩ - حتي ج٢ : ١٩٤

(٢) حطين ٤٢ / حتي ج٢ : ٢١٤ ،

(٣) المدخل ص٧٥ وما بعدها ، تاريخ شيرز ص١٥٠ وما بعدها ، العمران المدد الخاص بحماة . .

فهو اول حاكم سلجوقي لحلب وهو أبو زنكي مؤسس الدولة الاتابكية وجد نور الدين الشهيد وجل الحروب الصليبية [1]

وقد جهد تُتش منذ ان أصبح الحاكم بدمشق في العمل على مدّ سلطانه على بلدان الشام ومدنه خاصة التي كانت تدين بالطاعة للخلافة الفاطمية أو تحكم من قبلها مباشرة وطلب تُتش من اخيه ملكشاه دعم جهوده لاستخلاص مدن ساحل الشام من ايدي الفاطميين ، وأوعز ملكشاه إلى قسيم الدولة آق سنقر والي حلب وإلى بوزان صاحب الرُها بأن يساعدا تُتش في ذلك . ولكنهما لم يقدما مساعدات مفيدة لتتش [2].

وقد وصل في سنة ٤٨٢هـ/ ١٠٨٩م إلى الساحل الشامي جيش فاطمي وتمكن من أخذ صيدا وصور وجبيل وعكا .

وقام بحصار بعلبك . وأثناء الحصار وصل للمعسكر الفاطمي خلف بن ملاعب صاحب حمص وأفاميه ، واعترف لقائد فاطمي وجد في المنطقة بالسلطة للخليفة الفاطمي . وقام تتش بحث السلطان على مهاجمة حمص لذلك اعطى السلطان القيادة إلى تُتش الذي انضم إليه آق سنقر وبوزان . وبعد أن تمكنت قواتهم من اقتحام حمص انعم السلطان بها على أخيه تاج الدولة تتش وبقيت كفر طاب وشيزر في ظل امرائها من آل منقذ بمنأى عن الخلافات بين تتش وآق سنقر تلك الخلافات التي تفجرت أثناء حصار طرابلس بعد القضاء على خلف بن ملاعب حاكم حمص . فنجد ان آق سنقر وأثناء عودته من طرابلس إلى حلب قام باحتلال أفامية التي كانت من أملاك ابن ملاعب ، لكنه سلمها إلى نصر ابن علي الامير المنقذي لشيزر مما قد يعني ان العلاقات بين آق سنقر واسرة آل منقذ كانت طيبة ، مع أنه سبق عام ١٠٨٨م ان حاول آق سنقر احتلال شيزر [3] وهذا يدل على ان اعطاء افامية للحاكم المنقذي لم تكن عن طيبة خاطر بل كان تقوية لدور شيزر كإمارة عازلة بين القوتين المتصارعتين في الشمال والجنوب من بلاد الشام .

ونتيجة للصراع القائم بين آق سنقر وتُتش وخصوصاً بعد موت ملكشاه وإعلان تُتش نفسه خليفة لأخيه وسلطاناً للامبراطورية السلجوقية وقيام آق سنقر بتأييده التأييد الذي تحول نحو بركيا روق الابن الاكبر لملكشاه ، فكان نتيجته أن وقعت الواقعة بين الطرفين وانتهت بأن وقع آق سنقر آسيراً بيد تتش فقتله واستولى على حلب وبذلك توحدت بلاد الشام ، إلا ان الامر لم يدم طويلاً فقد قتل تتش في اصفهان فقام ابنه رضوان بالتوجه إلى حلب وتسلمها من وزير ابيه ابي القاسم بن بديع عام ٤٨٨هـ

---

(١) المدخل ص٢١٥ ، حتي ج٢ : ٢٠٧

(٢) ابن عساكر ج٦ : ٥٠ظ / العظيمي ١٨٨ظ / الكامل لابن الاثير ج٨ : ١٧٥ - ١٧٦ زبدة الحلب ج٢ : ١١٩ - ١٢٢ / المختصر ج١ : ٢١٦ - ٢١٧ / حتي ج٢ : ٢١٠ وما بعدها

(٣) ابن القلانسي ١٢٠ - ١٢١ ، مفرج الكروب ١ / ١٩ / النجوم الزاهرة ٥ / ١٣٢ / حتي ج٢ : ٢١٢

١٠٩٥م وتولى حسين جناح الدولة تدبير ملكه لانه كان زوج أمه وأخذ بالتضييق على ابن تتش الاخر دقاق
فهرب بتحريض من نائب دمشق (ساوتكين) إلى دمشق وأصبح حاكمها الشرعي ، وبذلك عاد النزق
إلى بلاد الشام : الشمال بظل حكم رضوان ومركزه حلب والجنوب بظل حكم دقاق ومركزه دمشق [١] إلا
أن رضوان الذي ولد وترعرع في دمشق أراد استرجاعها من أخيه ، لذلك هاجمها وحاصرها ، ولكنه
اخفق في الاستيلاء عليها وذلك عام ٤٨٩ هـ/ ١٠٩٦م ورغم اخفاق رضوان في احتلال دمشق نجده يقوم
بمحاولة عن طريق الفاطميين فقام بإعلان الدعوة للفاطميين .

أثناء الحروب الصليبية ، ونتيجة لنشاط إدارة أنطاكية ، ونظراً لما الم بحلب من ضعف فقد
غدت حماة من أملاك دمشق ، لكن ما أن تأسس حكم عماد الدين زنكي في الموصل ، ومدّ زنكي سلطانه
الى حلب حتى وكز جهوده على حماة فانتزعها من أملاك بوري بن طغتكين أتابك دمشق . وفي عام
٥٢٧ هـ/ ١١٣٢ م مات بوري بن طغتكين صاحب دمشق فخلفه ابنه اسماعيل وفي تلك السنة
٥٢٧ هـ/ ١١٣٢ م احتل اسماعيل حصن بانياس من الافرنج ، كما فتح حماة ثم حاصر شيزر إلا أن
سلطان بن منقذ صانعه بمال حمله إليه [٢] .

وإثر قدوم الامبراطور البيزنطي حناكومنين لمحاصرة أنطاكية ، تم الاتفاق بين الامبراطور وريموند
صاحب أنطاكية على أن يتسلم الامبراطور أنطاكية لقاء إعطاء ريموند إمارة تتألف من حلب وشيزر في
حلب بعد أن وعده الفاطميون بمساعدته بجيش يرسل من القاهرة في سبيل احتلال دمشق ، ولكنه اقلع
عن الدعوة للفاطميين أثر الخلافات التي حدثت قرب شيزر بين امراء جيشه .

واستغل أهالي أفامية هذا النزاع فتخلصوا من حاكمهم المعين من قبل تُتش واحضروا من القاهرة
خلف بن ملاعب والياً عليهم [٣] .

وهنا بدأ في الظهور على مسرح بلاد الشام قوى الحملة الصليبية الأولى ، ووقعت معركة أنطاكية
وكان لسقوطها المأساوي [٤] بأبعاده الكبيرة ، وكان من نتيجته اعتبار أنطاكية مركز انطلاق للصليبيين .
وتوجه قسم منهم شرقا عبر مناطق الثغور الإسلامية نحو الرّها فاحتلتها وشكلت منها قاعدة لإحدى
إمارات الصليبيين في المشرق[٥] ، بينما تابعت معظم جموع الفرنجة الزحف جنوباً وأخذت من إمارة حلب

---

(١) ابن القلانسي : ١٢١ وما بعدها . مفرج الكروب ج١ : ٢١ النجوم الزاهرة ج٥ص / ١٣٥

(٢) ابن القلانسي : ٣٨ ، الكامل ج ٨ : ٣٤٠ - ٣٤١

(٣) تاريخ شيزر ١٧٢ ، عماد الدين زنكي ١٢٠ ، تاريخ العصر الأيوبي : ٤٠ - ٤٣ ، حطين : ٦٦

(٤) المدخل ص ٢٤٥ ، الحروب الصليبية للتميمي ٥٤ - ٦١ ، تاريخ العصر الأيوبي : ٩ - ١١ و ٣٩ - ٤١ حتي
ج ٢ : ٢٢٤ وما بعدها .

(٥) الحروب الصليبية الأولى ص ١٣٠ وما بعدها ، الحروب الصليبية لسميل ص ١٦٥ ، تايخ العصر الأيوبي
١٩ - ٢٠ ، حتي ج ٢ : ٢٢٦ ، حطين : ٥٠ ، المدخل : ٢٤٧ ، حطين : ٦٣

معظم أملاكها وهددت المدينة بذاتها ، وقد ضعف شأن رضوان فجعل من أتباع الدعوة الإسماعيلية الجديدة التي أسسها حسن الصباح حليفاً له ، واستطاع بعد جهد القضاء على الثورات التي قامت بحلب نتيجة تحالفه الجديد .

واستطاع دس من يغتال حاكم حمص الأتابك جناح الدولة حسين ، إلا أن النتيجة كانت عكس ما رجاه حيث عادت حمص الى دمشق وشجع هذا الاغتيال أتابك دمشق طغتكين على التخلص من دُقاق الذي دس له السم عن طريق جارية بتحريض من أمه ، واستمر الصراع بين حلب ودمشق .

وتجدداً جعلت تلك الصراعات المستمرة من حماة مركزاً أولياً للمواجهة بين قوى الشمال وقوى الجنوب وأعطت حماة أهمية كبيرة لم تستطع حمص انتزاعه ، سيما وأنها ألحقت بدمشق ، وازدادت هذه الأهمية في حماة وحمص [1] . وفي عام ٥٣٣ هـ/ ١١٣٨ م حاصر الامبراطور شيزر وفي نفس الوقت كان زنكي يحاصر حماة إلا أنه تخلى عن محاصرتها وسار لمساعدة شيزر ، وأرسل السلطان حملة لقتال الإفرنج ، أضف الى ذلك أن اختلاف النوايا والأهداف بين قادة الإفرنج أدى الى إخفاقه في حصار شيزر مما أجبره على قبول عرض قدمه أمير شيزر لقاء مبالغ وهدايا فتركها وعاد لإنطاكية . وفي عام ٥٣٦ هـ ، ١١٤٣ م احتالت الباطنية على أمير مصياف وكان مولى لبني منقذ فملكوا الحصن وفي عام ٥٣٩ هـ ، ١١٤٦ م سقطت الرّها الصليبية بيد زنكي [2] وفي عام ١١٤٦ . توفي زنكي أثر اغتياله [3] أثناء حصاره لقلعة جعبر قرب الفرات .

وخلفه أبناؤه فحكم الموصل ابنه سيف الدين غازي وحلب ابنه نور الدين الذي أخذ يقاتل بنجاح الصليبيين وفي عام ٥٤٩هـ، ١١٥٤م هاجم نور الدين دمشق ودخلها [4] بينما احتفظت شيزر باستقلالها حتى هدمها الزلزال عام ٥٥٢ هـ/١١٥٧ ، عندها دخلها جماعة من الحشيشية واحتلوا قلعتها وقد هاجمهم الصليبيون وكادوا يحتلون القلعة لولا انشقاقهم وخلافهم لمن ستكون له شيزر فاضطروا للانسحاب وبعدها احتلها نور الدين وسلمها الى أخيه بالرضاعة مجد الدين ابن الداية [5] .

بعد هذا العرض تبقى أخبار حماة في العصر النوري نادرة وغير ذات أهمية ولعل ما يجري عرضه حتى الآن يفي بغرض ايضاح تطور مكانة حماة حتى تاريخ قيام الدولة الأيوبية ، الذي سيكون محور الحديث في الفصل التالي :

---

(١) تايخ شيزر ١٧٢ ، عماد الدين زنكي ١٤٣ ، حتي ج ٢ : ٢٣٢

(٢) تاريخ شيزر ١٧٨ ، الإعلام التبين ص ٤٧ ، تاريخ العصر الأيوبي : ٥٠ ـ ٥٤ ، حتي ج ٢ : ٢٣٤

(٣) تاريخ شيزر ١٧٨ ، الإعلام والتبيين ص ٤٩ ، تايخ العصر الأيوبي : ٥٤ ـ ٥٥ ، حطين : ٦٧

(٤) تاريخ شيزر ١٧٨ ، الحروب الصليبية للتميمي ص ١١٣ ، تاريخ العصر الأيوبي ٦٤ ـ ٦٨ حطين : ٦٨

(٥) تاريخ شيزر : ١٧٩ الإعلام والتبيين ٥١ ، تاريخ العصر الأيوبي : ٧٢ ـ ٨١ حتي ج ٢ : ٢٣٥

# الفصل الأول

# صلاح الدين الأيوبي وقيام الدولة الأيوبية

سكنت المناطق الجبلية الواقعة في أعالي الجزيرة شمال وشمال شرقي الموصل اعداد كبيرة من القبائل الكردية التي كانت اعداد كبيرة منها تهاجر لتقطن بلدان الجزيرة وتستوطن بها مندمجة مع سكانها ، وصادف ذلك ضعف الخلافة العباسية وانفصال بعض اجزاء من اطرافها عنها مما شجع الاكراد للانضمام الى عساكر الدويلات المنفصلة او الاتجاه نحو الحدود البيزنطية والإغارة عليها . وقد استطاع احد قادة جماعة من الأكراد وهو (باذ) في تأسيس دولة في ميافارقين وديار بكر في الجزيرة عرفت باسم الدولة المروانية (٣٧٢ - ٤٧٨ هـ ، ٩٨٣ - ١٠٨٥ م)

وفي القرن الحادي عشر هاجرت قبائل التركمان من منطقة ما وراء نهر جيحون الى خراسان والعراق والجزيرة وآسيا الصغرى والشام ، مما دفع أمامهم كميات من الأكراد نحو دويلات بلاد الشام والعراق والجزيرة منخرطين في جيوش هذه الدويلات ، وبالتالي سمح تغلغلهم فيها ممهداً السبيل أمام الأكراد لوراثة التركمان والحلول محلهم .

وقد نجح عماد الدين زنكي في تأسيس الدولة الاتابكية في الموصل ، ولكن نتيجة تورطه في الصراعات السلجوقية في العراق ، واثر انهزامه في العراق عام ٥٢٦ هـ/ ١١٣٢ م انسحب بفلول جيشه نحو تكريت يريد جواز دجلة . وكانت قلعة تكريت يحكمها ضابط كردي اسمه نجم الدين ايوب بن شاذي بن مروان الذي قدم له الكثير من المساعدات في سبيل عبوره نهر دجلة . إلا أن هذه المساعدات من جهة أخرى ، كانت سبباً في عزل نجم الدين أيوب عن ولاية تكريت التابعة لبغداد . فاضطر للالتجاء الى الموصل الى زنكي الذي احسن استقباله واقطعه واسرته إقطاعات كثيرة.وانخرط أفراد الأسرة في خدمة زنكي وبرز بعد أيوب أخوه شيركوه الذي برهن على قدرات عسكرية فائقة .

بعد احتلال زنكي بعلبك عام ٥٤٣ هـ/ ١١٤٠ م عين أيوب والد صلاح الدين والياً عليها واقطعه ثلثها . ولكن بعد وفاة زنكي أصبحت بعلبك من أملاك دمشق .

وفي سنة ١١٥٢م غادر شيركوه وابن أخيه صلاح الدين الذي اصبح في الرابعة عشرة من عمره بعلبك الى حلب ودخلا في خدمة نور الدين الشهيد وهناك أصبح شيركوه من ابرز ضباط نور الدين

وبالتالي أصبح صلاح الدين نائباً عن عمه ومرافقاً له في حله وترحاله كذلك استطاع انتزاع إعجاب نور الدين وثقته وأصبح من مرافقيه .[1]

بدأت شهرة صلاح الدين أثر مرافقته لعمه شيركوه في الحملات التي أرسله بها نور الدين الى مصر ، مقر الخلافة الفاطمية التي ضعف نفوذها ، وتسلط على الخلفاء قادة جندهم الذين أصبحوا هم الحكام فعلياً ، اعتباراً من بدر الجمالي الذي قام بحركة هدفت التسلط على الخليفة والقصر عام ٤٦٧ هـ/ ١٠٧٤ م وكان من نتيجة تدخله أن انقسمت الدعوة الاسماعيلية الى شطرين نزارية ومستعلية اثر قيامه بتعيين خليفة من قبله وهو المستعلي بدلاً عن ولي العهد نزار الابن الاكبر للمستنصر .

وبعد وفاة المستعلي حصلت بعض الاضرابات والصراعات الداخلية كان من نتيجتها أن طلب بعض رجالات الصراع مساعدة الصليبيين الذين كانوا يطمحون بالسيطرة على مصر . وكان من بين الذين تحكموا بمصر وزير اسمه شاور السعدي اصطدم بوالي الصعيد واسمه ضرغام بن ثعلبة ، فهزم مما اضطر لمغادرة القاهرة الى دمشق طلباً لمساعدة نور الدين [2] الذي اغتنم هذا الطلب فارسل جيشاً الى مصر بقيادة أسد الدين شيركوه ركان في الحملة صلاح الدين . واستطاعت هذه القوات الدخول للقاهرة وإعادة شاور للحكم . واضطرت هذه القوات للانسحاب من القاهرة بعد وصول القوات الصليبية التي استحضرها شاور تنفيذاً لاتفاق انسحاب متبادل [3] .

خاف نور الدين من تسلط الصليبيين على مصر فطلب موافقة الخليفة العباسي في بغداد على إرسال حملة الى مصر ، إلا أن تدخل الصليبيين أضطر الحملة للانسحاب ثانية أثر اتفاق انسحاب متبادل مع الصليبيين .

كان لوصول النجدات الصليبية لمصر اثر في طمع اموري ملك القدس الصليبي في احتلالها ، فزحف بقواته نحوها ولم يستجب لنداء شاور والخليفة الفاطمي بوقف زحفه مما اضطر للاستنجاد بنور

---

(١) الروضتين ١ : ٨٥ ـ ٨٨ ، ٢/ ٣٢٩ ـ ٣٣٠/ النوادر السلطانية : ٦٠ السلوك ج ١ ق ١ : ٤٠ ـ ٤٢ زبدة الحلب ج ٢ : ٢٥٥ ، حياة صلاح الدين : ٥٦ ، حطين : ٧٤ ـ ٧٥ ، تاريخ العصر الأيوبي : ٨٣

(٢) الروضتين ج ١ : ٨٥ ـ ١٠٠ ، حطين ٧٦ـ ٧٧ ، حياة صلاح الدين : ٦٢ ابن الأثير : ١٢١ ـ ١٢٢ ، مراة الزمان ج ١ : ٢٦٨ ـ ٢٧٠ ، الباهر : ١٣٢ ـ ١٣٤ ، الكامل ٩ : ٨١ ، الكواكب الدرية : ١٦٤ / ابن خلدون ج ٥ : ٢٤٦ ، سنا البرق الشامي ج ١ : ٦٢ ـ ٦٥ ، النوادر السلطانية : ٤ ، الحروب الصليبية للتميمي : ١١٧ ، شفاء القلوب : ٢٥ ـ ٤٦ ، نور الدين (المؤنس) : ٨٩ ـ ٢٩٧ تاريخ العصر الأيوبي : ٧٢ ـ ٨١

(٣) النوادر السلطانية ٢٣ ، سنا البرق الشامي : ٦٠ ـ ٦١ ، الباهر ١٢٢ ، الروضتين ١ : ١٢٩ ـ ١٣٢ ، منتخبات : ٢٠٧ ، تاريخ ابن أبي الدم : ١٥١ ظهر ، الكامل ٩ : ٨٤ ، الكواكب الدرية : ١٦٤ ـ ١٧٠ ابن خلدون ج٥ : ٢٤٧ و ٢٧٩ | شفاء القلوب : ٢٥ ـ ٤٦ ، حطين : ٧٩ ـ ٨٠ ، حياة صلاح الدين : ٨٤ ـ ٨٦ ، الحروب الصليبية للتميمي : ١١٩ ـ ١٢٠

الدين الذي أرسل أسد الدين شيركوه للمرة الثالثة ، إلا أنه في هذه المرة تخلص من شاور واستلم الوزارة بدلاً منه وأخذ يرتب شؤون مصر ولكنه توفي في ٢٢ جمادى الاخرة سنة أربع وستين وخمسمائة (٢٣/٣/١١٦٩ م) ففوض العاضد الوزارة الى صلاح الدين الذي كان يعتبره نور الدين نائباً عنه في مصر [1] .

وكان الجيش الشامي في مصر يتألف من مجموعتين ، واحدة عرفت باسم الأسدية والثانية بالنورية ، وهم من جماعة نور الدين ورفض هؤلاء وصول صلاح الدين الى السلطة في مصر وحدثت بين الفريقين بعض الصدامات كان النصر فيها لصلاح الدين الذي استطاع ضبط أمورهم وضبط أمور القصر مما قاده للصدام مع القوات السودانية في الجيش الفاطمي ، وتمكن من نفيهم من القاهرة وبذلك صفت له الأمور . وكان لانتصار صلاح الدين أيضاً على الصليبيين في حصار دمياط الأثر الاكبر في توطيد حكمه في مصر وتقوية نزعته الاستقلالية فيها ، ولم يكن من عثرة أمامه سوى نور الدين . وتحسباً للمستقبل أرسل صلاح الدين حملة الى اليمن واحتلها وضمها لسلطته . وبعد تمكنه من الموقف في مصر قام بإلغاء الخلافة الفاطمية بأن أمر الخطباء في أول جمعة من محرم سنة ٥٦٧هـ/ ١١٧١ م بقطع الخطبة للخليفة الفاطمي واستبدالها للخليفة العباسي ، ثم اتبع هذه الخطوة بسيطرته على مقر الخلافة في القاهرة وبيع موجوداته وذلك بعد وفاة الخليفة الفاطمي العاضد .

قام صلاح الدين بتجهيز الجيوش من اموال مصر مما خفض نسبة الاموال التي كان عليه ارسالها إلى نور الدين ، الأمر الذي خلق جواً متوتراً بين الطرفين بلغ ذروته عام ٥٦٨ هـ/ ١١٧٢ م عندما قرر نور الدين القيام بحملة حاسمة ضد فرنجة الشام ، وارسل الى صلاح الدين للاشتراك بالحملة والنزول على الكرك ومحاصرتها ليقوم هو أيضاً بالتحرك إلى الكرك والاجتماع به هناك ولكن أصحاب صلاح الدين خوفوه من الاجتماع بنور الدين فارسل إليه معتذراً عن الوصول إليه بسبب اختلال وضع مصر وخوفه من البعد عنها . فلم يقبل نور الدين عذره وأراد تجريد حمله الى مصر لإخراجه منها . فبلغ الخبر صلاح الدين الذي أرسل رسالة اعتذار مع هدية كبيرة مما أسكن غضب نور الدين ولكنه ظل وفي نيته إخراج صلاح الدين من مصر إلا ان المنية لم تمهله لتحقيق مراده إذ توفي يوم الأربعاء الحادي عشر من شوال عام ٥٦٩ هـ/ ١٥/٥/١١٧٤ م [2] .

---

(1) النوادر السلطانية : ٢٥ ـ ٢٦ ، حياة صلاح الدين : ٩٣ ـ ٩٥ ، الروضتين ج ١ : ١٥٧ ، حطين : ٨٧
، تاريخ العصر الايوبي : ٧٨ ـ ٨١ ، تاريخ ابن ابي الدم : ظهر ، ١٥٣ ، الكامل ٩ : ٨٥
الكواكب الدرية : ١٧٤ ـ ١٩٥ ، ابن خلدون ج ٥ : ٢٤٧ و ٢٨٢
الروضتين ج ١ : ٢٧٨ ـ ٢٠٣ ،

(2) سنا البرق الشامي ج ١ : ٧٧ ـ ١١٥ ، النوادر السلطانية : ٤١ ـ ٤٥ ، تاريخ العصر الأيوبي :
الباهر ، ١٤٣ ـ ١٥٩ مرآة الزمان ج ١ : ٢٧٩ ـ ٢٩٥ ، النجوم الزاهرة ج ٦ : ١٦ ـ ٢٤ ،
٩٧ ـ ١٠٨ ، حطين ٨٧ ـ ٩٧
الكواكب الدرية ١٩٥ ـ ٢٣٠ ، ابن خلدون ج٥ : ٢٤٩ ـ ٢٥٣ و ٢٨٤ ـ ٢٨٥

توفي نور الدين [1] عام ٥٦٩ هـ/ ١١٦٤ م تاركاً الحكم الى ابنه الملك الصالح اسماعيل الذي كان لم يبلغ من العمر احدى عشرة سنة، فتولى رعايته شمس الدين محمد بن عبد الملك المقدم . وبذلك وقع الخلاف بين الامراء النورية وكل منهم يعمل على إضعاف الآخر والايقاع به ، حتى ان بعضهم حالف الافرنج وقام سيف الدين ابن عم الملك الصالح صاحب الموصل بالاستيلاء على ما كان لنور الدين في أرض الجزيرة وأخذ باقي الأمراء كل منهم يستعمل ما بين يديه . وقد أرسل صلاح الدين يعاتبهم في ذلك ويطلب منهم نصرة ابن مولاه وإلا فإنه سيحضر لينصره . وفي هذه الاثناء مات ملك الافرنج (أموري) وخلفه ابنه الصغير بلدوين (الأبرص) .

طلب شمس الدين والي حلب الى الملك الصالح أن يغادر دمشق إليه ، وارسل في ذلك سعد الدين كمشتكين فرده أهل دمشق ، ولكنه عاد ثانية ورحل معه الملك الصالح ، ولما وصل الى حلب قام كمشتكين فالقى القبض على ابن الداية وأولاده وغيرهم من الأمراء وأودعهم السجن وانحاز للافرنج ليتقوى بهم [2]

بعد حركة كمشتكين خاف ابن المقدم ومن معه من الأمراء في دمشق على أنفسهم فراسلوا سيف الدولة صاحب الموصل الذي خاف أن يكون في الأمر خديعة فقام بمصالحة ابن عمه الملك الصالح الذي أقره على ما بيده ، مما ضيق على أمراء الشام الذين راسلوا صلاح الدين طالبين منه الحضور لينقذهم ، فقام صلاح الدين متهزاً تلك الفرصة ودخل دمشق بعد أن راسل الخليفة العباسي في بغداد ليسوّغ دخوله دمشق تحت سمعه وبصره ليحرر القدس والأراضي المقدسة ، وبعد استراحة عمل في دمشق توجه الى حمص فملكها ، وتركها وقد حاصر قلعتها وسافر منها الى حماة ، وكان الوالي عليها الأمير عز الدين جورديك ، وبعد تردد سلم الوالي المدينة وذهب رسولاً عن صلاح الدين لحلب - إلا ان كمشتكين أودعه السجن مما جعل صلاح الدين يتوجه الى حلب حيث حاصرها فقام كمشتكين بمراسلة الحشيشية ورئيس طائفتهم شيخ الجبل راشد الدين سنان ، وحاول بعض عناصر الحشيشية اغتيال صلاح الدين ولكن لم تنجح المحاولة ، لذلك عمد كمشتكين للافرنج والى ريموند الثالث أمير طرابلس الذي كان

---

(1) : الباهر : ١٥٨ - ١٦٢ الروضتين ج ١ : ٢٠٦ - ٢٣١ ، سنا البرق الشامي ج ١ : ١٢٣ - ١٥٥ ، النوادر : ٤٥ - ٤٧ ، مرآة الزمان ج ١ : ٢٩٢ - ٣٢٥ ، النجوم الزاهرة ج ١ : ٦٤ - ٧١ ، السلوك ج ١ ق ١ : السلطانية : ٤٥ - ٤٧ ، مرآة الزمان ج ١ : ٢٩٢ - ٣٢٥ ، ابن خلدون ج ٥ : ٢٥٣ ، ٢٨٩ - ٢٩٠ ، مؤنس : ٤٨ - ٥٥ الكامل ٩ : ١٢٤ تاريخ ابن أبي الدم : ٥٥ وجه ، willem of Tyre II 373—394, poole: 113—128 History of the Crusade I: 564—567, : ١٠٠ - ١٠٢ ، ٣٤١ - ٣٥٧ ورص : ١٠٠ - ١٠٢

Saladin 81—116

(2) سنا البرق الشامي ج ١ : ١٥٥ - ١٩٨ ، الباهر : ١٧٦ - ١٨١ ، الروضة من ج ١ (٢٣٠ - ٢٦٩) النوادر السلطانية : ٣٣ - ٧٥ ، زبدة الحلب ج ٣ : ٩ - ٦٧ مرآة الزمان ج ١ : ٣٢٦ - ٣٨٨ ، السلوك ج ١ ق ١ : ٥٨ - ٩٢ ابن خلدون شفاء القلوب : ٨٤ - ١٠٩ ، النجوم الزاهرة ج ٦ : ٧٣ - ١٠٤ ، ٥٦٠ : ٢٥٣ - ٢٥٤ و ٢٩٠ - ٢٩٢

willem of Tyre II 406—408, poole: 131—174 Saladin: 117—193 History of the Crusade I: 581—584

منذ أيام نور الدين لديه ، وكان قد أطلقه عند قيامه بأمر حلب طالباً منه إنجاده . فقام ريموند وهو
على بلدوين الرابع ملك القدس بالتوجه الى حمص ، مما اضطر صلاح الدين الى فك الحصار عن
ـب والتوجه إليهم ، إلا أنهم عادوا من حيث أتوا.فسار صلاح الدين الى دمشق واستولى في طريقه على
ـث (١)

بعد أن أعيت الحيلة الملك الصالح راسل سيف الدين غازي صاحب الموصل الذي جند الجنود
ـم الى جيش حلب وقصدوا صلاح الدين الذي حاول مصالحتهم ، إلا أن رفضهم للصلح أجبر
ـح الدين على قتالهم قرب حماة وكان النصر له وتبع فلولهم الى حلب وحاصرهم فيها ، بينما عاد سيف
ـن الى الموصل وجند الجند وتقابل جنده مع جند صلاح الدين ، فكان النصر لصلاح الدين بينما انضم
ـيف الدين وفلول عسكره لحلب ، ثم تابع صلاح الدين تقدمه نحو حلب فاحتل بزاعة ومنبج وأعزاز
ـدد الحصار على حلب ، وحاولت بعض عناصر الحشيشية اغتيال صلاح الدين أثناء حصاره حلب في
ـرة الثانية وأخفقت المحاولة ، مما أجبر الملك الصالح بعد تردد أن يصالح صلاح الدين على أن يبقى بيد
ـلاح الدين ما افتتح من بلاد وأن يبقى الملك الصالح بحلب التي لم يكن له فيها سوى المدينة
وما حولها .

فقفل صلاح الدين راجعاً الى دمشق وبعد وصوله إليها وصلت إليه خلع الخليفة وأمر الولاية من
قبله على مصر والشام واعتراف الخليفة به سلطاناً ، عندها قطع اسم الملك الصالح من الخطبة وضربت
النقود في القاهرة باسمه بدلاً من الملك الصالح . وبعد ذلك توجه صلاح الدين لمعاقبة الحشيشية في جبال
الدعوة فخرب بعض القرى وحاصر قلعة رئيسهم شيخ الجبل سنان في مصياف ، وضيق الحصار عليها
حتى أرسل سنان الى خال السلطان شهاب الدين الحارمي صاحب حماه ليتوسط في الصلح فقام بذلك على
أن يكفل شهاب الدين رجال الحشيشية ، عندها فك صلاح الدين حصاره وعاد لدمشق حيث اجتمع
بأخيه توران شاه والي اليمن ثم توجه الى مصر (٢) .

---

(١) حياة صلاح الدين : ١٢٦ - ١٣١ ، الحروب الصليبية للتميمي : ١٤٢ - ١٤٣ ، الروضتين : ٢٣٨ - ٢٤٠
النوادر السلطانية : ٣٢ ، منتخبات : ٢١٩ ، تاريخ العصر الأيوبي : ١١٣ - ١١٩ الكامل ٩ : ١٣١ ابن خلدون
ج ٥ : ٢٥٤ - ٢٥٥ ، ٢٩١
Saladin 131—141

(٢) حياة صلاح الدين : ١٣١ - ١٣٦ ، الحروب الصليبية للتميمي : ١٤٣ - ١٤٥ ، النوادر منتخبات : ٢٢٠ -
٢٢٢ تاريخ العصر الأيوبي : ١١٩ - ١٢٧
تاريخ ابن أبي الدم : ١٥٥ ظهر - ١٥٦ وجه ، الكامل ٩ : ١٣٩
ابن خلدون ج ٥ : ٢٥٦ - ٢٥٧ و ٢٩١
Saladin 141—145

## ١ ـ انتقال حماة للأيوبيين :

في عام ١١٥٤ م/٥٤٧هـ اخذ نور الدين حماه وقد ولى عليها الامير عز الدين جورديك، وعندما هاجم صلاح الدين حماة تردد واليها عزالدين في تسليمها وهو أحد أولئك الذين كانوا معه في الحملة الثالثة على مصر ولم يشأ ان يخدم تحت أمرته إلا ان صلاح الدين بيّن له انه إنما جاء ليحفظ البلاد من الافرنج ويسترد ما استولى عليه صاحب الموصل من املاك مولاهما نور الدين وانه في طاعة الملك الصالح ، فسلمه المدينة مستخلفاً على قلعتها اخاه ، ثم قبل ان يكون رسول صلاح الدين الى كمشتكين في حلب يطلب منه فك الأسرى وإطلاق المسجونين وعدم العمل على تفريق كلمة المسلمين وفي حلب اخذه كمشتكين وسجنه مع من سجنهم قبله ، فلما علم أخوه بذلك سلم القلعة الى صلاح الدين ، الذي ترك حماه وتوجه الى حلب [١] ، بعد أن عين حاكماً عليها علي بن أبي الفوارس نائباً عنه ، وقام بحصار حلب . وفي مستهل رجب ترك حصار حلب وعاد الى حماه إذ علم أن الافرنج قد نزلوا على حمص ووصل حماه ثامن رجب وبعد اجتماع قوات الملك الصالح وعمه سيف الدين غازي صاحب الموصل ارسل صلاح الدين بترك حمص وحماة على أن تبقى بيده دمشق وأن يكون فيها نائباً للملك الصالح ، ولما لم يستجيبوا لطلباته وساروا الى قتاله . وقعت المعركة عند قرني حماة [٢] وكانت الغلبة لصلاح الدين الذي لاحق جيوش خصومه المتفرقة باتجاه الموصل وعند وصوله حلب حاصرها ولما طلبت الصلح اجابها إليه ثم عاد الى حماه وكان منذ مطلع شهر شوال قد ولى حماه خاله شهاب الدين محمود بن تكش الحارمي [٣]

## ٢ ـ نظام الإقطاع في المملكة الأيوبية :

اعتمدت السلطنة الأيوبية نظام الإقطاع العسكري كنظام يشمل سائر انحاء الدولة الايوبية وهو نظام كان قد استقر منذ عهد الدولة السلجوقية واعتمدته الدولة النورية (زمن نور الدين) ويجري في هذا النظام إقطاع كل مدينة (أو ولاية) لوال أو أمير من الأمراء الذين يثق بهم السلطان او الملك وهذه الثقة قد تكون ممنوحة لشخص من أفراد الأسرة قربت قرابته او بعدت او من المخلصين للحكم او من الاصدقاء الأعزاء ، والوالي عليه تقع مسؤولية تولي شؤون المدينة أو الولاية بكامل نواحيها السياسية والعسكرية والإدارية .

---

(١) حياة صلاح الدين : ١٢٩ ، النوادر السلطانية ٢٢٠ ، تاريخ ابن أبي الدم : ١٥٥ ظهر ، ابن خلدون ج ٥ : ٢٥٦ سنا البرق الشامي ج ١ : ١٨٦ ـ ١٩٢ ، Saladin: 142—143

(٢) يعرفان الآن باسم جبل زين العابدين وجبل كفراع الى الشمال من المدينة على طرف الطريق الذي يصل حماه بحلب

(٣) تاريخ ابن أبي الدم : ١٥٦ وجه ، ابن خلدون ج ٥ : ٢٥٧ و ٢٩٨ ـ ٢٩٢ المصادر السابقة

والوالي تابع للسلطان وهو نائب عنه في ولايته أو مدينته والى السلطان يعود تصريف الامور الكبرى وله قيادة الشؤون السياسية العامة والشؤون العسكرية القضايا الاستراتيجية العامة المصيرية ، خصوصاً مايتعلق منها بسلامة المملكة ، سواء من أعدائها الداخليين أم من جهة الصليبيين وكان هذا النظام يعتبر من افضل الأنظمة في تلك العصور . وسندرس هذا النظام تفصيلاً عند دراستنا للحياة الإدارية في حماه . وقد كان صلاح الدين يعتمد أساساً في تمركزه على القاهرة مع أن لدمشق أهمية خاصة فهي العاصمة الثانية وهي العاصمة الحربية لقربها واستراتيجية موقعها بالنسبة للصليبيين ومواقعهم . وكان صلاح الدين أميل لتعيين الولاة من أهله وأقربائه المخلصين له تحسباً لما قد ينتج عن تعيين الغرباء ، الذين لا بد أن ينتهزوا أية بارقة ضعف في الدولة لينفردوا أو ليزيدوا ما تحت أيديهم من أراض وقطاعات .

وكان هذا النظام يستند على أساس الوراثة في تولية الإقطاعات ، إذ بعد وفاة الوالي يختار السلطان بالذات خلفاً له او والياً بدلاً عنه ويقوم بتعيينه بصرف النظر عن قرابته اوصلته بالوالي المتوفى . فالوالي يخضع تماماً للسلطة المركزية التي هي بيد السلطان صلاح الدين .

## ٣ ـ موقع حماه من المملكة الأيوبية :

رأينا فيا مضى مكانة حماه وأهمية موقعها في بلاد الشام تلك الاهمية التي اكتسبتها لكونها ضمن حلقة صراع شمال بلاد الشام مع جنوبها ، وكونها ضمن إطار الصراعات القبلية بين كلاب وما والاها وكلب وما والاها. وقد برزت أهمية حماه أكثر خلال الحروب الصليبية ، إذ كانت نقطة متقدمة للدفاع بين الشرق العربي والغرب الصليبي .

كما كان لموقعها على طرف بادية الشام تأثير كبير ناتج عن صلاتها مع البدو وعلاقاتهم بها ، إذ هي من أهم نقاط احتكاكهم بالحضر وعلى طريق قوافلهم وفي وجه غزواتهم ومحطة في حلهم وترحالهم وهجرتهم واستقرارهم . أما في عهد صلاح الدين فقد تقوى مركز حماه وتفوق على مركز شيزر الذي استقطب قيادة وأهمية المنطقة لفترة من الزمن ، فحماة كانت تعني لصلاح الدين الكثير فهي مركز رصد لأعدائه جميعاً وهي نقطة متقدمة ورأس حربة في الصراع الدائر في المنطقة .

ففي الشمال تركز الملك الصالح وسعد الدين كمشتكين وكلاهما كان من أكبر والد أعداء صلاح الدين وأكثر الوقائع التي تمت فيا بينها كانت دائماً تبتدأ من حماة وتنتهي شمالاً او شمال شرق حماة وكان لحماة النصيب الأكبر في تلك المعارك والغزوات وذاك الصراع المحموم وكان الملك الصالح ومن والاه يتحين الفرصة تلو الفرصة للانقضاض على حماة واستخلاصها من يد صلاح الدين ، أما في الشرق فكان البدو وكان وراء البدو صاحب الموصل حليف الملك الصالح وابن عمه وعدو صلاح الدين وكان دائم الاشتراك في الحروب مع الملك الصالح ضد صلاح الدين .[1]

(١) المصادر السابقة

أما بالنسبة للصليبيين فقد كانت حماة نقطة ضغط حساسة على صلاح الدين فمنها يمكن تحريك النزاع بين الشمال والجنوب، ومنها يمكن الضغط على صلاح الدين لفك أي حصار في أي موقع آخر وقد رأينا تنفيذ هذه الاستراتيجية عند الصليبيين مراراً ، فحماة بالنسبة إليهم قريبة جداً ، وهي بعيدة جداً عن صلاح الدين وقيادته ، وإن وصولهم لحماة أسرع بكثير من وصول نجدات صلاح الدين إليها ، لذلك اكتسبت حماة مركزاً دفاعياً خاصاً ، وكان لواليها صلاحيات خاصة في هذا الخصوص . ولهذا فإن صلاح الدين بعد أن عين عليها علياً بن أبي الفوارس، وبعد حوادثه في تلك الفترة مع الملك الصالح وصاحب الموصل والصليبيين ولى عليها خاله شهاب الدين لمركز خاله عنده ولوثوقه المطلق به . أما الحشيشية فقد كانت من أهم الأخطار التي تواجه حماة . فعلاقة الحشيشية بصلاح الدين كانت سيئة بالأساس ، وتحالفهم تارة مع الافرنج وأخرى مع الملك الصالح كان خطيراً بالنسبة له وقربهم من حماة كان سبباً لدخول أفراد ومقاتلي وفدائي الحشيشية الى مملكة صلاح الدين وكان ضغطهم يسبب أذى كبيراً له ويضطره المرة تلو المرة أن يغير من استراتيجيته أو أن يفك حصاره في سبيل عدم السماح لاختراق حماه من اي جهة خارجية عن حكمه وملكه . [1]

## ٤ ـ حدود حماه وما فيها :

كما سلفت الإشارة تقع حماه في منتهى المنخفض السوري الافريقي ويقع في غربها جبال عالية كثيرة المياه هي سلسلة جبال بهراء وفي الغرب حفرة طبيعية عميقة والى الشرق الاراضي الصحراوية والى الجنوب من حماه (١٥ كم) جبل معرين الذي يصل ارتفاعه ٦٩٤ م وفي شمال حماه (٧ كم) جبل يعرف باسم قرني حماه (جبل زين العابدين وكنراع حاليا)

وفي منطقة حماه ممرات طبيعية ذات استراتيجية عسكرية ، ففي الجهة الشمالية الجنوبية نجد الحفرة الانهدامية الطولانية التي تمتد من جبال طوروس حتى البحر الميت وهي ليست ذات ارتفاع متساو فهي تنخفض في منطقة حماة عند الغاب ويجرى نهر العاصي كما انه يعترضها بعض الخطوط العرضانية المصحوبة بالاراضي البركانية في جهات الغرب وهناك منحدر شيزر الذي يصل حماه من شمالها ويتصل بسهل حمص المتصل بسهل البقاع وهناك سهل الغاب القليل الانحدار يمر به نهر العاصي ببطء حتى أن ميله لا يزيد عن المتر الواحد على مسافة طولها ٦٠ كم [1]

وعبر هذه الممرات فإن هناك شبكة مواصلات هامة قديمة وحديثة ، تربط حماه مع الجبال وباتجاه طرطوس

---

(١) جغرافية حماه : ١ ـ ٣ ، انظر الخريطة رقم (١) من كتاب الحروب الصليبية . سهيل ص ١٥٠ . عماد الدين زنكي خارطة رقم (٢) ١٣٤
العمران العدد الخاص بحماة

ومن حماه باتجاه الشمال سواء عبر الغاب أو عبر الطريق الصحراوي الشمالي ، وهناك طرق تؤدي إلى طرابلس وبعلبك ، أما في الجنوب باتجاه حمص والبادية كذلك في الشرق باتجاه البادية وسلمية ، إن هذه الطرق التي تعتمد على ممرات طبيعية كانت اساساً للاستراتيجية العسكرية لحماة ، وكانت طرقاً للغزوات التي وصلت إليها من كافة الجهات عبر التاريخ وخصوصاً في فترة الحروب الصليبية . أما حدود حماه في العصر الايوبي فكانت تمتد جنوباً حتى الرستن ومن الغرب إلى أول حدود مصياف ومن الشرق حتى حدود الصحراء وتضم السلمية . أما في الشمال فقد كانت تصل الى حدود شيزر . ولم تكن هذه الحدود مستقرة تماماً فهي تعلقت بقوة حماة والطامعين فيها فقد كانت تتوسع بحدودها في جهة او اكثر او ان جوارها من حشيشية او صليبيين او حلبيين او سواهم يوسعون أملاكهم على حسابها . .

أما المدينة بحد ذاتها فهي تقع ضمن منخفض طبيعي كما قلنا وكانت منفصلة عن القلعة الواقعة على تل إلى الشرق من المدينة وامتدت حدود المدينة الشمالية إلى العاصي .

وأهم ما يجب ان نبحثه في هذا المضمار هو سور المدينة وقلعتها وهما أساس دفاع حماة وأساس بقائها في تلك الفترة .

وكان موقع مدينة حماة منذ العصور السحيقة في التاريخ هو موضع قلعتها الان التي جرت تنقيبات فيها اعتبارا من عام ١٩٣٢ حتى ١٩٣٨ وجدت فيها (١٣) سوية ، وأقدم المكتشفات الاثرية التي عثر عليها تعود إلى الألف الخامس قبل الميلاد . وتبين وجود تجمعات سكانية زراعية اسست النواة الأولى لما سيصبح في المستقبل مدينة حماة [1] وقد تطورت هذه النواة في الالف الرابعة قبل الميلاد وبدىء في انشاء اول سور لها اعتباراً من الالف الثالث ق.م .

وفي العصر الآرامي كانت قلعتها حصينة جداً تجاه الخطر الأشوري ، ولازالت بعض آثار هذه الفترة في بقايا قلعة حماة (المدخل الرئيسي للقلعة) وظلت هذه القلعة تتمتع باهميتها ، لكن يبدو أنها أهملت في العصور الاسلامية حتى اشتد الصراع على الشام وعلى حماة ، ثم كان أن تعرضت لزلازل شديدة هدمتها وفي الفترة التي نبحث عنها أعاد نور الدين بناء معظم ابنيتها بعد الزلزلة الكبرى التي حدثت عام ٥٥٢هـ/ ١١٥٧م كذلك رمم اسوارها وقلعتها .

وقد وصف المدينة ياقوت الحموي المتوفى عام ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م .

وبين أن فيها (في عصره) المدينة المسورة والتي تسمى السوق الاعلى (حالياً ما زال اسمها المدينة) وأن في ظاهر السور حاضراً كبيراً جداً (أي غير مسور) ، يسمى السوق الاسفل لانه منحط من المدينة وفي طرف المدينة قلعة عظيمة عجيبة في حصنها وانفاذ عمارتها وحفر خندقها نحو مائة ذراع وأكثرها للملك المنصور محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن ايوب . ويقول ايضاً إنها مدينة قديمة جاهلية إلا أنها لم تكن مثل ما هي اليوم من العظم بسلطان مفردبل كانت من عمل حمص .

---

(١) العمران العدد الخاص بحماة ص١١٦ مقال المفتي

إذاً بقيت حماة ضمن السور ويجدها شمالاً العاصي زمن ياقوت الحموي مع أنه في زمن الأخير ظهر الحاضر إلا انه لم يكن مسوراً . وأن سور حماة وقلعتها كانت ملفتة للانظار كما كانت نواعيرها ملفتة للانظار[1] . أما ابن النديم في كتابه بغية الطلب فيقول في وصف مدينة حماةمايشعر ان الحاضر أصبح مسوراً قبل وفاته أي قبل عام ٦٦٠هـ وهي مدينتان والقلعة بينهما وعلى كل مدينة منها سور وفيها سوق، والمدينة الغربية تعرف بسوق الأعلى والمدينة الشرقية تعرف بسوق الاسفل ولكل واحدة منهما مسجد جامع تقام فيه الخطبة ونهر الأرنط (العاصي) يحف بدور المدينتين ولم تكن قلعتها بالحصينة ولا المختارة وخربتها الزلزلة سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة وكانت زلزلة عظيمة هائلة ولما ملكها تقي الدين عمر ابن أخي السلطان الملك الناصر حصنها وقواها ، وجاء بعده ولده الملك المنصور محمد بن عمر فجدد أسوار القلعة وبناها وشيدها وعلاها فصارت من أحسن القلاع وأبهاها .[2]



(١) معجم البلدان : مادة حماة ، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر : ٢٨٠ ـ ٢٨١

(٢) مخطوطة بغية الطلب لابن العديم من مخطوطة أيا صوفيا ٤٨ وجه و٤٨ ظهر تاريخ ابن ابي الدم : ١٥٣ ظهر ، ابن خلدون ج٥ : ٢٥٩ ـ ٢٦٠

# الفصل الثاني

## حماة من التبعية إلى الاستقلال

سلف الذكر أنه كان لحماة موقع خاص ومكانة متميزة في الصراع الذي دار في بلاد الشام ، لذلك فإن صلاح الدين قد أولاها عناية خاصة فولى عليها أولاً علي بن ابي الفوارس ، وفي عهد هذا الوالي تمت معركة قرون حماة بين صلاح الدين من جهة وقوات اتابكة حلب والموصل من جهة ثانية وكانت الغلبة لصلاح الدين الذي تتبع آثارهم حتى حلب :

بعد عودة صلاح الدين عن حلب ذهب إلى بعلبك واحتلها ، ثم عاد إلى حمص ونزل بها فوجد الاتابكة . وقد اتجهوا نحو حماة واخذوا في حصارها ، واتصل بالسلطان ذلك فرحل عن بعلبك إلى حمص ، وبلغ الاتابكة فعادوا عن حماة ونزلوا قريباً من جبات التركمان إلى جهة العاصي ووضع الاتابكة اوزار القتال وسألوا والي حماة مكاتبة السلطان، فيما يجمع الكلمة ويلم شعث الفرقة فكتب ابن أبي الفوارس بذلك إلى السلطان وحسن له الصلح وتلطف في ذلك غاية التلطف ، وقدم ابو صالح ابن العجمي وسعد الدين كمشتكين لطلب الصلح فأجابها السلطان إلى ما ارادا ، وتقرر الأمر على أنه يرد إلى الاتابكة جميع الحصون والبلاد الشمالية ويقنع بدمشق وحدها ، ويكون نائباً للملك الصالح اسماعيل ابن نورالدين فلما عاين سعد الدين اجابه السلطان إلى الصلح والنزول عن جميع الحصون التي اخذها : حمص وحماة وبعلبك، طمع في جانب السلطان وتجاوز الحد في الاقتراح، وطلب الرحبه وأعمالها فقال : هي لابن عمي ولا سبيل إلى أخذها ، فقام سعد الدين من بين يديه نافراً وكان ذلك برأي أبي صالح بن العجمي لانه كان معه ، فاجتهد السلطان به أن يرجع ، فلم يفعل وخرج إلى عز الدين مسعود وكان ما يزال نازلاً على حماة وحدثه ما دار بينه وبين السلطان وهوّن عليه أبو صالح أمر السلطان واخبره بقلة من معه «وكان السلطان لما كوتب في أمر الصلح سار في خف من أصحابه» .[1] وقد علم أعداؤه بالأمر ووصل صلاح الدين مع قواته القليلة حتى قرون حماة وهناك تجمعت جيوش الطرفين وكان واضحاً قوة خصوم صلاح الدين مما فرض على صلاح الدين أن يتخذ موقف التمويف وتأخير القتال على أمل وصول ما طلب من قوات من مصر ودمشق إلا أن الخصوم ادركوا ذلك فسارعوا للاشتباك مع عساكر صلاح الدين

(١) الروضتين ج١ : ٢٤٩ ـ ٢٥٠ تاريخ ابن ابي الدم : ١٥٣ ظهر
ابن خلدون ج٥ : ٢٦٠

ح شكلوا كردوساً واحداً وأخذوا يدافعون هنا وهناك ، وحاول السلطان استمالة بعض قوات الموصل
ين ترددوا، وفي غمرة القتال وصل تقي الدين عمر في عسكر وجماعة من الامراء وهم غير عالمين
مركة فاشتبكوا لتوهم مما أضعف قوات الخصوم فانهزموا وتابع صلاح الدين فلولهم حتى مرج
احصار، غير بعيد عن حلب وهناك عيّد عيد الفطر وجاءته رسل الملك الصالح يسألونه المهادنة على أن
ر الملك الصالح على ما في يده إلى حماة فلم يقبل السلطان فجملوا له مع حماة المعرة وكفر طاب فرضي
لك، واتجه نحو دمشق وعند وصوله حماة. وصلته رسل الخليفة المستضيء ومعهم أمر الخليفة
لسلطنة ببلاد مصر والشام لصلاح الدين ثم تسلم السلطان حصن بعرين الذي كان بيد فخر الدين
سعود ابن الزعفراني وأحدث تبديلاً في إدارة حماة حيث اقطعها لخاله شهاب الدين محمود الحارمي .
نعم بحمص على ابن عمه ناصر الدين وعاد إلى دمشق عن طريق حمص ثم بعلبك ثم البقاع (١)

## ولاية شهاب الدين الحارمي : محمود بن تكش خال صلاح الدين .

تسلم حماة والياً من السلطان صلاح الدين في أواخر شوال في عام ٥٧١هـ/ . وهو ممن رافق صلاح الدين في رحلته الثالثة إلى مصر أثناء حياة أسد الدين شيركوه عم صلاح الدين وبقي معه في مصر وبعد وفاة أسد الدين سأل العاضد أصحابه من عسكر أسد الدين عمن يصلح للوزارة فأشير إليه بشهاب الدين محمود بن تكش فأحضر لتوليها ، إلا أنه اعتذر عن ذلك قائلاً بأن ابن اخته صلاح الدين هو الجدير بها .

ولكن بنفس الوقت عارض تولي صلاح الدين مصر وانفراده بها دون نور الدين ، كذلك عارض زحف صلاح الدين إلى الشام بعد وفاة نور الدين (٢) .

إلا أنه كان هناك من يقنعه بالقبول إذ باستلام صلاح الدين تقوية لمركز شهاب الدين ، وبذلك تكون له الكلمة العليا وعليه بقي شهاب الدين محمود مرافقاً لصلاح الدين في كافة حروبه وتنقلاته حتى تولى أمر حماة .

وادرك شهاب أهمية حماة لذلك أخذ في تنظيم أعمالها وتقوية شؤونها ، وكان يدرك أن الخطر يحيط به من كل جانب ، وأن أي اهمال يمكن أن يؤدي إلى الضياع والهلاك فالملك الصالح في الشمال ليتربص بحماة وبالسلطان صلاح الدين. والحشيشية في الغرب تتحين الفرص للانتقام من صلاح الدين. والصليبيون يتابعون رصدهم وينتظرون فرصة للهجوم وهم دائمو الاستعداد له . وصاحب الموصل

---

(١) الروضتين : ٢٥٠ ، حياة صلاح الدين ١٣٤ ، تاريخ ابن ابي الدم : ١٥٣ ظهر ابن خلدون ج٥ : ٢٦١

(٢) تاريخ ابن ابي الدم : ١٥٣ ظ ، حياة صلاح الدين : ١٣٤

ـيد القريب يتربص أيضاً الفرصة المناسبة للانقضاض ، لذلك نجد سياسة الوالي في حماة اتخذت دوراً
ـعياً رزيناً ، فهي مركز الانطلاق والتصدي وقد تبين ذلك بوضوح . فحينما علم صاحب الموصل
ـلح الملك الصالح مع صلاح الدين حمله على نقضه واوثقه بأيمان جديدة وأرسل رسولاً إلى دمشق ليقابل
ـلاح الدين فيكشف ما عنده ويأخذ عهده للموصل ، ولكن الرسول اخطأ بإيصال رأي صاحب
الموصل فاعطاه بدلاً عنه صورة يمين الحلبيين واتفاقهم مع المواصلة ضد صلاح الدين ، فانكشفت الخدعة
صلاح الدين (١) فارسل من فوره إلى نائبه مصر ليجمع العساكر وللخروج منها في شعبان . وتوجه
صلاح الدين إلى حماة وجاوزها إلى قرون حماة ووصلت جريدة من قواته إلى اطراف حلب وفي بكرة
الخميس العاشر من شوال جرت المعركة وكان النصر حليف صلاح الدين وتفرق خصومه لا يلوون على
شيء واتجهوا نحو حلب ومن هناك تابع صاحب الموصل سيف الدين غازي سيره نحو الفرات بعد ان اخذ
من حلب خزائنه ، وتصور الملك الصالح اسماعيل أن صلاح الدين في أثره لذلك اغلق ابواب مدينة
حلب واخذ بالاستعداد للحصار القادم .

تسلم صلاح الدين معسكر الملك الصالح وسيف الدين صاحب الموصل ، واسر بعض المتقدمين والامراء وارسلهم إلى حماة وراعه ما شاهده في معسكر الخصوم من «مغنيات وجواري وحظايا وطيور مختلفة في الاقفاص» . فارسل الطيور باقفاصها إلى سيف الدين يقول له «عد إلى اللعب بهذه الطيور فإن الزمن مقاساة الحرب» . ثم رد الامراء الذين ارسلهم إلى حماة وخلع عليهم وارسلهم إلى حلب . ثم توجه إلى حلب وحاصرها ورأى ان يحصن ما حولها ليضعف مركزها فافتتح منبج ثم توجه إلى اعزاز وليقطع بين الحلبيين والفرنج وقد افتتحها بعد حصار دام ثمانية وثلاثين يوماً» (٢) .

وأثناء حصار إعزاز هاجمت الحشيشية بعض من رجالها صلاح الدين في محاولة لاغتياله واخفقت محاولة الاغتيال فبعد فتح (اعزاز) توجه صلاح الدين إلى حلب وحاصرها وكان كمشتكين في حارم وقد راعه أن يكون خارج حلب فيتفق الملك الصالح مع صلاح الدين فلا يكون له من الأمر شيء .

فراسل صلاح الدين طالباً تسهيل عودته إلى حلب ضماناً لتنفيذ رغباته ، (صلاح الدين) كما راسل الملك الصالح قائلاً بأنه راسل صلاح الدين وأنه لا يستطيع البوح بما عنده إلا بعد دخوله مدينة حلب ، وبعد مفاوضات وارسال رهائن لصلاح الدين دخل كمشتكين حلب وأدرك صلاح الدين فيما بعد لعبة كمشتكين فشدد الحصار مما أجبر الملك الصالح على ان يلح في طلب الصلح فوافق صلاح الدين وارسل

---

(١) الروضتين ج١/ ٢٥٨ ـ ٢٥٩
خطط الشام ج٢ : ٥١ الاسماعيليون والدولة الاسماعيلية ميخيل لباد : ٩٤ ـ ١٠٣
سنا البرق الشامي ج١ : ٢١٨ ـ ٢١٩ ، الدعوة الاسماعيلية مصطفى غالب : ٢١١

(٢) الروضتين ج١ / ٢٥٩ ـ ٢٦٠ / تاريخ ابن ابي الدم : ١٥٥ ظ / الكامل ٩ : ١٣٩
سنا البرق الشامي ج١ : ٢١٤ ـ ٢١٨

الملك الصالح أخته (الخاتون) ابنة نور الدين وكانت صغيرة السن فطلبت منه اعزاز فوهبها إياها ، وتم الاتفاق أن يأخذ صلاح الدين من حماة إلى مصر وشمل الصلح الحلبيين والمواصلة ، ثم توجه صلاح الدين الى مصياف قاصداً الانتقام من الحشيشية(١) : وحاصر قلعتها ونصب عليها المجانيق الكبار واوسعهم قتلاً وتخريباً ، مما اضطر سنان صاحب مصياف لمراسلة خال صلاح الدين صاحب حماة شهاب الدين محمود في الصلح لانه من جيرانه.وقد جاءت تفسيرات كثيرة لتدخل شهاب الدين في طلب الصلح ولقبول صلاح الدين فمن قائل أن سنان هدد شهاب الدين باغتيال اسرة صلاح الدين بكاملها ومهاجمة حماة ، ومن قائل ان شهاب الدين مكفل بايقاف نشاط الحشيشية ، ومن قائل بان سنان الذي كان حليفاً لصاحب حماة السابق عاهد الدين جرديك خاف من تسلط صلاح الدين على مصياف بعد توحيده مصر وبلاد الشام ، فكان له هذا الموقف العدائي مع صلاح الدين وإن تخلي صلاح الدين عن قتال سنان إنما هو لشعوره بقوة سنان وحصونه والعبث من الحصار،مما نبه صلاح الدين الى خطورة الوضع ودفعه لمحاربتهم وبالتالي دفعه لقبول عرض شهاب الدين ومصالحة سنان .(٢)

فعاد صلاح الدين الى حماة وفيها اجتمع باخيه شمس الدولة توارن شاه العائد من اليمن ، وكان اللقاء حافلاً ثم سار الى دمشق حيث فوض امر دمشق اليه (شمس الدولة) وعزم على السفر الى مصر .
وفي حوليات المؤرخين العرب انه وصل الى ساحل الشام من البحر امير(كند ) كبير يقال له (اقلندس) على رأس حملة جديدة، لذلك تهيأ الصليبيون فنزلوا على حماةبقيادة ارناط الذي كان اسيراً في حلب أيام نور الدين ، واطلقه الملك الصالح أملاً في مساعدته على صلاح الدين ، وكان ذلك في العشرين من جمادى الأولى وطمع الفرنجة بحماة لبعد السلطان عنها، ولهزيمته قرب عسقلان، ولم يكن غير توران شاه بدمشق نائباً عن أخيه صلاح الدين ، وليس عنده كثير من العسكر وكان توران شاه أيضاً كثير الانهماك في اللذات ، ثم لما حاصروا حماة كان بها صاحبها شهاب الدين الحارمي مريضاً ، واشتد عليه حصار الافرنج للمدينة وطال زحفهم عليها حتى أنهم هجموا على بعض اطرافها وكادوا يملكونها قهراً .(٣)

وصادف وجود قوة عسكرية ايوبية بقيادة علي بن احمد بن المشطوب قرب حماة فدخلها ودافع ابن المشطوب عنها دفاعاًكبيراً بعدان دخل الصليبيون بعض أحياء المدينة، وقد جد المسلمون في قتالهم واخرجوهم من الدروب الى خارج السور ، ثم استمر الفرنجة في حصار حماة بعدها مدة أربعة ايام ،

---

(١) الروضتين ج١ ٢٦١ تاريخ ابن ابي الدم ١٥٦ وجه - ١٥٧ ظهر . سنا البرق الشامي ج١ : ٢١٨ - ٢١٩ ابن خلدون ج٥ : ٢٩١

(٢) الروضتين ج١ : ٢٦١ - ٢٦٢
الشام ج٢ : ٥١ ، الاسماعليون والدولة الاسماعيلية ميشيل لباد : ٩٤ - ١٠٣
سنان وصلاح الدين عارف تامر : ٣٢ وما بعدها ، اعلام الاسماعيلية مصطفى غالب : ٢٠٥ وما بعدها
تاريخ الدعوة الاسماعيلية مصطفى غالب ٢١١ وما بعدها/ .

(٣) الروضتين ج١ : ٢٦١ - ٢٦٢ / الكامل ٩ : ١٤٠ وما بعدها

واخيراً رحلوا عنها بعد أن يئسوا من فتحها ، وتحولوا الى مدينة حارم التي كانت تابعة لسعد الدين كمشتكين ، وعقيب رحيلهم عنها توفي صاحب حماة الامير الحارمي ، وكان له ابن شاب مات قبله بثلاثة أيام . ولعل من اسباب وفاة شهاب الدين صدمته بابنه ، وكانت وفاة صاحب حماة في العاشر من جمادى الاخرة ودفن الى جوار ابنه .[1] وراسل ابن المشطوب صلاح الدين وروى له تفاصيل ماحدث وبين أن عدد قتلى الفرنج زاد على الف مابين فارس وراجل .

## ولاية ابن خمارتكين :

بعد وفاة شهاب الدين صاحب حماة قام السلطان صلاح بالدين بتولية الامير ناصر الدين منكورس ابن الامير خمارتكين صاحب حصن (أبو قبيس) ومتولي عسكر حماة ، عليها ، وفي ولايته هاجم الفرنجة حماة من جديد وذلك في العشر الاول من شهر ربيع الآخر من سنة أربع وسبعين وخمسمائة في جمع غفير من الفرنج وبشكل مفاجيء ولم يكن بها من الجند سوى عدد قليل لا يتجاوز المائة شخص ، وقد استطاعت هذه الزمرة القليلة وبدهاء كبير أن توقع جيش الفرنجة عن طريق الكمائن ، وقد وقع بالأسر بعض مقدمي الفرنجة بعدما قتل عدد كبير من جندهم

واغتنم ابن خمارتكين متولي عسكر حماة وصول السلطان صلاح الدين الى حمص في طريقه الى بعلبك لتأديب واليها الذي رفض اوامره بتسليم بعلبك لاخيه توران شاه ، فاحضر الأسرى بين يديه مكبلين بالحديد ، فامر السلطان بضرب اعناقهم ، وان يتولى ذلك أهل التقى والدين من الحاضرين ، فكان ذلك،ثم رحل السلطان الى بعلبك[2]

لم يستقر ابن خمارتكين في ولاية شؤون حماة سوى بضعة اشهر ، إذ صادف ان اقتضى رأي الفرنج ان يرعبوا المسلمين في كل ناحية خوفاً من اجتماعهم على جهة واحدة ، وكانت أخبار صلاح الدين ومنداته بالجهاد المقدس تزعجهم ، فأغار ابرنس انطاكية على شيزر ، وغدر (كونت طرابلس) بجماعة من التركمان بعد الأمان ، مما أوجب على صلاح الدين ان يتخذ خطوات جديدة ليقف بوجه غطرسات الفرنجة ، وأراد ان يحتاط لدولته ، لذلك قام باعادة تشكيل قيادات ثغور الحدود مع الفرنجة وكان من جملة ما قام به أن رتب ابن اخيه تقي الدين عمر في ثغر حماة .

كما ورتب ابن عمه ناصر الدين في ثغر حمص في مقابلة طرابلس وكان قد رتب اخاه شمس الدولة توران شاه في بعلبك ، ورتب سيف الدين علي المشطوب في شيزر ، ورتب شمس الدين بن المقدم في حصن بعرين وكفر طاب وقرى من بلد المعرة

---

(١) الروضتين : ج٢ / ٢٧٤ ـ ٢٧٥ ، المختصر في اخبار البشر ج٣ : ٦٠ ، تاريخ ابن ابي الدم : ١٥٦ ظهر الكامل ٩ : ١١٤٢ ،سنا البرق الشامي ج١ : ٢٦٦ ـ٢٦٩/ ابن خلدون ج٥ : ٢٩٢ ـ ٢٩٣

(٢) الروضتين ج٢ / ٥ ك الكامل ٩ : ١٤٥ / سنا البرق الشامي ج١ : ٣٠٦ ـ ٣١٠

اما عز الدين فرخشاه فتسلم حوران .

كما ارسل صلاح الدين إلى اخيه العادل نائبه بمصر ، أن ينتخب له من عسكر مصر ألفاً وخمسمائة فارس يتقوى بهم مع عسكر الشام على العدو .[1]

## تقي الدين عمر بن شاهنشاه

هو من أركان البيت الايوبي ، وله الدور الاكبر في تأسيس وتوطيد أركان الدولة الايوبية وتوسيع رقعتها ، فهو الابن الثاني لشاهنشاه بن ايوب بن شاذي بعد اخيه الاكبر عز الدين فرخشاه الذي تولى دمشق بعد توران شاه اخو صلاح الدين الذي تركها ليتسلم بعلبك كما سلف البيان

وكان تقي الدين مبرزاً في الادب ، ومحبوباً من الأسرة الايوبية ، ومن صلاح الدين بالذات كذلك من عامة الناس .

وقد بدأ حياته العامة في مصر ، إذ كان له دور بارز في فترة ولاية صلاح الدين عليها زمن نور الدين ، فقد كان مرافقاً لصلاح الدين في حله وترحاله وحربه وسلمه ، وقد عينه والياً على الفيوم ، وله فيها اعمال اتصفت بالخير والبر فيها. وفي مصر: انشأ مدرسة للشافعية في القاهرة واشترى الروضة ، وحمام الذهب واملاكاً اخرى اوقفها عليها، ورافق صلاح الدين في زحفه على الشام بعد وفاة نور الدين ، ورافقه في حروبه مع الاتابكة في حلب ، ورأيناه يصل بقواته من مصر في الوقت المناسب لنصرة صلاح الدين في المعركة التي دارت حول قرون حماة ، ثم رافق عمه بعد تلك المعركة الى مصر .

ورافقه ايضاً وكان معه ابنه احمد في غزو غزة وعسقلان والرملة التي خسرها صلاح الدين ، ونجا بقواته وقادته بشق الانفس وفقد تقي الدين ابنه شهيداً في هذه المعركة بعد أن ابلى بلاء حسناً .

كذلك رافق تقي الدين عمه صلاح الدين في رحلته الى دمشق من مصر أثناء نزوله على بعلبك وبقي معه في حله وترحاله حتى ولاه حماة كما بينا .

وكان في اختيار تقي الدين لحماة اسبابه الوجيهة عند صلاح الدين اذ عرف فيه اخلاصه وحنكته ودرايته ، بعد أن علمته الحروب والازمات .

وكان تقي الدين ممن اشتهر بحقده على الصليبيين وزاد ذلك فقده ابنه احمد في قتالهم ولوقوع ابنه الاخر شاهان في اسرهم لمدة سبع سنين حتى افتداه صلاح الدين بمال كبير .

(١) الروضتين ج٢ : ٥/ الكامل ٩ : ١٤٤ ـ ١٤٥

تولى تقي الدين ولاية حماة عام أربع وسبعين وخمسمائة . وبدأ باتخاذ ما يراه مناسباً لموقع ولايته من تجنيد الجنود والحفاظ على استعداد قتالي عال لمواجهة الاعداء المحيطين به .

وقد حدثت في اثناء ذلك عدة مناوشات بين السلطنة ككل والفرنج أهمها واقعة بيت الاحزان ، التي جرت قرب بانياس ، وشارك فيها تقي الدين بقيادة أخيه عز الدين فرخشاه ، وكان النصر فيها لصالح المسلمين[1] لكن هذه الواقعة لم تسفر عن احتلال الحصن .

ثم خاض تقي الدين عمر معركة أخرى ضد سلطان سلاجقة الروم قلج ارسلان الذي طلب حصن (رعبان) ، وادعى انه من بلاده ، وإنما اخذه منه نور الدين على خلاف مراده ، وان الملك الصالح ولده قد انعم عليه به ، لكن صلاح الدين رفض اعادة الحصن له ، وكان الحصن مع ابن المقدم ، لذلك ارسل قلج ارسلان عسكراً في عشرين الفاً لحصار الحصن . فاستنفرت القيادات الشمالية وهب تقي الدين صاحب حماة ومعه سيف الدين علي المشطوب صاحب شيزر لمساعدة ابن المقدم وكان عدد قوات القيادات الشمالية الف مقاتل منهم ثمانمائة من قوات حماة ومائتان من قوات شيزر. ومع هذا امكن الايقاع بجيوش قلج ارسلان ، وقد افتخر تقي الدين الذي كان قائداً للمعركة بذلك كثيراً ، إذ قال بانه هزم بآحاد الوفاً وارغم باعداد من الاعداء الوفاً . وقد اتبع في ذلك تكتيكاً عسكرياً عالياً إذ وصل أرض المعركة ليلاً ، فرأى عسكر قلج ارسلان منتشرين آمنين ، فقال تقي الدين لاصحابه هؤلاء على ما ترون من الطمأنينة والأمن والغفلة وقد رأيت ان نحمل الساعة عليهم ، بعد ان نتفرق في جوانب عسكرهم ، ونصيح فيهم فانهم لا يثبتون لنا فاجابوه إلى ذلك ، فانفذ واحداً من اصحابه إلى باقي عسكره ، وامرهم أن يتفرقوا اطلاباً ، وأن يجعل في كل طلب قطعة من الكوسات والبوقات ، فإذا سمعوا الضجة ضربوا بكوساتهم وبوقاتهم ، وجدوا في السير ليلحقوا به ، ففعلوا ما امرهم ، ثم انه حمل على عسكر قلج ارسلان ، وصرخ أصحابه في جوانبه ، وكان في عسكر قلج ارسلان ثلاثة آلاف فارس ، فلما سمعوا الضجة وحس الكوسات والبوقات وشدة وقع حوافر الخيل وجلبة الرجال واصطكاك اجرام الحديد هالهم ذلك وظنوا أن قد فوجئوا بعالم عظيم فلم يكن لهم إلا ان جالوا في كواثب خيولهم عرياناً وطلبوا النجاة واخذتهم السيوف ، فتركوا خيامهم واثقالهم بحالها ، واكثر تقي الدين فيهم القتل والاسر وحصل على جميع ما تركوه ، فلما اصبح جمع المأسورين ، ومَنّ عليهم بأموالهم وكراعهم وسرحهم الى بلادهم»[2] .

وقد قوت هذه المعركة مركز تقي الدين لدى صلاح الدين ، واعطته ثقة كبيرة بالنفس .

وفي عام ٥٧٥هـ/ ١١٧٩م في شهر ربيع الأول اراد السلطان صلاح الدين احتلال حصن بيت الاحزان ، وهدمه وذلك لوقوعه على مسيرة يوم من دمشق ونصف يوم من طبرية وصفد ، ذلك ان

(١) الروضتين ج٢ : ٨ ، مضمار الحقائق : ١٥ ، الكامل ٩ : ١٤٨ .

(٢) الروضتين ج٢ : ٩ ـ ١٠ / المختصر ج٣ : ٦٢ / مضمار الحقائق : ٨٢ ، سنا البرق الشامي ج١ : ٣٣٠ ـ ٣٣٢ ، ابن خلدون ج٥ : ٢٩٤ ـ ٢٩٥ .

الحصن كان قد اصبح بيد الداوية (فرسان المعبد) الذين اخذوا يمدونه بالمال والنفقات والرجال من أجل صمودهم وبقائهم فيه ، ومن اجل تهديد القوافل الاسلامية التي تمر من هناك . وقد فكر صلاح الدين يبذل مال للداوية ليسلموا الحصن ، فيهدمه وبعد المفاوضات بذل لهم فيه ستين الف دينار ، فلم يفعلوا فزادهم حتى بلغ مائة ألف فابوا .(١) فارسل رسله الى تقي الدين في حماة يستشيره في ذلك . وكان تقي الدين منهمكاً في تقوية سور حماة وحفر خندق كبير حول القلعة يمتد مسافة مائة ذراع لينفصل الباشورة عن القلعة وكان رد تقي الدين في ان يبذل هذا المال في جمع الرجال والعتاد والاقوات من سائر البلاد الاسلامية ، وقد استصوب صلاح الدين هذا الراي واخذ به .

وجمع صلاح الدين الجيوش الغفيرة واتجه نحو الحصن ، ووصل الى المخاضة التي بني الحصن دونها يوم السبت تاسع عشر من ربيع الاول ، فخيم بالقرب منها ، واحضر من صفد التي هي بيد الداوية كل شجرة فيها ليستخدمها في نصب ستائر لاجل المنجنيقات ، ومساء الاحد استولت قواته على الباشورة وانتقلت منها الى محاصرة الحصن ، وبقوا طوال الليل يحرسونه مخافة ان يفتح الفرنج الابواب على حين غرة ، أما الفرنج فاشعلوا النيران خلف كل باب من ابواب الحصن . فاخذ فرخشاه الجانب القبلي واخذ السلطان الجانب الشمالي وعهد الى شركوه بنقب السور مع تقي الدين عمر ، وجعل لكل أمير في الدولة قسماً ، ثم نقب السلطان نقباً في السور بطول ثلاثين ذراعاً وتابع النقب حتى انقض الجدار وكان الفرنج قد جمعوا وراء ذلك حطباً واشعلوه لمنع دخول المسلمين إلاّ ان الرياح بعد ان سقط الجدار دفعت النيران الى داخل السور مما احرق البيوت وطائفة من الجند . ودفع بباقي الجند للهرب إلى داخل الحصن فتبعهم المسلمون واعملوا السيف فيهم حتى طلبوا الامان ، وقد قام صلاح الدين بهدم السور وردم الجب بعد أن رمى القتلى فيه ، وعاد صلاح الدين بعد أن استمرت المعركة والاستعداد للهدم اربعة عشر يوماً ، وكان يرافقه في هذه الحادثة رسول كونت طرابلس

وقد اصيب المسلمون بوباء ناتج عن كثرة القتلى التي تفسخت جثثها ونتيجة الحر الشديد وكان ممن اصيب بهذا المرض تقي الدين وابن عمه ناصر الدين وكادا ان يموتا .(٢)

وحدث في عام ٥٧٧هـ/ ١١٨١م ان توفي الملك الصالح اسماعيل بن نور الدين صاحب حلب . وكان قد اوصى بالملك على حلب من بعده الى ابن عمه عز الدين صاحب الموصل . وفد للرقة أمراء حلب يستعجلون حضور عز الدين إليهم لتسليمه حلب ، فتقدم بقواته نحو حلب ولما عبر الفرات كان تقي الدين عمر صاحب حماة بمدينة منبج ، اذ كان قد توجه اليها ضمن خطة محكمة لمنع وصول عز الدين الى حلب ، ولكن الخطة اخفقت فعاد تقي الدين الى حماة ، وعندما وصلها ثار اهل حماة ورفعوا راية عز الدين ، وكان صلاح الدين بمصر ، فاشار عسكر حلب على عز الدين أن يقصد دمشق ، واطمعوه فيها

---

(١) الروضتين ج٢ : ١١ / ١٢ ، مضمار الحقائق : ٢٥ ، المختصر ج٣ : ٦٢ ، سنا البرق الشامي ج١ : ٣٣٣-٣٣٩ الحروب الصليبية للتميمي : ١٥٣ / الكامل ٩ : ١٤٧

(٢) الروضتين ج٢ : ١١ - ١٣ ، مضمار الحقائق ٢٦ - ٣٠ / المختصر ج٣ : ٦٢ الكامل ٩ : ١٥١

في غيرها من البلاد الشامية ، وأعلموه محبة أهلها للبيت الاتابكي ، فلم يفعل ، وقال : بيننا يمين لا غدر به ، وأقام بحلب عدة شهور ، ثم سار منها إلى الرقة، فأقام بها وجاءه رسول أخيه عماد الدين يطلب يسلم إليه حلب ويأخذ منه عوضاً عنها مدينة سنجار» ، وبعد مفاوضات كثيرة ونظراً لتهديد عماد الدين بتسليم سنجار الى صلاح الدين ، ونتيجة لالحاح مجاهد الدين قايماز الذي لم يكن عز الدين يستطيع مخالفته لتمكنه في الدولة ولكثرة عساكره وبلاده وافق كارهاً .

وكان صلاح الدين قد فقد الأمل في عودة الشام إليه نتيجة الحركات التي تمت هناك والتي جاءت في صالح عماد الدين ، إلاّ أن الخلاف ثم التسوية التي تمت بين عماد الدين وعز الدين شجعت صلاح الدين للعودة للشام ، فقام عز الدين بجمع العساكر ، وسار عن الموصل قاصداً حلب خوفاً عليها من صلاح الدين ، لكن بعض امرائه خذلوه وانضموا الى صلاح الدين ، الذي عبر الفرات ، واحتل البلاد الجزرية ، بينما عاد عز الدين للموصل وقام صلاح الدين بحصارها ، ولما لم يفلح في فتحها ، تركها وتوجه إلى حلب فسلمها عماد الدين اليه وسبب ذلك ان عز الدين لما تسلم حلب . لم يترك في خزائنها من السلاح والأموال شيئاً إلاّ نقله إلى الموصل ، وتسلمها عماد الدين خاوية ،[1] وقد اشترك في هذه المسيرة مع صلاح الدين تقي الدين عمر[2] ، وقد تسلم صلاح الدين حلب واعطى عماد الدين بدلاً عنها مدن سنجار ونصيبين ، والخابور ، والرّقة ، وسروج ، وقد عين صلاح الدين على حلب ابنه الملك الظاهر غازي ، وكان قد طلب تقي الدين عمر حلب الاّ ان صلاح الدين عين ابنه ، ثم عاد صلاح الدين إلى دمشق مروراً بحماة التي استقبلته استقبالاً حافلاً وكان قد اعطى تقي الدين سنجار بعد فتحها ،[3] وقد توفي في هذه السنة فرخشاه الملك المنصور ، فاقر صلاح الدين ولده الملك الأمجد بهرام شاه على بعلبك واعمالها مكان أبيه ، وانفذ شمس الدين ابن المقدم والياً مكانه على دمشق واعمالها ، وبعد وصول صلاح الدين إلى دمشق وكان يرافقه تقي الدين عمر قرر مهاجمة الفرنج مبتدئاً بالكرك ، فارسل إلى أخيه العادل نائبه بمصر ليأتيه بالعساكر إلى الكرك ، ونظراً لشغور نيابة مصر أثناء حضور العادل للكرك ، ارسل بدلاً عنه ابن اخيه تقي الدين عمر صاحب حماة إلى هناك ، وسلم الملك العادل أخيه مدينة حلب وقلعتها وأعمالها ، وأعاد ابنه الظاهر غازي إلى دمشق ،[4] وقد اشار بتولية تقي الدين عمر على مصر القاضي الفاضل الذي ذهب مع تقي الدين إلى مصر بعد واقعة الكرك .

---

(۱) الروضتين ج٢ : ٢١ - ٢٢ ، المختصر ج٣ : ٦٣ - ٦٥ ، الحروب الصليبية للتميمي : ١٥٤ / مضمار الحقائق ٥٢ - ٥٦ الكامل ٩ : ١٥٣ / ابن خلدون ج٥ : ٣٠١ - ٣٠٢

(۲) الروضتين ج٢ : ٣٠ ، المختصر ج٣ : ٦٦ ، ابن خلدون ج٥ : ٣٠٢

(۳) الروضتين ج٢ : ٣٣ : المختصر ج٣ : ٦٦ مضمار الحقائق ٩٣ - ٩٤ / الكامل ٩ : ١٥٤

(٤) الروضتين ج٢ : ٥١ ، المختصر ج٣ : ٦٧ : مضمار الحقائق : ١٤٤ / الكامل ٩ : ١٥٣ ابن خلدون ج٥ ٣٠٢ - ٣٠٣

# الفصل الثالث

## حماة في فترة الاستقلال

بعد أن قضى صلاح الدين على الحركات المعارضة له التي حدثت في الشام والتي كادت تؤدي لخسارته الشام نهائياً وفقده الأمل بعودتها إليه وجد من الافضل له ان يجعل مركز قيادته في الشام وذلك لهدفين الأول لاحلال الاستقرار فيها بعد الفتن التي تمت والثاني الاستعداد لبدء المعركة مع الصليبيين التي قرر ان يكون منطلقها من الكرك .

قام صلاح الدين في سبيل هذا الهدف باستدعاء اخيه العادل نائبه في مصر ليأتيه بالعساكر إلى الكرك . ولما شغر منصب ولاية مصر وافق صلاح الدين على اقتراح قدمه القاضي الفاضل باسناد ولايتها لابن أخيه تقي الدين عمر لما يعرفه فيه من اخلاص ووفاء ومقدرة . وقد خبره في معاركه الطويلة ، سواء في مصر في زمن نور الدين او في مصر والشام بعد نور الدين . فاعطاه ولاية مصر ثم اقطعه الاسكندرية ودمياط وجعل لخاصته البحيرة والفيوم وعدة اماكن اخرى اضافة لما بين يديه في الشام حماه والمعرة وبارين [1] . ويكون صلاح الدين بذلك قد عين على مصر بوال يثق به . وعوضه عن طلبه تقي الدين حلب كما سبق القول بمصر . وهو بذلك يحقق خطة اتخذها تقتضي اعطاء عماله ولايات متباعدة بدلاً من تجميع الولايات المتجاورة بيد وال واحد يتقوى بها فيشكل خطراً على دولة صلاح الدين أو حباً بالاستقلال عنه .

أخذ تقي الدين يرتب أوضاع مصر بعد أن ترك صلاح الدين وتوجه إليها برفقة القاضي الفاضل الى ان جاءه امر السلطان صلاح الدين عام ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م باحضار العساكر المصرية والانضمام إليه بهدف الهجوم على الكرك حيث سبقه صلاح الدين إليها . وقد وصل تقي الدين إلى الكرك في التاسع عشر من ربيع الآخر منضماً إلى صلاح الدين وسائر العساكر الاسلامية . مصطحباً معه بنت الملك العادل وخزائنه لإنهاء أي وجود للعادل في مصر ، مما يعبق استقلال تقي الدين بحكم مصر .

قام تقي الدين والقوات المصرية المرافقة له بالاشتراك بالمعارك التي قام بها صلاح الدين ضد الصليبيين في الشام فشارك في الهجوم على الكرك التي كانت عثرة وعائقاً على خطوط مواصلات الشام ومصر . كذلك شارك تقي الدين في الاغارة على نابلس وسبسطيه وجنين . بقي تقي الدين مع السلطان

---

(١) الروضتين ج٢ : ٥٣ ، مضمار الحقائق : ١٥٤ - ١٥٥
البداية والنهاية ج ١٢ : ٣١٥

صلاح الدين في حله وترحاله حتى امره بالعودة مع عساكره الى مصر في منتصف شعبان عام ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م [١] .

مرض صلاح الدين اثناء سفره الى البلادالجزرية وكاد ان يموت هناك في حرّان ولكنه عوفي. ثم تصالح مع اصحاب الموصل وعاد نحو حلب ودمشق . قام صلاح الدين باجراء تعديلات ادارية في مصر والشام ، شملت فيما شملت ولاية تقي الدين في مصر وحماة . وكان من اهم اسباب التغييرات ان الملك الأفضل نور الدين علي بن صلاح الدين كان مع تقي الدين في مصر وهو ولد صلاح الدين الأكبر .وقد بدأ يظهر ويتطاول على سلطة والي مصر تقي الدين ، ومالت إليه جماعة بمصر ، وبان له منهم طاعة . فاستغل ذلك في محاولة السيطرة ومعاكسة تقي الدين الذي وجد في ذلك انقاصاً لسلطته . فأخذ في الالحاح على صلاح الدين بشرح اعمال ابنه الملك الأفضل علي ، واصفاً اختلال امره واشتغال سره [٢] .

صادف ذلك رغبة السلطان في نقل ولده الملك العزيز عثمان الى مصر ، فقرر نقل الأفضل الى الشام ، فكتب اليه ان يحضر الى الشام بجميع اهله وجماعته ووالدته وحشمه واصحابه ، فخرج الأفضل من مصر ووصل الشام . وكتب صلاح الدين الى تقي الدين يبلغه أنه قد استقل له امرها وزال عذره . لكن ذلك لم يدم لتقي الدين اذ قام صلاح الدين باعطاء البلاد الشرقية في مصر للملك العادل واعتمد عليه في نيابته على سائر الممالك المصرية ، وكان هذا ضربة قاصمة لتقي الدين أحبطت سائر مخططاته ونفرته من صلاح الدين . فرأى أن يعتمد على نفسه في بناء مملكة خاصة به ، ورأى أن يتجه بعساكره لافتتاح المغرب والاستقلال فيه ، وكتب الى صلاح الدين يستأذنه . لكن صلاح الدين وجد في ذلك اضعافاً لمخططاته في بلاد الشام ، وفي مواجهته للفرنجة ، ولعله خشي من توريطه في معركة جانبية مع الدولة الموحدية صاحبة تونس وأجزاء كبيرة من ليبيا . فكتب إليه يامره بالقدوم عليه ، وسير ولده العزيز الى مصر ومعه عمه العادل .

قدم تقي الدين في آخر شعبان لمقابلة السلطان الذي استقبله خارج دمشق ودخلها معه ، وقد اعاد تقي الدين لحماة ومنبج والمعرة وسائر اعمالها ثم اضاف اليه ميافارقين وجميع ما تبعها من معاقل [٣] .

اعطي تقي الدين لقب ملك ، فاصبح يعرف بالملك المظفر تقي الدين عمر ، وبذلك تحولت حماه الى مملكة وكان ذلك عام ٥٨٢هـ/ ١١٨٦م . وضمت املاكاً أوسع كما سبق القول مما زاد أهميتها وزاد في حجم عسكرها . وقام تقي الدين باعادة تنظيم مملكته ادارياً وسياسياً ضمن اطار الدور التاريخي لمملكة حماة بين الممالك الأيوبية وتوافق هذا مع عزم صلاح الدين على شن الهجوم الكبير على الصليبيين ، واعلانه الجهاد المقدس .

---

(١) الروضتين ج٢: ٥٤-٦٤ مضمار الحقائق : ١٥٥ - ١٦٠ ، الكامل ج٩ : ١٥٦

(٢) ذيل النوادر : ٢٣٠ ، مضمار الحقائق : ١١١ - ١١٤ ، المختصر ج٥: ٩٤ ، شفاء القلوب : ١١٧ - ١١٨

(٣) ذيل النوادر : ٢٣٤ ، شفاء القلوب ١١٨ ، ابن خلدون ج٥: ٣٠٥ - ٣٠٦ الكامل ٩: ١٧٢ - ١٧٣ الروضتين ج٢: ٦٩ البداية والنهاية ج١٢: ٣١٥ - ٣١٦

في محرم من عام ثلاث وثمانين وخمسمائة (١١٨٧م) قصد السلطان غزو الكرك [1] اثر غدر صاحبها (ارناط) بالقوافل المارة بين بلاد الشام ومصر والحجاز وقد استقدم صلاح الدين الجيوش واخذ في تجميعها .

قام تقي الدين بالتوجه مع جيشه نحو حلب للانضمام للقوات الحلبية تلبية لأوامر صلاح الدين ثم اتجهت قوات حماة وحلب نحو طبرية حيث اخذت بمناوشة قوات الصليبيين هناك بينما سار صلاح الدين الى بصرى وانضمت اليه قوات مصر للوقوف بوجه الصليبيين في الكرك وحماية قافلة الحاج الآتية من الحجاز . وبنفس الوقت مناوشة قوات الكرك واختبار قوات وحشود الفرنج .

ثم قام صلاح الدين بحشد جيوشه قرب طبريا ، وعبأ العساكر قلباً وجناحين وميمنة وميسرة وجاليشية .

قاد تقي الدين ميمنة صلاح الدين ، وشارك مشاركة فعالة في احداث معركة حطين ، وهو الذي افسح المجال لريموند الثالث صاحب طرابلس كيما يفر ، حتى يتمكن من احتلال موقعه ، ويطبق بشكل كامل على المتبقي من القوات الصليبية التي فقدت بفرار ريموند ابرع قادتها [2] .

بعد معركة حطين لازم تقي الدين السلطان صلاح الدين ولم يتخل عنه ، والمفيد هنا انه منذ حطين صارت جيوش الأيوبيين وحتى المماليك من بعدهم يتولى ميمنتها صاحب حماه من خلفاء تقي الدين .

بعد انتهاء معركة حطين توجه تقي الدين مع صلاح الدين الى عكا التي ابرمت الصلح مع السلطان على اخلائها للمسلمين بعد ان امنهم السلطان على انفسهم واموالهم ثم توجهت القوات الاسلامية الى الناصرة وقيسارية وحيفا وصفورية والشقيف والفولة [3] . وقد شارك تقي الدين في هذه الفتوحات ، ودخل عكا وتصرف في دار السُكَّر فيها «فافنى قدورها واستوعب موجودها ونقل قدورها وانقاضها وحرق جواهرها وأعراضها» [4] .

ثم انطلق الملك المظفر تقي الدين نحو تبنين ليقطع الميرة عنها وعن مدينة صور لكنها (اي تبنين) استعصت عليه . فأرسل تقي الدين الى السلطان ان يأتيه بنفسه ، وقد سارع السلطان لانجاد تقي الدين

---

(١) الروضتين ج٢ : ٧٠ - ٧٥ ، زبدة الحلب ج٣ : ٨٣٧ ، مضمار الحقائق : ١٨٨ - ١٩٠ ، تاريخ ابن ابي الدم : ١٥٨ وجه

(٢) الروضتين ج٢ : ٧٧ ، المختصر في اخبار البشر ج٥ : ٩٩ ، ذيل النوادر : ٢٣٥ ، الكامل ٩ : ١٦٤ ، تاريخ ابن ابي الدم : ١٦٠ ظهر ، ابن خلدون ج٥ : ٣٠٥ - ٢٣٥ ، البداية والنهاية ج١٢ : ٣٢٠ - ٣٢١ Saladin: 199-211

البداية والنهاية ج١٢ : ٣٢٠ - ٣٢١، Saladin: 199-211

(٣) الروضتين ج٢ : ٨٦ - ٨٧ ، النوادر السلطانية : ٦٥، حياة صلاح الدين : ١٦٢ - ١٦٧ ، زبدة الحلب ج٣ : ٨٤٣تاريخ ابن ابي الدم : ١٦١ ظهر ، ابن خلدون ج٥ : ٣٠٧ ، الحروب الصليبية للتميمي : ١٦٥ .

(٤) الروضتين ج٢ : ٨٩ ، النوادر السلطانية : ٦٥ ، حياة صلاح الدين : ١٨٣ - ١٨٥ ، تاريخ ابن ابي الدم : ١٦١ ظهر ، الكامل ج٩ : ١٧٦ ، ابن خلدون ج٥ : ٣٠٧ - ٣٠٨ ، الحروب الصليبية للتميمي : ١٦٥

فوصل إليه في ثلاث مراحل . ونزل على تبنين يوم الأحد الحادي عشر من جمادى الأولى . فراسل اهلها السلطان وسألوه الأمان فأعطاهم إياه شاملاً أنفسهم وأموالهم . وتنفيذاً للاتفاق قام الفرنجة باطلاق الأسرى المسلمين وبعد اخلاء المدينة والقلعة توجهوا الى صور ، التي أرجأ صلاح الدين فتحها (١) . ثم فتح بيروت وبعدها سلمت إليه جبيل لقاء فك اسر صاحبها ، ثم احتل عسقلان ، والرملة والداروم وغزة والخليل وبيت لحم وبيت جبرين والنطرون ، وكان أخوه العادل قد استرد مناطق جنوب فلسطين . وبذلك لم يبق للصليبيين سوى القدس وصور ، فقام السلطان بحصار القدس وبعد ان شعر الصليبيون بعقم الاستمرار فيها ، فاوضوه على تسليمها ، ورغم اصراره على فتحها بالقوة وسفك دمائهم كما فعلوا عندما احتلوها ، هددوه بقتل اسرى المسلمين وهم خمسة آلاف ، وتهديم بيت المقدس ، وتحطيم الصخرة ، وأخيراً امّنهم السلطان ودخل القدس وصلى الجمعة فيها (٢) في السابع عشر من رجب سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة هجرية/ الموافق للثاني من تشرين الاول سنة الف ومائة وسبع وثمانين ميلادية .

عين صلاح الدين سيف الدين علي بن أحمد المشطوب نائباً عنه بصيدا وبيروت ، وارسل المشطوب الى صلاح الدين يستحثه على فتح صور . فسبق اليها الأفضل وتقي الدين ، وكان الفرنج في صور قد حفروا لها خندقاً من البحر الى البر اثناء فتح السلطان للقدس ، وقد احكم صلاح الدين الحصار على صور براً وبحراً إلا أنه اضطر للتخلي عن العمل البحري واعادة شواني المسلمين التي بقيت بعد هجوم الفرنج المفاجيء عليها ، ولما طال الحصار واشتد البرد وتعسر الفتح ، اضطر صلاح الدين لفك الحصار ، واتجه نحو عكا وأقام بها فترة (٣) ، ثم تركها الى كوكب وقد أوكل عمارتها إلى بهاء الدين قراقوش لتخصصه فهو الذي ادار السور على مصر والقاهرة .

ثم وصل السلطان لدمشق . ومنها اتجه صلاح الدين لفتح المواقع الشمالية الساحلية ، وفي هذه المعارك وبعد فتح انطرسوس (طرطوس) التحقت به قوات حماة ، فرحل السلطان يوم الاثنين رابع عشر جمادي الأولى ونزل على مرقيه ثم اتجه الى بلنياس (بانياس) ثم جبلة ثم اللاذقية ثم قلعة صهيون (قلعة صلاح الدين) ثم تابع فتح الحصون هناك ومنها حصن (برزية) وحصن (دربساك) وبغراس ، ومن ثم عقد هدنة مع انطاكية ، ثم أراد العودة إلى دمشق فسأله ولده الظاهر صاحب حلب أن يجتاز به ،

---

(١) الروضتين ج ٢ ٨٩ - ٩٠ ، الحروب الصليبية للتميمي ١٦٥ ، النوادر السلطانيه : ٥٥ ، حياه صلاح الدين : ١٧٠ - ١٧٢ تاريخ العصر الايوبي : ١٤٠ - ١٤٧ ، تاريخ ابن ابي الدم : ١٦١ ظهر ، ابن خلدون ج٥ : ٣٠٦ - ٣٠٨ Saladin 219-234

(٢) الروضتين ج٢ : ٩٢-٩٩ ، الحروب الصليبية للتميمي : ١٦٧ - ١٧٢ ، النوادر السلطانية : ٥٣ - ٥٥ ، حياة صلاح الدين ١٧٢ - ١٨٠ ، زبدة الحلب ج٣ : ٨٤٤ ، تاريخ ابن ابي الدم ١٦٢ وجه وظهر ، ابن خلدون ج٥ : ٣٠٩ - ٣١١

(٣) الروضتين ج٢ : ١١٩ - ١٢٠ ، الحروب الصليبية للتيميمي : ١٧٣ ، النوادر السلطانية : ٥٥ حياة صلاح الدين : ١٧٩ - ١٨٢ زبدة الحلب ج٣ : ٨٤٣ ، الكامل ٩ : ١٧٦ ، ابن خلدون ج٥ : ٣١١ Saladin 235

لجانبه ، وأقام بقلعتها ثلاثة أيام ، ثم سار يريد دمشق فاعترضه تقي الدين وأصعده إلى قلعة حماة ، وبات بها ليلة واحدة فأعطاه جبلة واللاذقية وفي تعليقه ينقل لنا صاحب الروضتين وصفاً لقلعة حماة فيقول : «وكانت قلعة حماة ذات منبسط فلما تولاها تقي الدين رفع تلها وعمق خندقها وحصنها ، فطلع السلطان تلك الليلة الى القلعة وسر بما رأى من الحصانة والرفعة ووقف الملك المظفر لعمه وجرى في الخدمة على رسمه ، وأصبح السلطان راحلاً» (١) يريد دمشق عبر طريق بعلبك .

وقد بلغ السلطان تجمع قوات الفرنجة في صور يريدون عكا . فجمع قواته واتجه نحوهم وعند وصوله لعكا وجد أن قوات الفرنجة قد سبقته إليها . قام حولها واخذ في تجميع وتنظيم قواته استعداداً للمعركة .

وفي يوم الحادي والعشرين من شعبان تحركت عساكر الفرنج بشكل قتالي مريب يريدون مباغتة قوات صلاح الدين وقد قدر عددهم بثلاثين الف رجل والفين من الفرسان.وهاجموا ميمنة جيش صلاح الدين.وكانت هناك القوات بقيادة الملك المظفر تقي الدين عمر صاحب حماة وكان صلاح الدين في القلب فأمد تقي الدين بعسكر من عنده . ولما شعر الفرنج بقلة عسكر القلب غيروا خطتهم وهاجموا القلب بدل الميمنة وقد اجتاحوا خيمة السلطان . وهنا انقضت ميسرة السلطان عليهم وكانوا اخذوا يتراجعون مما جعلهم يقعون بين فلول القلب وجيش الميسرة فكانت خسارتهم كبيرة جداً.قدر عدد القتلى بعشرة آلاف وكان عدد الأسرى كبيراً جداً (٢) .

وكان رأي صلاح الدين متابعة القتال الا ان امراءه فضلوا الراحة.وصدف ان اصيب صلاح الدين بالقولنج.واقترب موسم الشتاء فغادر عكا بعد أن أمر أهلها بالحفاظ عليها .

عاد صلاح الدين بعد انتهاء الشتاء من عام ٥٨٦هـ/ ١١٩٠م الى عكا واخذ يعيد تجميع وتنظيم قواته لفك حصار الفرنجة عنها ، وأرسل الى انحاء مملكته مستدعياً القوات إليه.إلا أن تقي الدين عمر الذي غادر صلاح الدين في الشتاء كان قد اتجه نحو الجزيرة لتسلم البلاد التي اضيفت إليه شرقي الفرات اذ كان له بالشام المعرة وحماة وسلمية وجبلة واللاذقية . وكان له في الجزيرة ديار بكر وحران والرها وسميساط وضياعها وميافارقين وحصونها .

وقد رأى تقي الدين توسيع حدوده في الجزيرة وشرع بشن الهجمات فيما جاوره متوسعاً وكان هذا

---

(١) الروضتين ج٢: ١٣٤ ، الحروب الصليبية للتميمي : ١٧٥ - ١٧٧ ، تاريخ شيزر : ١٩٦ ، حياة صلاح الدين ١٨٣ ، زبدة الحلب ج٣ : ٨٤٨ - ٨٥٦ ، تاريخ ابن ابي الدم : ١٦٤ : ظهر.الكامل ٩: ١٧٧ ابن خلدون ج٥ : ٣١١ - ٣١٢

(٢) الروضتين ج٢: ١٤٤ - ١٥٣ . الحروب الصليبية للتميمي ١٧٦ - ١٧٧ ، النوادر السلطانية ٩١ - ٩٣ ، حياة صلاح الدين ١٨٥ - ١٨٧ ، زبدة الحلب ج٣: ٨٥٦ - ٨٥٨ ، تاريخ العصر الأيوبي ١٤٩ - ١٥١ تاريخ ابن ابي الدم : ١٦٥ ظهر.الكامل ٩: ١٧٨

اً في تأخره عن الالتحاق بقوات صلاح الدين مما اضطر الأخير للالحاح عليه للعودة إلى عكا فعاد تقي ين والتحق بالقوات حول عكا [1] .

كان الوضع في عكا سيئاً للغاية فأهل عكا محاصرون من عدة اشهر بقوات الفرنج وصلاح الدين اصر الفرنج حول عكا ، الذين نصبوا عليها سبعة مجانيق واستنفروا قواتهم وبدأوا في الهجوم ، استعد سلطان للمعركة الفاصلة وتقدم بقواته الى تل العياضية ، وفي هذه الأثناء وصل ريتشارد قلب الأسد معه قوات بحرية وبرية محمولة ، فشدد الخناق على عكا .

وفي المقابل اخذ السلطان يضيق على محاصري عكا من الفرنج وحاول ايصال بعض المعونات المؤ ن إليها فأخفق في ذلك . مما كان له تأثير كبير على معنويات المحاصرين فيها .

وقدم الفرنجة دبابات نحو السور لهدمه عاني المسلمون الكثير لحرقها وايقاف تقدمها . وأخيراً قدم الفرنج ما يشبه تلاً من تراب دفعوه امامهم وهم مختبئون خلفه متقدمون الى الأسوار .

كان الفرنج يقاتلون ليلاً نهاراً لكثرتهم ، وكان هجومهم في البر والبحر ، مما أضعف أمل أهل عكا بالدفاع ، وكان السور قد تهدم في بعض اطرافه ، ودخل الفرنج منه ، واخذ القتال يشتد على الأبراج ، لذلك اضطر ابن المشطوب صاحب عكا ان يطلب من السلطان حسم المعركة والا فلابد من التسليم ، ولما لم يستطع السلطان فك الحصار رغم قيامه بالهجوم عدة مرات ، وقع مالم يكن منه بد . وعلى كره من السلطان وأهل عكا [2] .

سلمت عكا على أساس السماح للمحصورين بالخروج من المدينة بأموالهم على أن يدفعوامائتي الف دينار ويتسلموا خمسمائة اسير من اخوانهم المسلمين المعروفين ويعيدوا خشبة الصليب ويدفعوا الى كونراد صاحب صور اربعة عشر ألف دينار . وبعد دخول الفرنج عكا غدروا بأهلها مما أجبر صلاح الدين على عدم دفع الأموال لهم أو تسليمهم الأسرى والصليب .

وبعد دخول عكا حصلت بعض الخلافات بين الفرنج . فعاد إلى بلاده ليبولد امير النمسا وانسحب صاحب صور من عكا . وعاد فيليب اوغسطس الى فرنسا .

وبعد استراحة الفرنج بعكا قاموا بقيادة رتشارد بالزحف نحو الرملة وحصلت مناوشات بينه وبين

---

(١) النوادر السلطانية : ١٠٦/ الكامل ٩: ١٧٩ - ٢١٠ ، حياة صلاح الدين : ١٩٠ - ١٩٣/ زبدة الحلب ج٣ : ٨٥٨ - ٨٥٩ ، البداية والنهاية ج١٢ : ٣٣٢ - ٣٣٣، Saladin: 235-250

(٢) الروضتين ج٢ : ١٨٤ - ١٩٤ ، الحروب الصليبية للتميمي : ١٨٨ - ١٩٠ ، النوادر السلطانية : ٩٦ - ١٣٢ ، منتخبات من كتاب التاريخ : ٢٤٠ - ٢٤٣ ، حياة صلاح الدين ١٩٠ - ١٩٣ ، زبدة الحلب ج٣: ٨٦٠ - ٨٦٥ ابن خلدون ج٥: ٣١٨- ٣١٩ البداية والنهاية ج١٢ : ٣٣٤ - ٣٣٥ Saladin 251-264

صلاح الدين أدت الى عقد صلح الرملة [1] .

بعد أن توسعت املاك تقي الدين عمر في منطقة الجزيرة والفرات امتدت عينه الى بلاد غيره فاستولى على السويداء وعلى مدينة هاني وعزم على قصد خلاط وكسر صاحبها سيف الدين بكتمر وتملك معظم تلك البلاد ثم اناخ على منازكرد يحاصرها ومعه عساكر كثيرة [2] . وعندما علم صلاح الدين بذلك قال : «هذا من عمل الشيطان وفي مثل هذا الوقت يتعرض لهذا المقت ، واني اخاف في هذه السنة حيث أساء عند امكان الحسنة» [3]

وقد اصيب تقي الدين بمرض اعتراه اثناء حصاره لمناز كرد ولم يستطع مقاومة المرض فتوفي يوم الجمعة تاسع عشر رمضان . ورحل الملك المنصور بن تقي الدين الى حماة ومعه جثة أبيه وقد اخفى وفاته عن الجميع وقد عجب الناس من حزمه وعزمه وثباته وجلده .

ويقول ابن شداد ان وفاته كانت في طريق خلاط عائداً الى ميافارقين.ثم عملت له تربة عليها مدرسة مشهورة بأرض حماة وحمل إليها ودفن فيها .

وفي نفس يوم وفاته مات أيضاً ابن اخت السلطان حسام الدين محمد بن عمر بن لاجين بدمشق . وقد فجع السلطان بابن اخيه وابن اخته في تاريخ واحد [4] .

وعند تبلغ السلطان صلاح الدين وفاة تقي الدين دعا اخاه الملك العادل والأمير علم الدين سليمان والأمير سابق الدين وعز الدين أولاد المقدم واخبرهم بوفاة تقي الدين وبكاه واجهش بالبكاء وطلب اخفاء الأمر حتى لا يعلم الفرنج بذلك .

وعندما وصله كتاب الخليفة في بغداد في الثاني عشر من شوال ينكر على تقي الدين عمله في الجزيرة ويطلب ارساله الى بغداد فأجاب السلطان بأن تقي الدين سار لجمع العساكر من اجل الجهاد وان السلطان قد أمره بالعودة .

وقد أخفى السلطان عن الخليفة وفاة تقي الدين بل وصفه بأنه مريض جداً وأن قوته ضعيفة وهو غير قادر على المثول لبغداد .

وهكذا مات قطب من أقطاب الدولة الأيوبية ومؤسس مملكة حماه الأيوبية ومجاهد كبير من مجاهدي

---

(1) الروضتين ج٢: ١٤٢-١٩٢ و١٩٢ - ١٩٤ الحروب الصليبية للتميمي ١٩٠ - ١٩١ ، النوادر السلطانية ١٣١ - ١٣٤ ، حياة صلاح الدين : ١٩٣ - ١٩٧ ، زبدة الحلب ج٣: ٨٦٥ - ٨٦٧ ، تاريخ العصر الأيوبي : ١٥١ - ١٥٧ ابن خلدون ج٥: ٣١٨ - ٣٢٦ البداية والنهاية ج١٢: ٣٣٦ - ٣٤٦

(2) الروضتين ج٢: ١٩٤: منتخبات من كتاب التاريخ : ٢٤٣ ، النوادر السلطانية : ١٥٥ ، الكامل ٩:٢١٢

(3) الروضتين ج٢: ١٨٦ ، النوادر السلطانية : ١٥٥ ، منتخبات من كتاب التاريخ : ٢٤٣

(4) الروضتين ج٢/ ١٩٤ - ١٩٥ ، زبدة الحلب ج٣: ٨٦٧ ، تاريخ ابن ابي الدم : ١٩٦ وجه الكامل ٩:٢١٣ البداية والنهاية ج١٢: ٣٤٦ - ٣٤٧ ، النجوم الزاهرة ج٦: ١١٣ - ١١٤

الاسلام ممن واجهوا الفرنج والصليبيين وردوهم.وكان له الدور الكبير والحاسم في الكثير من المواقف والمعارك . وخلف تقي الدين من الأولاد نور الدين شهنشاه ، وتقي الدين ناصر المجاهدين عماد الدين مصطفى ، والملك المنصور ناصر الدين محمد [1] . وكان قد استشهد له ولد في معركة الرملة اسمه احمد .

★

(١) ترويح القلوب : ٥٢، زبدة الحلب ج٣: ٨٦٧

# الحكم الوراثي في حماه والملك المنصور الأول
## محمد بن تقي الدين عمر
## (٥٨٨ - ٦١٧) هـ (١١٩١ - ١٢٢٠) م

لم يوص تقي الدين بالملك بعده لأي من أولاده أو سواهم . كما وان السلطان لم يعطه هذا الحق ، الا ان ابنه محمد الذي كان يرافقه في منازكرد اخفى وفاة ابيه وعاد به الى حماة .

ومن هناك ارسل رسله الى السلطان يخبره بأنه قام مقام والده فيما كان له من البلدان ، وطلب منه شروطاً نسب بسببها الى العصيان ، وحدث في نفس الوقت أن طلب الملك الأفضل ابن السلطان صلاح الدين من والده البلاد قاطعاً الفرات، ولما سمع ابن تقي الدين ذلك ارسل رسوله الى الملك العادل وهو بالقدس «لاجئاً الى ظله ولائذاً بجانبه» فاحتمى له وقوى امله . ثم خاطب السلطان في أمره قائلاً أنا أمضي إليه واحضره على ان تبقى له حران والرها حتى يمضي العام ، وتعطيه في السنة التالية حماة والمعرة ، لكن السلطان رفض ذلك ، ثم استشفع محمد بن تقي الدين الملك العادل ثانية واقترح احد قسمين اما حران والرها وسمهساط ، وإما حماة ومنبج وسلمية والمعرة ، مع كفالة اخوته . وبعد اخذ ورد ورفض من السلطان الذي ضاق بما يعامله به ابن ابن اخيه ، مما شجع ابنه الملك الافضل على الزحف بعساكره لمحاربة محمد بن تقي الدين في حماة ، وعندها تدخل الملك العادل من جديد مما اضطر السلطان لجمع الأمراء ومشاورتهم في الموضوع ، وأخيراً اقر السلطان لمحمد بن تقي الدين ، وأعطاه نسخة يمين على ان يكون له ماكان لأبيه في الشام : (حماة ومنبج وسلمية ومعرة النعمان) وتؤخذ منه البلاد الجزرية . لتعطى للملك العادل الذي أخذ حران والرها وسميساط وميافارقين .

وذهب الملك العادل الى محمد بن تقي الدين عمر ليتسلم منه البلاد الجزرية وليوقف الاستعدادات العسكرية التي كانت جارية من قبل الملك الأفضل وهكذا استقرت الأحوال ، وتسلم الملك العادل البلاد الجزرية وعاد الى السلطان في جمادى الأخرة من نفس السنة (محمد)الذي اكرم السلطان وفادته وجعله في مقدمة عسكره [1] .

---

(١) الروضتين ج٢ : ١٩٦ - ١٩٧ ، منتخبات من كتاب التاريخ : ٢٤٣ - ٢٤٤، النوادر السلطانية ١٦٢ - ١٦٣ زبدة الحلب ج٣: ٨٦٧ - ٨٦٨

وكان سبب تردد السلطان في حسم موضوع وراثة تقي الدين عمر أن ابنه محمد قد تولى الأمر دون رة ، وحتى دون وصية من أبيه ، وقيامه بذلك كان دون اتفاق مع اخوته ، وسبب أهم ان حماة هي حمودة فقد كان محمد قاصراً لم يبلغ سن الرشد ، وحماة موقع متقدم وله تأثير كبير في حروب السلطان مع الفرنج وفي حماية بلاد الشام بأسرها . ونعيد لنؤكد أن الموقف المتسرع الذي أخذه محمد بن تقي الدين عمر من السلطان اساء به الى السلطان نفسه ، كما وان تلك الأحداث التي تبعت (تمرد) محمد كانت سبباً في وقف مباحثات الصلح التي كانت ستتم بين ملك الفرنج والسلطان والتي اوقفها الفرنج ظناً منهم ان في حرب السلطان لمحمد سيسمح لهم بالانقضاض على القدس واستعادة ما فقدوه من مواقع .

وما ان انحسم النزاع حتى انضم الملك المنصور محمد مع عساكره للسلطان . فعاود الملك ريشارد قلب الأسد طلبه بالصلح وخصوصاً أن مرض ريشارد قد زاد.وقد عقدت الهدنة في يوم السبت ثامن عشر من شعبان عام ثمانية وثمانين وخمسمائة ١١٩٢م وكان الملك المنصور محمد من بين الملوك الذين اشتركوا في ابرام عقد الهدنة وشروط الصلح الذي يسمى صلح الرملة التي اتفق على استمرارها ثلاث سنوات وثلاثة أشهر ونص على احتفاظ الفرنج بالمدن الساحلية من صور إلى يافا وتبقى بيت المقدس بيد المسلمين مع السماح للحجاج المسيحيين بالحج اليها دون ضريبة [1] .

بعد أن عقد صلاح الدين الصلح اراد العودة إلى دمشق عن طريق الثغور للنظر في احوالها والتأكد من جاهزيتها ، وأراد الحج أيضاً فارسل لمصر واليمن وللخليفة العباسي يعلمهم بأن مراده الحج . فخرج من القدس إلى دمشق وبعد استراحة قصيرة توجه الى بيروت ثم عاد ثانية الى دمشق ، ولم يحج كما كان مراده حيث اصيب بحمى صفراوية عانى منها الكثير لمدة اثني عشر يوماً .

وتوفي السلطان صلاح الدين بعد صلاة الصبح من يوم الاربعاء السابع والعشرين من صفر سنة تسع وثمانين وخمسمائة/ ١١٩٣م .

وكان الملك الأفضل ابنه قد أخذ أثناء المرض عهود الامراء والولاة والحكام له بعد وفاة أبيه وولابيه مادام حياً [2] . وبعد وفاة صلاح الدين تم توزيع الملك كما يلي : استقر بالملك في دمشق وما ينسب إليها ابنه الملك الأفضل نور الدين علي . وبالديار المصرية الملك العزيز عثمان ، وبحلب الملك الظاهر

---

(١) النوادر السلطانية : ١٦٧ - ١٨٨ ، منتخبات من كتاب التاريخ ٢٤٣ - ٢٤٥ ، الروضتين ج٢/ ١٩٦ - ٢٠٦ الحروب الصليبية للتميمي : ١٩٠ - ١٩٨ ، تاريخ شيزر : ١٩٧ ، زبدة الحلب ج٣: ٨٦٨ ، تاريخ العصر الأيوبي : ١٥٧ - ١٦١ الكامل ٩: ٢٢١ ، ابن خلدون ج٥ : ٣٣٠، Saladin 324-342

(٢) الروضتين ج٢: ٢٠٦- ٢٢٤، النوادر السلطانية : ١٩٦ - ٢٠٥ منتخبات من كتاب التاريخ : ٢٤٤ - ٢٥١ . تاريخ شيزر : ١٩٧ ، الحروب الصليبية للتميمي : ٢٠٣ - ٢٠٦ ، حياة صلاح الدين ٢٠٨ - ٢١٥ ، زبدة الحلب ج٣: ٨٦٩ تاريخ العصر الأيوبي : ١٦١ - ١٦٢ ، تاريخ ابن ابي الدم : ١٦٧ وجه وظهر ، الكامل ٩: ٢٢٥ ابن خلدون ج٥: ٣٣٠ - ٣٣١، Saladin 364-376.

غياث الدين غازي ، وبالكرك والشوبك والبلاد الشرقية الملك العادل سيف الدين ابو بكر بن ايوب . وبحماه وسلمية والمعرة ومنبج وقلعة نجم الملك المنصور ناصر الدين محمد بن المعز المظفر تقي الدين عمر ، وفي بعلبك الملك الأمجد مجد الدين بهرام شاه بن فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب ، وبحمص والرحبة وتدمر شيركوه بن محمد بن شيركوه بن شاذي ، وبصرى بيد الملك خضر بن السلطان صلاح الدين وهو في خدمة أخيه الملك الأفضل ، وقد أخذ ابن الداية شيزر واخذ عز الدين ابراهيم بن شمس الدين المقدم بغراس وكفرطاب وفامية [1] .

كانت تلك القسمة التي ذكرناها واهنة ولم ترض أحداً ، ولذلك بدأت الاضطرابات داخل الأسرة الأيوبية وكان من الأسباب التي زادت في تطوير المشكلة أن الملك الأفضل أبعد مساعدي والده الذين غادروه الى مصر وأخذوا في تخويف العزيز من أخيه الأفضل وحثه على اخذ دمشق منه ، لذلك سار العزيز لاحتلال دمشق وطرد اخيه الأفضل،فقام هذا الأخير بالاستنجاد بعمه الملك العادل بالكرك وأخيه الظاهر بحلب فسارا الى دمشق، واصلحا بين الأخوين وعاد العزيز الى مصر .

وقام الملك العادل سيف الدين ثانية واتفق مع ابن اخيه الملك العزيز عثمان صاحب مصر ضد الملك الأفضل ملك دمشق وقد استنجد الأفضل بالخليفة العباسي الناصر في بغداد ولكن أخفق في ذلك مما جعله يخسر دمشق وقد عوض عنها بصرخد .

وتفصيل ذلك ان الملك العادل اندفع في شعبان من سنة خمس وتسعين وخمسمائة مع قواته لاحتلال دمشق وصادف أن الملك الأفضل لم يكن فيها وقد استطاع العادل احتلال دمشق وكان معه الملك العزيز . قام الملك الظاهر غازي صاحب حلب وقد خاف امتداد نفوذ عمه الملك العادل فاندفع بقواته لنجدة الملك الأفضل.وحين وصوله الى حماة منعه عسكرها من العبور على جسر العاصي الا انه استطاع بالقوة عبوره وهاجم حماة وقد اتخذ الملك المنصور صاحبها خطة المهادنة ليستبقي ملكه . فهادن الملك الظاهر وقدم له ما يحتاجه ووضع عساكره تحت تصرفه ، فاخذ قسماً من العساكر الحموية لمساعدته في قتال الملك العادل ، وقد استحلف المنصور على موافقته قبل مغادرته حماة ، ولقاء ذلك اقطع الملك الظاهر لصاحب حماة بارين التي كانت بيد عز الدين ابراهيم بن المقدم [2] .

---

(١) الروضتين ج٢ : ١٩٠ - ٢١٣ و ٢٢٤ - ٢٣٢ ، منتخبات من كتاب التاريخ ٢٥١ ، تاريخ شيزر : ١٩٧ ، الحروب الصليبية للتميمي : ٢١٢

، حياة صلاح الدين : ٢٠٩ ، مفرج الكروب : ج٤ : ٤، زبدة الحلب ج٣ : ٨٧٠ - ٨٧١ البداية والنهاية ج١٣ : ٦ تاريخ العصر الأيوبي : ١٦٤ - ١٦٥ ، الكامل ٩ : ٢٢٦ - ٢٢٧ ، ابن خلدون ج٥ : ٣٣١ - ٣٣٢ النجوم الزاهرة ج٦ : ١٠٣ النوادر السلطانية : ١٧٤ - ١٨٢، الفتح القدسي : ٥٢٨ - ٦٢٧

(٢) الكامل في التاريخ ج١٢ : ٥١، زبدة الحلب ج٣ : ٨٧٥ ، مفرج الكروب ج٣ : ٤٥ - ٥٠ شفاء القلوب ٢٠٧ - ٢٠٩ الحروب الصليبية للتميمي ٢١٢ ، تاريخ شيزر ١٩٩ ، المختصر في اخبار البشر ج٣ : ٨٦ - ٩٢ ، تاريخ العصر الأيوبي : ١٦٥ - ١٦٦ تاريخ ابن ابي الدم : ١٦٨ وجه ، النجوم الزاهرة ج٦ : ١٢٠

سار الملك المنصور محمد من بارين بعد ان اقطعها له الملك الظاهر . وكان قيامه في رمضان سنة وتسعين وخمسمائة . وحاصر بارين واخذها من ابن المقدم الذي عوض عنها بمنبج .

وأقام الملك المنصور محمد في بارين مدة لإعادة ترميم سورها الذي ضربه بشدة بالمناجيق وهدم قسماً كذلك كان قد اصيب في هذه المعارك بجرح .

وقد عيد الملك المنصور عيد الأضحى في بارين .

بعد احتلال دمشق من قبل الملك العزيز والملك العادل ترك الملك العزيز دمشق واتجه الى مصر وبقي الملك العادل في دمشق . الذي اخذ يحاول التوسع باتجاه الشرق [1] .

وفي خريف عام ٥٩٥ هـ/ ١١٩٨م توفي الملك العزيز بالقاهرة اثر حمى اصابته وقد اوصى بالملك بعده الى ابنه الملك المنصور محمد وكان عمره يوم توفي والده تسع سنين وشهورا ، وقد أوصى والده أن يكون مدبره بهاء الدين قراقوش الأسدي .

الا انه وقع الخلاف بين أمراء الدولة في تولية احد ابناء ايوب .لأن مصر ثغر الاسلام ويجب ان يتولى امرها من يجمع العساكر ويقودها فكان الخلاف بين تنصيب العادل أو الافضل واخيراً رجح القاضي الفاضل ترشيح الملك الأفضل وأبلغوه ذلك فجاء مسرعاً ودخل مصر متنكراً خوفاً على نفسه من اصحاب الملك العادل.وبعد اعتلائه حكم مصر أرسل لعمه الملك العادل بانه غير خارج عن الذي يأمره به وانه تحت حكمه [2] .

إلا أن الملك الأفضل وقد حثه الكثير من الأمراء على احتلال دمشق وخصوصاً ان الملك العادل عمه منشغل عنها في حصار ماردين . فتوجه إليها إلا ان الملك العادل سبقه اليها بيومين وحدثت معارك شديدة . وقد وصلت قوات الملك الظاهر لمساعدته كما طلب الملك العادل المساعدة من الأمراء التابعين له . وكاد الملك العادل يسلم دمشق للمحاصرين لولا أن دب الخلاف بين الملك الظاهر والملك الأفضل مما حمل الملك الأفضل للعودة إلى مصر وعاد الظاهر الى حلب .

وكان الملك العادل اثناء حصار دمشق وهو محصور بدمشق يهيء كل ما يحتاجه للهجوم على مصر بسبب مكاتبات تمت بينه وبين بعض الأمراء هناك . وما ان انتهى الحصار حتى توجه الى مصر وأخفق الملك الأفضل في جمع جيش لمحاربته وانهزمت عساكره القليلة امام جيوش العادل مما اضطره لقبول عرض العادل بعودته الى صرخد وقد استطاع أن يقنعه باضافة حاني وجبل جور وميافارقين وسميساط .

---

(1) مفرج الكروب ج٣: ٤٤-٦٨ ، المختصر في اخبار البشر ج٣/ ١٢٥ ، شفاء القلوب٢٠٨ - ٢٠٩ . الحروب الصليبية للتميمي ٢١٣ ، تاريخ شيزر : ١٩٩ ، زبدة الحلب ج٣: ٨٧٨ - ٨٩٠ ، المختصر في اخبار البشر ج٣/ ٩٢ - ٩٦ ابن خلدون ج٥ : ٣٣١ - ٣٣٢ البداية والنهاية ج١٣ : ١٢/ النجوم الزاهرة : ج٦: ١٢٠ - ١٢٧

(2) مفرج الكروب ج٣: ٧٥ - ١٠٥ ، زبدة الحلب ج٣: ٨٩٠ - ٨٩٢ ، شفاء القلوب : ٢٠٥ - ٢٠٨ ، الحروب الصليبية للتميمي : ٢١٣ ، المختصر في اخبار البشر ج٣: ٩٦ - ٩٨ ، تاريخ العصر الايوبي : ١٦٥ ، تاريخ ابن ابي الدم : ١٦٨ وجه وظهر

وقد دخل الملك العادل القاهرة على أساس انه كافل للملك القاصر الا ان هذا لم يدم اكثر من اسبوع حتى حلف الجميع له .

وبعد أن استقر الأمر للملك العادل في مصر استدعى ابنه الملك الكامل ناصر الدين محمداً من الشرق وجعله نائباً عنه بالديار المصرية وعاد العادل الى دمشق .

وهنا سارع الملك المنصور صاحب حماة الى عمه الملك العادل فأرسل له معتذراً إليه عن مساعدته الأفضل والظاهر ويطلب رضاه عنه وكان رسوله إليه زين الدين المعروف «بالميطلية» فلما قدم عليه تلقاه بالترحيب والاكرام وخلع عليه واحسن اليه واظهر الرضى عن الملك المنصور .

وقد اجاب على كتابه بابيات شعرية رقيقة . ويذكر انه قال لرسوله «المولى الملك المنصور ان كانت قد صدرت منه هذه الزلة فله من الحسنات ما يمحوها ويمحقها» .

ثم حلف للملك المنصور ، ووثقت الصلة بعد ذلك بين الملك المنصور وعمه الملك العادل فتزوج ابنته عصمة الدين ملكة خاتون ، والدة الملك المظفر [1] .

وكان الملك الظاهر اثناء عودته الى حلب بعد اخفاقه في حصار دمشق قد اغار على حماة وخرب ارباضها مما اضطر صاحبها الملك المنصور لمصالحته على مال اخذه منه . قيل انه ثلاثون الف دينار صورية . ثم ترك حماة وسار الى منبج .

وكان قد ارسل الملك الظاهر صاحب حلب رسالة الى الملك المنصور صاحب حماه جاء فيها : «انك تعلم محبتي لك ، وشفقتي عليك ، واعتمادي عليك ، وتعلم سوء باطن الملك العادل لنا ، وان مقصوده ان تكون البلاد كلها له ولو قدر علينا ما أبقى منا أحداً ، وقد علمت ما فعله بأولاد اخيه السلطان الملك الناصر ، مع انه هو الذي ملكه واظهره الى الوجود ، بعدما كان لا يؤ به به .

وكيف تثق ، وقد اخذ منك منبج وقلعة نجم واعطاهما لابن المقدم ، واختاره عليك ؟ وأنت متى وافقتني عليه رددت عليك منبج وقلعة نجم ، مضافة الى كفر طاب وأفامية ، والبارة ، ومفردات المعرة ، وأحلف لك على هذا كله» .

ولما وردت الرسالة على الملك المنصور بذلك اعتذر عن الاجابة اليه ، قائلاً «بأني حلفت له (للعادل) ولا يسعني أن احنث في يميني» [2]

وقد كانت معركة حماة حامية الوطيس اذ قاتل صاحبها قتالاً شديداً وقد حاصرها الملك الظاهر من

---

(١) مفرج الكروب ج٣: ٩٥ - ١١٤ ، زبدة الحلب ج٣: ١٤٦ - ١٥٣ ، شفاء القلوب : ٢٠٨ - ٢١٤ ، الحروب الصليبية للتميمي : ٢١٣ المختصر في اخبار البشر ج٣: ٩٨ - ٩٩ . تاريخ العصر الايوبي ١٦٥ - ١٦٦ ، تاريخ ابن ابي الدم : ١٦٩ وجه وظهر،الكامل ٩: ٢٣١- ٢٤٩، ابن خلدون ج٥: ٣٣٢- ٣٣٣

(٢) النص كما ورد في مفرج الكروب ج٣: ١٢١، تاريخ العصر الايوبي : ١٦٨ - ١٧٠

جهة الباب الغربي والقبلي ، ثم انحدر الى جهة باب العميان ، وجرى عنده قتال كثير ، وجرح الملك الظاهر بسهم في ساقه .

وذلك قبل أن يتم الصلح الذي اشرنا اليه .

واثر مصالحة الملك المنصور للعادل طلب العادل اعادة بارين لابن المقدم . وقد اقر ذلك الملك المنصور الا انه طلب من العادل رد بارين له واخذ بدلاً عنها منبج وقلعة نجم وذلك لقرب بارين من حماة فوافق العادل على ذلك واعطى منبج وقلعة نجم الى ابن المقدم بدلاً عن بارين التي بقيت بيد الملك المنصور .

ولما عصى الملك الأفضل عمه الملك العادل ، أخذ العادل منه ما بيده ولم يترك له سوى سميساط . فارسل الأفضل والدته الى صاحب حماة ليرسل معها من يتوجوا له مع عمه فارسل الملك المنصور معها القاضي زين الدين بن هندي الى العادل ولكنه لم يجبها فمادت خائبة [1] .

ثم تصالح الملك العادل مع الملك الظاهر صاحب حلب وخطب له بحلب وبلادها وضرب السكة باسمه واشترط الملك العادل على صاحب حلب أن يكون خمسمائة فارس من خيار عسكر حلب في خدمة الملك العادل كلما خرج الى القتال فالتزم صاحب حلب بذلك . واثر توجه الملك العادل الى حماة نزل على تل صفرون وقام الملك المنصور صاحب حماة بجميع وظائفه واثر المكاتبات المتعلقة بالصلح بين الملك الظاهر والملك العادل واستقرار الصلح كما قلنا اخذ الملك العادل من الظاهر المعرة واعطاها للملك المنصور صاحب حماة . وبذلك اصبحت مصر والشام بيد الملك العادل موحدة كما كانت في زمن السلطان صلاح الدين .

وقد خشي الملك العادل من استمرار وجود الملك المنصور محمد بن الملك العزيز ومن الصلاحية في مصر لذلك اخرج الملك المنصور وامه واخوته من مصر الى الرها فاقاموا بها فترة ثم انتقلوا الى حلب فاقاموا عند الملك الظاهر صاحبها .

وفي هذه السنة تسع وتسعين وخمسمائة توجه الملك المنصور بعساكره الى بعرين . فنزل بقلعتها مرابطاً لفرنج الساحل وأقام بها وطلب من الملك العادل النجدة فارسل يطلب له النجدة من صاحب بعلبك وصاحب حمص . كذلك كتب بهذا الخصوص للملك الظاهر صاحب حلب .

وفي ثالث شهر رمضان عام ٥٩٩هـ/ ١٢٠٢م اجتمع الفرنج من حصن الأكراد وطرابلس والحصون التي حولها من فرمان وعندما علم الملك المنصور بذلك ركب في العساكر التي معه وتقدم اليهم وقاتلهم فهزمهم وأخذ جماعة من مقدميهم وخيالتهم ، وأرسل بهم الى حماة فدخلوها راكبين خيولهم لابسين عددهم وبأيديهم رماحهم وكان يوماً مشهوداً .

---

(١) مفرج الكروب ج٣ : ١١٤-١١٥ شفاء القلوب ٢١٤ ، زبدة الحلب ج٣ : ١٥٠ - ١٥١/ تاريخ العصر الايوبي : ١٦٨ - ١٧٠ ، التاريخ المنصوري : ١٥ .

وقد كتب الملك المنصور يعلم عمه السلطان العادل بذلك فرد على كتابه بما يلي :

«وردت مكاتبة المجلس ، ووقف الخادم عليها ، وفهم ما أشار اليها من يمن حركته ، وسعادة وجهته ، وبركة نصرته ، ودخوله الى بلاد الكفار ، وما أثره فيها وفيهم من جميل الآثار ، فاستبشر بما دلت عليه من هذه النعم الراهنة ، والعوارف الظاهرة والباطنة ، والله تعالى يجازيه أحسن الجزاء ، ويضاعف له من الحسنات أوفر الأجزاء ، ويرمم سلفه الكريم ، ويحسن له في الحديث والقديم ، ويؤ يده في كل حركة بأحزاب الملائكة»[1] .

وقد حاول الاستبارية ارهاب الملك المنصور ليقوم بمصالحتهم اثر هجماته عليهم لذلك ارسلوا رسولاً من الداوية الى الملك المنصور يخبره فيه بوصول الفرنج الى عكا من داخل البحر في نحو ستين ألفاً من فارس تركبلي (متطوعة من السكان المحليين مسلحون بالاسلحة الخفيفة) وراجل ، وانهم يقصدون جهة جبلة واللاذقية .

وان مقدم الاستبارية ومقدم الداوية ، والملك متوجهون الى ابن لاون ملك الارمن ، ليصلحوا بينه وبين الابرنس - صاحب انطاكية - ويأتون بابن لاون لمساعدة الفرنج ضد المسلمين . وقام بتوجيه التهديدات بأن الفرنج في طريقهم الى بلاد الشام . وان على الملك المنصور أن يصالح بيت الاستبار بتوسط الداوية» . فأجاب المنصور :

«بأنا لا نجزع بما تقول ولا نكترث ، ولو أنهم اضعاف ذلك لناجزتهم ، فقد تحققنا قصدهم لنا ، وعلمنا ذلك ولا سبيل الى مصالح الاستبار بوجه»[2] .

كذلك ورد كتاب الملك العادل يخبر فيه الملك المنصور بأن الفرنج قد خرجوا من البحر وتوجهوا الى جهة اللاذقية وغيرها من البلاد .

وفي الحادي والعشرين من رمضان عام ٥٩٩هـ/ ١٢٠٢م «خرج جمع من الاستبار من حصن الاكراد والمرقب» تساندهم القوات التي وصلت اليهم ، وكانت عدتهم اربعمائة فارس والف ومائتي راجل ومعهم قوات من التركبلية والجرخية ورماة الزنبورك» .

فرتب الملك المنصور عسكره وقصدهم وقاتلهم وكسرهم ثم قتل منهم الكثيرين واسر منهم جماعة وفر الباقون . وقد تمكن المنصور من ذلك بعد ان كمن لهم كميناً وكان عدد قواته مائة فارس والف وخمسمائة راجل فحملت الأسرى الى حماة على خيولهم بعددهم وأسلحتهم . وبقي الملك المنصور بقلعة بعرين مرابطاً للفرنج ومعه عسكره ونجدات كانت قد وصلت إليه .

---

(١) مفرج الكروب ج٣: ١١٤-١١٥ شفاء القلوب ٢١٤ زبدة الحلب ج٣: ١٥١-١٥٣ تاريخ العصر الايوبي ١٧٠-١٧٣ التاريخ المنصوري ٤٤

(٢) مفرج الكروب ج٣: ١٤١-١٤٨ زبدة الحلب ج٣: ١٥٢-١٥٣ تاريخ العصر الايوبي ١٧٠ - ١٧٤

وضيق على الفرنج ، فكرروا مراسلاتهم طلباً للصلح الى ان اجابهم اليه وعقدوا المدنة معهم [1] . وعاد بعساكره لحماة وتفرقت العساكر التي اتته للمساعدة من حيث اتت .

وبدخول سنة ٦٠١هـ/ ١٢٠٤م انتهت هدنة الاستبارية مع الملك المنصور فأغاروا على حماة وقد انضم اليهم جمع غفير من الفرنج فنهبوا وقتلوا وسبوا وقد وصلوا الى ضيعة على باب حماه تدعى (الرقيطا) [2] قريبة جداً من الباب الغربي . وكان قد خرج من حماة من العامة خلق عظيم فلما وصل العدو تفرقوا واختنق جماعة عند ابواب المدينة ورمى البعض بأنفسهم في الخنادق وقد رجع الفرنج ومعهم سبي كثير وأسر عدد من رجالات حماة .

طلب الملك المنصور النجدة من الملك المعظم عيسى (ابن الملك العادل) وهو نائبه بدمشق ، فسير اليه نجدة الا ان مباحثات حثيثة بذلها الفرنج كان من نتيجتها توقيع الصلح بين الطرفين .

بعد عقد المدنة توجه الملك المنصور الى الديار المصرية للقاهرة عند الملك العادل الذي احسن استقباله واكرامه وبقي عنده شهراً (أو شهوراً) ثم خلع عليه وعلى أصحابه وعاد الى حماة مكرماً [3] .

وفي عام ثلاثة وستمائة كان الملك العادل مازال في مصر وقد توالت عليه الأنباء باستعدادات الفرنج العسكرية وهجومهم على حمص فجاء الشام وتابع الى بحيرة (قدس) [قطينة] واستدعى الملوك من اهل بيته والعساكر فجاؤوه ومعهم الملك المنصور صاحب حماة والملك المجاهد صاحب حمص والملك الأمجد صاحب بعلبك وولداه الملك المعظم والملك الأشرف وحضر ابن اخيه الملك الظاهر ووصلت عساكر سنجار والموصل والجزيرة وآمد فاجتمع عنده نحو عشرة آلاف فارس . ثم بقي قرب البحيرة حتى صام شهر رمضان كله وتوجه نحو حصن الأكراد وفتح برجاً فيه واخذ خمسمائة اسير وأموالاً وسلاحاً ثم توجه الى قلعة قرب طرابلس ونصب عليها المجانيق ثم افتتحها ثم نازل طرابلس وضيق عليها وضرب ماحولها وقطع اشجارها والعين الواصلة اليها وخربت طرقاتها . الا ان ضجر عسكره جعله يعود الى البحيرة قرب حمص وهناك ارسل صاحب طرابلس في طلب الصلح مع ثلاثمائة اسير وهدايا فصالحه في آخر ذي الحجة .

وفي سنة ست وستمائة سار الملك العادل الى البلاد الشرقية اثر استصراخ الملك الأوحد للملك العادل لصد الكرج وقد اشترك في هذه الحملة الملك المنصور صاحب حماة . و اشترك صاحب حماة مع

---

(١) مفرج الكروب ج٣: ١٤١ ـ ١٥٥ المختصر في اخبار البشر ج٣: ١٠٥ الكامل ٩: ٢٩٣

(٢) الرقيطة ضيعة عند باب حماه تبعد عن حماه (٤) كم حسب جدول المسافات للقطر العربي السوري وكانت تكتب التا بدلاً من هاء في آخرها .

(٣) مفرج الكروب ج٣: ١٦٠ ـ ١٦٤ ، المختصر في اخبار البشر ج٣: ١٠٥ ـ ١٠٦ ، الحروب الصليبية للتميمي : ٢١٥،شفاء القلوب : ٢١٤ ـ ٢١٥ .

ك الأشرف بالنزال على نصيبين فأخذاها وتسلما الخابور أيضاً وكان للملك المنصور دوره في الشفاعة
احب سنجار اثناء حصار الملك العادل لها [1] .

وفي سنة احدى عشرة وستمائة اجتمعت جموع الفرنج من قبرص وطرابلس وعكا وانطاكية وانضم
هم ابن لاون ملك الأرمن ونزلوا على حصن الأكراد القريب من حماة وقد خافهم الملك المنصور والملك
لجاهد صاحب حمص فراسل الملك المنصور الملك الظاهر صاحب حلب طالباً النجدة فقام الظاهر
براسلة الفرنج طالباً منهم عدم التعرض لحماة وقد استجاب الفرنج لذلك ولم يتعرضوا لحماة وذلك
للوفاق التام الحاصل بين صاحب حلب والفرنج .

وفي سنة ثلاث عشرة وستمائة توفي الملك الظاهر صاحب حلب وقد خلفه الملك العزيز بن الملك
الظاهر وسار الملك المنصور صاحب حماة الى حلب للعزاء . واثر المعارك والمجهات التي شنها الفرنج عام
٦١٤هـ قدم الملك العادل الى الشام لتجميع العساكر وشن المجهات على الفرنج الا ان الفرنج تحولوا الى
مصر وهاجموا ثغر دمياط عام ٦١٥ هـ فاخذ الملك العادل بارسال العساكر لنجدة مصر واخذ يتهيأ للذهاب
اليها وكان نازلاً بمرج الصُفَّر ثم رحل منها الى عالقين فنزل بها ومرض هناك واشتد مرضه ثم توفي في سابع
جمادى الأخرة من سنة خمس عشرة وستمائة عن عمر يناهز السابعة والخمسين . وكان اقرب اولاده اليه ابنه
الملك المعظم عيسى الذي كان بنابلس فاخفى وفاته وذهب به الى دمشق واستحلف الناس لابيه وله بعد
ابيه ثم استولى على اموال ابيه وعندها اشهر وفاته وجلس للعزاء وقد بلغ ما استولى عليه من اموال أبيه
بدمشق وحدها سبعمائة الف دينار [2] . وقد كانت بلاد الملك العادل (مصر والشام) قد قسمت بعد وفاته
فاخذ الملك المعظم عيسى دمشق والقدس وطبريا والاردن والكرك وغيرها . واخذ الملك الكامل محمد
مصر . اما ابنه الثالث الملك الأشرف موسى فكانت له ديار الجزيرة وميافارقين وخلاط . وقد قامت حركة
عصيان في مصر ضد الملك الكامل محمد قادها المشطوب مما اضطر الملك المعظم عيسى للذهاب لمصر
لمساندة اخيه.وابعاد المشطوب نفياً الى حماة حيث وصلها في سنة ست عشرة وستمائة وقد احتفل فيه صاحبها
الملك المنصور وكرمه.وكانت سياسة المنصور في حينها اظهار الطاعة لاولاد العادل مع العمل في الخفاء
ضدهم.كذلك وصل حماه الملك الفائز بن العادل رسولاً من اخيه الملك الكامل لاحضار العساكر للجهاد
في مصر (وكان مراد الملك المعظم الذي ارسله من مصر ابعاده عن مسرح الاحداث ريثما تستقر الأمور
لاخيه الملك الكامل) وكان المشطوب قد جمع الجموع وجيش الجيوش لمهاجمة حلب بعلم ومعرفة الملك
المنصور الذي بارك حركته . وارسل معه قاضي حماة نجم الدين ابو البركات . وبعد وصول الملك الفائز
لحماة ابدى الملك المنصور كل استعداد لارسال الجيوش .

---

(١) مفرج الكروب ج٣): ١٩٠ - ١٩٧ ، المختصر في اخبار البشر ج٣: ١١٣ ، التاريخ المنصوري : ٥٢.شفاء القلوب : ٢١٨ - ٢١٩ ، زبدة الحلب ج٣: ٩٠٦ - ٩٠٧ .

(٢) مفرج الكروب ج٣: ٢٥٤ - ٢٧٦ ، المختصر في اخبار البشر ج٣: ١١٢ - ١٢١ ، شفاء القلوب : ٢١٨ - ٢٢٩ الحروب الصليبية للنمجي ٢١٤ - ٢١٧ ، زبدة الحلب ج٣: ٩٠٦ - ٩٠٧ ، تاريخ العصر الايوبي ١٧٨ - ١٨٠ الكامل ٩: ٣١٤ ومابعدها ، ابن خلدون ج٥: ٣٤٤ - ٣٤٥

ثم قام الملك المنصور بتحليف اهل حماة لولده الملك المظفر تقي الدين محمود على ان تكون ولاية العهد له . وكان عمر الملك المظفر سبع عشرة سنة .

ثم قام بارسال نسخة اليمين الى مصر مع العساكر التي ارسلها لنجدة خاله الملك الكامل في حربه مع الفرنج وذلك بقيادة ابنه الملك المظفر الثاني وكان معه الطواشي مرشد المنصوري . وفي مصر أحسن الملك الكامل استقبال المظفر الثاني والحقه بميمنة العسكر حيث قام مقام جده الدائم في تراتيب جيوش صلاح الدين الأيوبي [1] .

توفي الملك المنصور محمد اثر حمى وورم دماغي واستمر مرضه واحداً وعشرين يوماً وذلك في شهر ذي القعدة من سنة سبع عشرة وستمائة ١٢٢٠م وكانت وفاته في القلعة وقد اوصى قبل وفاته باخراج من كان في حبسه وقال : «في حبسنا من قد ظلمنا باخذ مالنا» واعتق مماليكه وإماءه[2] .

كانت سياسة الملك المنصور محمد تنبع من نقطة استمرارية استقلال مملكة حماة في ظل حكمه لذلك نجده متقلباً نحو ابناء صلاح الدين.فتارة مع صاحب حلب ضد صاحب دمشق.

واخرى مع صاحب دمشق ضد حلب او غيرها . فهو يحاول ان يستند على الجهة الاقوى وهو سريع التبدل في سياسته كما رأينا .

أما في سياسته الداخلية فقد قام بادارة مملكته ادارة حسنة وقام بتعميرها رغم الظروف التي كانت تمر بها المنطقة عموماً.فقام بهدم سور حماة الذي بناه والده من لبن وطين وحجر فاستبدله بسور حجري محكم. وقام بتعريض الخنادق حول السور وعمقها.وبنى مدرسته فوق قبر والده التي ما تزال باقية حتى الآن. وبنى حماماً كما بنى جسراً يقع قرب باب حمص وبنى سوقاً عرف باسم سوق المنصورية .

وقد شهدت حماة في فترة حكمه استقراراً نسبياً نتج عن سياسته الداخلية والخارجية . وكان شجاعاً كريم النفس احاط نفسه بالعلماء وقيل إنه كان في خدمته مائتا متعمم (عالم) من نحاة وفقهاء وعلماء وشعراء وكان يحب الشعر ويجيز لمن يمدحه .

وقد كان من المصنفين والمؤرخين فهو صاحب كتاب (المضمار في التاريخ) أو (مضمار الحقائق وسر الخلائق) وهو في عشرين مجلدة وله كتاب (طبقات الشعراء) في عشر مجلدات .

وكان قد استحلف اهل حماة على ان يخلفه ابنه الملك المظفر الثاني محمود الذي كان عند وفاته في

---

(١) مفرج الكروب ج٤ : ١٨ - ٧٧ ، المختصر في اخبار البشر ج٣ : ١٢٢ - ١٢٥ ، زبدة الحلب ج٣ : ٩٣٢ - ٩٣٧ . شفاء القلوب : ٢٧٣ - ٣٠٨
الحروب الصليبية للتميمي ٢١٩ - ٢٢١

(٢) مفرج الكروب ج٤ : ٧٧ - ٧٨ ، المختصر في اخبار البشر ج٣ : ١٢٥ - ١٢٦ ، زبدة الحلب ج٣ : ٩٣٧ ، تاريخ ابن ابي الدم : ١٧١ ظهر ، التاريخ المنصوري : ٩٠ ، ابن خلدون ج٥ : ٣٤٦

ر للملك قام ابنه الثاني الناصر قليج ارسلان باغتصاب الملك ونصب نفسه ملكاً على حماه [1] بغياب ولي عهد أخيه .

★

(1) المختصر ج٣: ١٢٥ - ١٢٦ ، زبدة الحلب ج٣: ٩٣٧ ، مفرج الكروب ج٤: ٧٧ - ٨٦ ، التاريخ المنصوري : ٩١، البداية والنهاية ج١٣: ٩٣ .

# الملك الناصر قليج ارسلان

## ٦١٧ - ٦٢٦هـ / ١٢٢٠ - ١٢٢٨م

توفي الملك المنصور في حماه وكان ابنه ولي عهده المعين في مصر . اما ابنه الثاني الملك الناصر صلاح الدين قليج ارسلان فقد كان مع خاله الملك المعظم شرف الدين عيسى صاحب دمشق بالساحل محاصرين حصون الفرنج .

أما في حماة فقد كان الوزير فيها زين الدين بن فريج الذي استفرد بالأمر واتفق مع ارباب الدولة على كتمان امر وفاة الملك المنصور واستدعاء ابنه الملك الناصر قليج ارسلان وتسليم الملك إليه لما يعلمونه من لين عريكته . وبذلك يستطيعون التصرف بالبلاد كيف شاءوا .

فقاموا بمراسلة الملك الناصر قليج ارسلان.وصدف أن عرف الملك المعظم عيسى بتلك المراسلات وادرك الأمر ، فمنع الملك الناصر قليج ارسلان من التوجه الى حماه إلا بشرط أن يحلف له على مال يؤديه إليه . وقد اضطر الملك الناصر صاغراً لاجابة طلبه وقيل إن المبلغ كان اربعمائة الف درهم .

وصل الملك الناصر الى حماه واجتمع بالوزير زين الدين وجماعته فحلف لهم واصعدوه الى القلعة واظهروا ان والده حي وانه عهد بالسلطنة إليه ، ونادوا به ولياً للعهد وكان عمره سبع عشرة سنه . وبتوليته يكون معظم أمراء وأكابر حماة قد حنثوا بايمانهم التي حلفوها لاخيه الملك المظفر في حياة الملك المنصور .

ابقى الملك الناصر وزير أبيه زين الدين بن فريج مدة ريثما تم له الأمر . ثم تغير عليه وابعده . واستوزر رجلاً من أهل حماه يعرف باسم شهاب الدين بن القطب . كان قد جمعته به الظروف . فقد كان ابو شهاب الدين رجلاً كبيراً في العلم والفتوى وكان معيداً بالمدرسة السلطانية المنصورية . واتفق ان ولى الملك المنصور شهاب الدين ابن هذا العالم أمراً إلا أنه اتهم فيه . فحبسه الملك المنصور بجامع القلعة بحماة . حيث تكرر اجتماع الملك الناصر قليج ارسلان به ، وحصلت بينهما مودة وانس . وقد اخبر شهاب الدين الملك المنصور مرة ، ان شخصاً ابلغه في الحلم بان الملك الناصر قليج ارسلان سيتولى الحكم بعد ابيه (رغم ان ولي العهد اخيه الملك المظفر) . سرّ الملك الناصر بذلك ووعد شهاب الدين بان يستوزره اذا تولى الملك [1] .

(١) مفرج الكروب ج٤ : ٨٦ - ٨٨ ، المختصر ج٣ : ١٢٦ ، زبدة الحلب ج٣ : ٩٣٧ ، التاريخ المنصوري : ٩١-٩٢ ، ابن خلدون ج٥ : ٣٤٦ ، تاريخ ابن ابي الدم : ١٧١ وجه وظهر . البداية والنهاية ج١٣ : ٧٩

احسن الملك الناصر لوزيره الجديد براً بوعده ، واقطعه اقطاعاً كبيراً ، وولاه المعرة . فنزع لذلك شهاب الدين العمامة عن رأسه ولبس الشربوش (وهو قلنسوة طويلة تلبس بدل العمامة وكانت شارة الأمراء. مما يعني تخليه عن منصبه الديني وانصرافه الى منصبه السياسي الجديد). وتصرف شهاب الدين في المعرة تصرفاً مطلقاً ، وما لبس أن تخلى عن ولاية المعرة ، وأصبح أتابك العسكر . وإليه النظر في اكثر الأمور ، وتسلم اخوه عماد الدين القضاء بحماة [1] .

ان تسلط شهاب الدين على الملك الناصر وتدخله في شؤون مملكة حماة ، وازدياد هذا التدخل واتساعه ، أدى الى غضب الملك الناصر على شهاب الدين فقام في سنة اثنتين وعشرين وستمائة باعتقاله وعزل اخيه عن القضاء . فهرب الأخير وبقي شهاب الدين محبوساً بالقلعة الى ان ملك المظفر حماة فاطلقه .

اما الملك المظفر ابن الملك المنصور وولي عهده فقد بلغه وفاة ابيه فاستأذن خاله السلطان الملك الكامل في التوجه من مصر الى حماة ، وهو يعتقد بانه سيتسلم الملك عند وصوله حماة بسبب الايمان التي حلفها اهل حماة له اثناء حياة والده . فسار مسرعاً نحو حماة ولما وصل غور العاصي لقيه خاله الملك المعظم ، فاخبره بأن اخاه قد استلم الملك ، وأن وصوله لحماة يعني إما قتله أو سجنه ، واقنعه ان يتوجه لدمشق ومن هناك يكتب الى ارباب الدولة ، ويذكرهم بما حلفوا عليه . فإن وافقوه وعزلوا اخاه عن الملك عندها يتوجه الى حماة .

توجه الملك المظفر الى دمشق . ونزل في دار والده المعروف بدار ابن الزنجيلي ، وأقام فيها مدة . ثم قام بتوجيه الرسائل الى ارباب الدولة في حماة لاعادة الحق إليه في ملك حماة . ولما لم يتم له ما أراد ، قفل راجعاً الى مصر ملتحقاً بالسلطان الملك الكامل الذي اقطعه بها اقطاعاً [2] .

اطمأن الملك الناصر قليج ارسلان بعودة أخيه الملك المظفر الى مصر ، فاخذ محاولاً اسباغ الشرعية على حكمه بالحصول على اعتراف الأمراء والملوك به ، فسير الأتابك شهاب الدين لهذا الخصوص ، ولايجاد وسيلة للتوسط بينه وبين الملك الأشرف على أن ينتمي إليه ، ويكون من قبله ليامن بذلك من خاله السلطان الملك الكامل . وقد نجحت الوساطة وحلف الملك الأشرف ان يمنع منه من يقصده .

ولما اشتد خطر الفرنج ضد مصر ارسل الملك الكامل الى اخوته واهل بيته يحثهم على الجهاد وسرعة الحركة ، فسار الأشرف وانضم اليه في طريقه الملك الناصر صاحب حماة ، والملك المجاهد صاحب حمص ، والملك الأمجد صاحب بعلبك مع قوات شهاب الدين طغريل . وبالطبع كان الملك المعظم

---

(1) مفرج الكروب ج٤ : ٨٦ - ٨٨ ، المختصر ج٣ : ١٢٦ ، زبدة الحلب ج٣ : ٩٣٧ ، تاريخ ابن ابي الدم : ١٧١ وجه وظهر ، التاريخ المنصوري : ٩١ - ٩٢ ، ابن خلدون ج٥ : ٣٤٦

(2) مفرج الكروب ج٤ : ٨٨ - ٨٩ ، المختصر ج٣ : ١٢٣ ، زبدة الحلب ج٣ : ٩٣٧ ، التاريخ المنصوري : ٩٤ - ٩٥ .

قواته تشارك في هذه المسيرة نحو مصر لنجدة الملك الكامل ، وكان الفرنج قد احتلوا دمياط ، وأخذت جموعهم تخطط للتوجه نحو القاهرة .

غير ان وصول الملوك والأمراء المسلمين غير مجرى المعركة واتجه الجميع نحو ما سيعرف باسم المنصورة . وقد سُرّ الملك الكامل بوصول اهله ، وقام الملك الأشرف بالوساطة بين الملك الناصر قليج ارسلان والسلطان الملك الكامل .

وأمام التحول الجديد في ميزان القوى ، حاول الفرنج بذل مساع للصلح ، اخفقت بغلوهم في الطلب وغم بذل الأيوبيين لهم القدس والساحل الشامي كله مقابل التخلي عن دمياط . وهنا قامت جماعة من المسلمين فحولت مياه النيل ، وهو اثناء فيضانه عليهم ، فاغرقت مياهه الأرض حيث معسكرهم وقطعت الطرقات ، وحاصرهم المسلمون ، مما اضطرهم لتسليم دمياط والخروج سالمين بأنفسهم ، وعرفت هذه الواقعة باسم معركة المنصورة (٦١٨هـ/ ١٢٢١م) وعلى اثرها عادت القوات الاسلامية الى اوطانها .

وقد انتزع الملك الأشرف الرقة من الملك الأمجد واقام بها ، وورد عليه الملك الناصر قليج ارسلان وبقي عنده مدة ثم عاد الى حماة [1] .

اطمأن الملك الناصر قليج ارسلان للوضع السياسي لحكمه في حماة بعد أن تصالح مع الملك الكامل في مصر اثر معركة المنصورة التي شارك فيها . واثر المصالحة التي تمت بينه وبين الملك الأشرف قبل المعركة. وبالطبع كان الملك الناصر يستند في علاقته مع دمشق على الاتفاق الذي تم بينه وبين ملكها الملك المعظم عيسى لقاء مال يدفعه له عند استلامه السلطة .

الا ان الملك الناصر تأخر في دفع المال وشعر الملك المعظم عيسى بأن الملك الناصر يداهنه وان في تأخير تحصيل المبلغ فواتاً له لذلك قرر مهاجمة حماة وبذلك يستد المال المتفق عليه او يسقط الملك الناصر قليج ارسلان وقد اتخذ لذلك ذريعة ان اميراً من امراء الملك الكامل وهو الامير مجاهد الدين اقبال قد هرب من مصر وان الملك الكامل قد كتب إليه (للملك المعظم عيسى) للقبض عليه وحمله إليه ، وقد استغل غياب الملك الناصر عن حماة في رحلة صيد . فاتجه الملك المعظم نحو حماة في محاولة للوصول إليها ودخولها قبل الملك الناصر .

إلا أنّ الملك الناصر بلغته هذه الأنباء فسارع في الرجوع إلى حماة ودخلها وتحصن في قلعتها وأغلق ابواب البلد واستعد للحصار . وحين علم الملك المعظم بذلك ارسل للناصر يقول : «انني لم اقصد

---

1) مفرج الكروب ج٤: ٩٤ - ١٠٧ ، المختصر ج٣: ١٢٩ - ١٣٠ ، زبدة الحلب ج٣: ٢٣٧ ، الكامل ج٩: ٣٢٧ ، شفاء القلوب : ٢٩٧ - ٣٠٨ ، ابن خلدون ج٥ : ٣٤٩ ، الحروب الصليبية للتميمي : ٢١٨ . البداية والنهاية ج٦: ٢٤١ - ٢٤٣ .

قتالاً ، وإني أتيت لطلب مجاهد الدين إقبال ، فحيث سلكت طريق المحاربة والقتال ، فنحن نسلكه أيضاً معك»[1]

ثم ترك بعض عسكره محيطاً بحماة ، وتوجه الى سلمية ، واحتاط على مافيها من الحواصل ، وولى فيها والياً من قبله ، ثم تركها وتوجه الى معرة النعمان التي كان فيها والياً من قبل الملك الناصر وهو شهاب الدين بن القطب الذي هرب منها قبل وصول الملك المعظم اليها . فدخل المعرة ونزل بدار الملك الناصر صاحب حماة ، بعد ان استولى على ما في المعرة من الحواصل ، وولى والياً من قبله ، وهناك جاءه صاحب شيزر ، كذلك وصل إليه شهاب الدين بن القطب رسولاً من الملك الناصر يستعطفه ويستميله ، الا انه رده خائباً ، فعاد إلى حماة .

اتجه الملك المعظم الى سلمية بقصد الاستعداد لمنازلة حماة[2] ، وقام بالاتفاق مع العرب المقيمين حول حماة لقطع الميرة عنها ، ومنع من يقصدها من الجند ، في محاولة للضغط على صاحبها الملك الناصر ، وحول طرق القوافل عن حماة إلى سلمية .

ولما وصلت الأخبار إلى الديار المصرية ، وصادف أن كان فيها الملك الأشرف في زيارة لأخيه الملك العادل ، فقام بالتوسط والتدخل في الأمر قائلاً : «ان تركنا الملك المعظم يحاصر حماة ويأخذها ، تعدى ذلك الى غيرها ، واطمعته نفسه بالاستيلاء على البلاد كلها ، والمصلحة الانكار عليه وتهديده وتخويفه من مغبة فعله»[3]

فارسل الملك الأشرف رسولاً من قبله ، والملك الكامل رسولاً آخر الى الملك المعظم طالبين رفع الحصار عن حماة ، ويأمران الملك المعظم بالرحيل عنها ، وترك الخلاف . ولم يستطع الملك المعظم رفض الطلب ، بل اضطر لبدء مفاوضات الصلح مع صاحب حماة ، وبعد ابرامه رحل الملك المعظم عن سلمية مغضباً حانقاً على اخويه . وكان ذلك بداية الخلاف الذي دب بينه وبينهما . لأنه طمع بالاستيلاء على حماة وما يتبعها وضمها لملكه .

أثناء وجود الملك الأشرف بمصر وهو حليف الملك الناصر صاحب حماة ، جرى بينه وبين الملك الكامل بحث موضوع تمليك حماة للملك المظفر ولي عهدها الشرعي وهو حليف الملك الكامل ، ومازال في خدمته ، ولدى الملك الكامل رغبة في تمليكه حماة ، لما في ذلك من مكاسب له في بلاد الشام بوضع حليف مخلص له ، وقد ادرك ذلك الملك الأشرف ، فعارض في ذلك ، واتفق الطرفان على حل وسط بأن تسحب سلمية من الملك الناصر ، وتعطى للمظفر . وهو ما تم بالفعل . وقام المظفر بارسال والٍ اليها

---

(1) مفرج الكروب ج٤ : ٩٤-١٠٧ المختصر ج٣ : ١٢٩ - ١٣٠ ، زبدة الحلب ج٣ : ٩٣٧ ، شفاء القلوب : ٣٠٦ - ٣٠٨ ، الكامل ج٩ : ٣٢٧ ، ابن خلدون ج٥ : ٣٤٩ ، الحروب الصليبية للتميمي : ٢١٨

(2) مفرج الكروب ج٤ : ١١٧ - ١٢٠ ، المختصر ج٣ : ١٣١ ، زبدة الحلب ج٣ : ٩٣٨ ، ابن خلدون ج٥ : ٣٥٠

(3) مفرج الكروب ج٤ : ١٢٨

من قبله وهو الأمير حسام الدين بن محمد بن أبي علي المذباني، وامره بعمارة القلعة التي في داخلها وتحصينها(1) .

كان من نتيجة ذلك أن حنق الملك المعظم على اخويه وقد شعر بعزلته السياسية فأخذ يبحث عن حلفاء له . فاتفق مع مظفر الدين بن زين الدين كوكبوري بن علي كوجك صاحب اربيل ، وجلال الدين بن خوارزم شاه مشكلين حلفاً فيا بينهم . وتم الاتفاق بينهم ان يهاجم مظفر الدين الموصل ، ويهاجم جلال الدين خلاط ، ويقصد الملك المعظم حمص وحماة . من جهة ثانية قام حلف مضاد شمل صاحب حمص وصاحب حماة والحلبيين وصاحب الموصل وتزعمهم الملك الأشرف .

ولم يكن مع الملك المعظم من أهل بيته إلا الملك الامجد مجد الدين بهرام شاه بن عز الدين فرخشاه صاحب بعلبك ، والملك العزيز والملك الصالح ابناء الملك العادل وكانا ملازمين خدمة اخيهما الملك المعظم .

وقد شجع الملك المعظم على استعداداته الهجومية ان اخاه الملك الكامل كان بوضع مقلقل في مصر فقد كان يخشى الخروج منها خوفاً من انقضاض عسكره عليه . وبذلك وجد الملك المعظم ان الفرصة مواتية له للهجوم على حمص وحماة تنفيذاً للاتفاق المذكور . ورأى ان يبدأ بحمص ، فسير جماعة من عرب دمشق ، فاغاروا على حمص ونهبوها وخربوها . ثم خرج الملك المعظم من دمشق ووصل مشارف حمص .

بلغت هذه الأخبار مسامع الملك الأشرف الذي آثر عدم التدخل مباشرة فارسل جوعاً من آل فضل من العرب لنجدة صاحب حمص . إلا ان هذه الجموع نهبت قرى المعرة وحماة اثناء سيرها واخذت ما في بيادرها من حواصل .

وتوافق وصولهم حمص مع وصول عسكر الملك المعظم فوقعت المعركة بينهم وقد تمكن عرب آل فضل من دخول المدينة لدعم دفاعاتها .

ولما طال مقام الملك المعظم حول حمص دون نتيجة وقد وقع الفناء في عسكره وماتت دوابهم وكثر المرض فيهم اضطر للرحيل عنها نحو دمشق في رمضان من سنة ثلاث وعشرين وستمائة . انتهز الملك الأشرف هذه الفرصة وجاء لدمشق في محاولة لحسم النزاع . فأحسن الملك المعظم استقباله رياء ولكنه تسلط عليه واشعره كما لو انه اسيره . ومنعه من مغادرته لينتزع منه موافقته على غزوه حمص وحماة . اخذ الملك الأشرف بمداورة الملك المعظم دون أن يمكنه من تحقيق اغراضه ، (2) ولكنه حين شعر أن

---

(1) مفرج الكروب ج٤: ١٢٨ - ١٢٩ ، زبدة الحلب ج٣: ٩٣٩ - ٩٤٠ ، المختصر ج٣: ١٣٢ ، التاريخ المنصوري : ٩٧ ، ابن خلدون ج٥: ٣٥٠

(2) مفرج الكروب ج٤: ١٧٦-١٨١، المختصر ج٣: ١٣٦ ، زبدة الحلب ج٣: ٩٤٣ - ٩٤٦ ، شفاء القلوب : ٣١٠ ابن خلدون ج٥: ٣٥١ ، الحروب الصليبية للتميمي : ٢٢١

لا خلاص له من أخيه إلا بموافقته على مشاريعه اضطر ان يحلف له بان يعاضده ضد الملك العادل والملك المجاهد صاحب حمص والملك الناصر صاحب حماة ، منضماً بذلك لحلف الملك المعظم . عند ذلك استطاع الملك الأشرف الخروج من قبضة أخيه في دمشق عائداً إلى بلاده بعد أن بقي في قبضته مدة عشرة أشهر . وما ان وصل بلاده حتى رجع عن كل اتفاق بينهما ، واعتبر ان ايمانه التي حلفها كان مكرهاً عليها .

وحدث ما قلب موازين القوى والأحلاف القائمة اثر وفاة الملك المعظم عيسى (بالديزنطاريا) وهو بقلعة دمشق في ذي القعدة من سنة اربع وعشرين وستمائة/ ١٢٢٦م عن عمر يناهز السابعة والأربعين بعد ان ملك دمشق استقلالاً تسع سنين وعدة أشهر . وقد استولى على ملكه ابنه الملك الناصر داود واصبح حاكماً لدولة تمتد ما بين حمص وعريش مصر . وقد اقر عمه الملك الكامل على ذلك إلا أن العادل طلب منه اعطاءه قلعة الشوبك ليجعلها خزانة ، وفوجىء الملك العادل برفض الملك الناصر داود لطلبه هذا . مما اوقع الوحشة بين الطرفين ، ولعل هذا كان باعثاً للملك الكامل على اتخاذ قراره باستعادة الشام ، فجعل ابنه ولياً لعهده وسلمه حكم مصر واتجه الى الشام ومعه امراؤه وقد اصطحب معه الملك المظفر الذي وعده بإعادة حماة إليه [1] . وصلت الأخبار للملك الناصر داود صاحب دمشق فارسل الى عمه الملك الأشرف مستنجداً به فجاء لنصرته لأنه رأى في تقدم الملك الكامل نحو دمشق واحتلالها تهديداً له واخلالاً بالتوازن القائم . إلا أن (الملك الأشرف) تغير على الملك الناصر داود وتحول إلى أخيه الملك الكامل ، بعد أن عرف أن الملك الناصر داود اصبح ورقة خاسرة وبعد أن طمع بالاتفاق مع أخيه الملك الكامل . كما وتحول الملك العزيز عن الملك الناصر داود بعد أن كان حليفاً له بسبب رفض الأخير اعطاء بعلبك له .

تم الاجتماع بين الملك الكامل والملك الأشرف بتل العجول و الاتفاق بينهما على اعادة التوازن وتوزيع السلطات بين سائر ملوك الشام كما يلي : تنتزع دمشق من ابن اخيهما الملك الناصر داود على ان تكون للملك الأشرف ويعوض الملك الناصر داود بدلا عنها (على عادة ملوك الأيوبيين) حران والرقة والرها وسروج ورأس عين وجملين والموزر . تنتزع بعلبك من الملك الأمجد بهرام شاه وتعطى هي واعمالها للملك العزيز عثمان مكافأة له لدخول حلف الكامل والأشرف .

تنتزع حماة والمعرة وبعرين من الملك الناصر قليج أرسلان وتعطى للملك المظفر على ان يسلم سلمية للملك المجاهد صاحب حمص [2].

قام الملك الأشرف بمهمة ابلاغ ابن اخيه الملك الناصر داود هذه المقررات نحوه فاجتمعا قرب فيق بغور الاردن وابلغه ما تم الاتفاق عليه وامره بتسليم دمشق والذهاب الى الجهة الشرقية لاستلامها ولكنه رفض واتجه لدمشق وقد انفض عنه الكثير من الأمراء الذين كانوا معه وانضموا للملك الأشرف .

---

(١) مفرج الكروب ج٤: ٢٠٥ - ٢٢٦ المختصر ج٣: ١٣٨ ، زبدة الحلب ج٣: ٢٠١ - ٢٠٢ ، شفاء القلوب : ٣١١ ، ابن خلدون ج٥: ٣٥١ ، ٣٥٢ ، الحروب الصليبية للتميمي : ٢٢١

(٢) مفرج الكروب ج٤: ٢٣٠ - ٢٣١ ، المختصر ج٣: ١٤٠

وكان قبل وصول الملك الناصر داود الى دمشق بأيام قد وصل إليها الملك الناصر قليج ارسلان صاحب حماة بعسكره نصرة للملك الأشرف على اساس الاتفاق القديم بين الملك الناصر داود والملك الاشرف وحينا عرف بانتقاض هذا الاتفاق ورجوع الملك الناصر داود لدمشق استعداداً للمعركة ، اسرع بالعودة الى حماة ليهتم بمصلحته الشخصية اذ تأكد انه بعد انتهائهم من دمشق لابد ان حماه هي التي ستليها [1] .

ثم حاصر الملك الكامل والملك الأشرف دمشق من ناحية القدم وقطعا عنها نهري بانياس وقنوات المخصصين لشرب المدينة . وبعد ان طال الحصار واستنفذ مابيد الملك الناصر داود قرر التسليم فاكرمه الملك الكامل واعطاه الكرك والشوبك واعمالها الا انه تنازل له عن الشوبك ودخل الملك الكامل الى دمشق والقلعة واستلمها ثم سلمها الى اخيه الملك الأشرف تنفيذاً للاتفاق [2] .

بعد ان سلم الملك الكامل لأخيه الملك الاشرف دمشق اتجه نحو حماه فنزل في سلمية وارسل الملك المظفر تقي الدين ليحاصر حماة وبعث معه الملك المجاهد أسد الدين شيركوه صاحب حمص والملك العزيز والملك الصالح ابنا الملك العادل . . فنزلوا حماة التي استعد فيها للحصار الملك الناصر قليج ارسلان وكان عنده من الذخائر والعدد الشيء الكثير ولو امتنع فيها لطال الحصار ولو طلب عنها عوضاً لاجيب اليه . الا ان الملك الناصر قليج تعجل النزول الى الملك الكامل وقد خاف العساكر الكثيرة المحيطة به والمجانيق المنصوبة على البلد مما اسقط بيده . وقد استمر حصار حماة من أول شهر رمضان حتى اول العشر الأخير منه . حيث نزل الملك الناصر قليج ارسلان من القلعة سحراً الى الملك المجاهد صاحب حمص بعد أن ابلغه برغبته بالذهاب معه الى الملك الكامل وعند وصوله اليه انتهره الملك الكامل واعتقله وامره ان يرسل امره لمن في القلعة لتسليمها الى نوابه فاجاب الى ذلك .

ولما وصلت الأنباء الى نواب قلعة حماة وكان فيها الطواشيان بشير وشجاع الدين مرسل المنصوريان وفيها بعض مماليك المنصور وخدمه وبعض أولاده امتنعوا عن ذلك واركبوا الملك المعز بن الملك المنصور شقيق الملك المظفر والملك الناصر ونادوا به في حماة ملكاً ، وهو يومئذ صغير وقالوا هذا بدل الملك الناصر والبلد له .

ولما وصل الخبر بذلك للملك الكامل ارسل للملك المظفر وكان نازلاً بظاهر البلد محاصراً لها أن يتفق مع مماليك ابيه بتسليم القلعة إليه فراسلهم الملك المظفر واتفق معهم على التسليم له دون دخول عساكر الملك الكامل حماة وتم تنفيذ الاتفاق ودخل الملك المظفر حماة ونزل بدار الاكرم يومين ثم صعد في اليوم الثالث الى القلعة وتسلمها وجاء عيدالفطر في عام ستة وعشرين وستمائة ١٢٢٨م وهو مالك حماة. فرح أهل حماة بعودة الملك الى الملك المظفر لأن في اعناقهم يميناً له . وقد فوض الأمور الى الأمير سيف الدين علي بن أبي علي . وقد اخذ الملك الكامل سلمية من الملك المظفر واعطاها لصاحب حمص وبقي

(١) مفرج الكروب ج٤ : ٢٣٧ - ٢٤٠ ، تاريخ العصر الأيوبي ١٩٠ - ١٩٣ ، تاريخ ابن ابي الدم : ١٧٧ وجه وظهر

(٢) مفرج الكروب ج٤ : ٢٥٦ - ٢٥٨ ، المختصر ج٣ : ١٤٢/ تاريخ ابن ابي الدم : ١٧٧ وجه وظهر

في يد الملك المظفر حماة والمعرة وبعرين . وكانت مدة ملك قلج ارسلان بحماة وما يتبعها تسع سنين الا نحو شهرين [1] .

بعد رحيل الملك الكامل من سلمية اطلق الملك الناصر وكتب الى الملك المظفر أن يسلم الى اخيه الملك الناصر بعرين وان يحمل اليه مافي قلعة حماة من اموال وكان فيها نحو اربع مائة الف درهم .

وقدم الملك الناصر الى بعرين فتسلم من الملك المظفر قلعتها ثم بعث يطلب المال الماذون في تسليمه فسير الملك المظفر إليه بعضه فامتنع عن قبضه ورده وقال : «لا أقنع الا بجميع ما أمر لي السلطان الملك الكامل ، ولا انزل فيه درهماً» [2] فاخذه الملك المظفر وامتنع عن ارسال شيئاً من المال . وقد بقي مع الملك المظفر حماة والمعرة فقط .

ثم رحل الملك الكامل الى البلاد الشرقية التي أخذها من الملك الأشرف وهناك استدعى الملك المظفر فسافر من حماة الى خدمته فعقد له العقد في معسكره على ابنة السلطان غازية خاتون شقيقة الملك المسعود صاحب اليمن وكتب له التقليد بمملكة حماة . ثم عاد الى حماة مسروراً [3] .



(١) مفرج الكروب ج٤ : ٢٦٥ ـ ٢٧٢ ، المختصر ج٣ : ١٤٣ ـ ١٤٤ ، تاريخ ابن ابي الدم ١٧٣ وجه وظهر ، تاريخ المنصوري : ١٨١ ـ ١٨٢ ، الكامل ٩ : ٣٨٠ ، ابن خلدون ج٥ : ٣٥٢

(٢) مفرج الكروب ج٤ : ٢٧٢ البداية والنهاية ج١٣ : ١٢٤

(٣) مفرج الكروب ج٤ : ٢٧٣ ـ ٢٧٧ ، المختصر ج٣ : ١٤٤ ـ ١٤٥

# الملك المظفر الثاني تقي الدين محمود

(٦٢٧ - ٦٤٢) هـ (١٢٢٩ - ١٢٤٤) م

---

كانت اولى اعمال الملك المظفر الثاني في حماة ان استطاع رد هجوم الفرنج الذين خرجوا من حصن الأكراد وغيره من المواقع في رمضان من سنة سبع وعشرين وستمائة ١٢٢٩م وذلك في جمع غفير من مشاة وخيالة . فخرج اليهم الملك المظفر في عسكر من حماة وكان قد وصل الفرنج الى أفنون وهي مابين حماه وبعرين فقاتلهم هناك وحمل عليهم عدة حملات وهزمهم فولوا هاربين وقد قتل منهم عدداً كبيراً واسر جماعة منهم واسترد ما غنموه وعاد الى حماة منتصراً [1] .

ارسل الملك المظفر يستأذن الملك الكامل في انتزاع بارين من اخيه قليج ارسلان بحجة خوفه من ان يسلمها للفرنج لضعفه وضعف موقفه . فاذن الملك الكامل له في ذلك .

سار الملك المظفر من حماة متوجهاً الى بارين وحاصرها وانتزعها من اخيه الذي نزل اليه مستسلماً . فاحسن المظفر وفادته وسأله الاقامة عنده في حماة ولكنه فضل السفر الى مصر . وهناك اعطاه الملك الكامل اقطاعاً كبيراً واطلق له املاك جده التي بدمشق ، ثم بدا منه مالايليق من الكلام فاعتقله الملك الكامل الى ان مات قلج ارسلان في الحبس سنة خمس وثلاثين وستمائة ١٢٣٧م قبل موت الملك الكامل بأيام [2]

اثر تعرض ملك الروم كيقباذ بن كيخسرو لخلاط رحل الكامل في شهر رمضان ٦٣١هـ بعد ان اجتمعت الملوك بين يديه ومنهم الملك المظفر الثاني صاحب حماة .

سار الملك الكامل مع ملوكه وعساكره نحو السلمية حيث عسكر هناك وبعد استراحة قليلة جمع

---

(١) مفرج الكروب ج٤ : ٣٠٣ ، السلوك ج١ق١ : ٢٤٠ .

(٢) المختصر ج٣ : ١٥٢ - ١٥٣ ، زبدة الحلب ج٣ : ٩٦٠ - ٩٦١ ، السلوك ج١ق١ : ٢٤٤ ، التاريخ المنصوري : ٢٤٩ ، وقد وردت ترجمة الملك الناصر قليج ارسلان في شفاء القلوب ص : ٣٩١ - ٣٩٧ .

قواته وسار حتى نزل نهر الأزرق [1] في حدود بلاد الروم . وحاول الملك الكامل دخول بلاد الروم عن طريق الدربند الا ان الروم حالوا بينه وبين الدخول وبنوا سوراً على رأس الدربند يمنع العساكر من الطلوع فقلت الأقوات عند عسكر الكامل وزاد الموضوع سوءاً وجود نفور بين ملوك بني أيوب بسبب ما سمع منه من انه ينوي الاحتفاظ بالشام ومصر وتعويض ملوك الشام في الشرق [2] .

وارسل الملك الكامل بعضاً من عساكره الى حصن منصور وهدمه ثم جاءه صاحب خرت برت أو (خرتبرت) أو (خربوط) [3] وهو من بني أرتق وقال : ادخل الروم من جهتي فقطع السلطان الفرات وسار الى السويداء [4] . وارسل قسماً من جيشه بقيادة صاحب حماة تعدادهم الفان وخمسمائة فارس (وقيل بل خمسة آلاف) فاقبلت الروم في اثني عشر ألفاً فاقتتلوا الى آخر النهار فانهزم المظفر ودخل الى قلعة خرتبرت هو وصاحبها ودخل بقية العسكر الربض [5] . ففتحه الروم وأسروا من فيه . ووصل كيقباذ فنصب على القلعة تسعة عشر منجنيقاً . ودام الحصار اربعة وعشرين يوماً واشتد الأمر على من بالقلعة لكثرتهم اذ اجتمع فيها اكثر من اثني عشر ألفاً وعدم الماء والزاد فاخرج المظفر نصف من بها ثم ضاق به الأمر . فطلب الأمان له وللقلعة . ونزل اليه ثالث ذي القعدة فاكرمه وخلع عليه وتسلم خرتبرت وقلاعها وكانت سبعاً والتزم بالعوض ولم يف . واطلق المظفر بعد يومين ففرح به الكامل .

وأثناء وجود الملك المظفر الثاني في خرتبرت حصل عصيان عسكري على الملك الكامل بسبب تغير نوايا الملوك تجاه الكامل اثر تصريحه عن رغبته بضم مصر والشام وتعويض ملوك الشام بالجزيرة والشرق . فمنعت العساكر من القدوم لنجدة الملك المظفر الثاني المحاصر . وقد اصلح الملك الكامل الامور مع الملوك الأيوبيين ثم رجع بعدها كل منهم الى بلده ووصل صاحب حماة اليها لخمس بقين من ربيع الأول من سنة اثنتين وثلاثين وستمائة ١٢٣٤م وبعد عودة الملك المظفر لحماة تابع بناء قلعة المعرة التي اشار ببنائها سيف الدين علي بن ابي علي المذباني . وقد تم بناؤها وشحنها بالرجال والسلاح الا ان الحلبيين حاصروها فيما بعد وأخذوها وخربت المعرة بسبب قلعتها [6] التي كانت تشكل خطراً على الحلبيين .

اشتد الخلاف بين الملك الكامل والملك الأشرف بسبب الرقة وقصد الخروج عليه وكاتب ملوك

---

(١) النهر الازرق : نهر في طرف بلاد الروم من جهة حلب (معجم البلدان ج٥ : ٣١٧)
اما الدربند فقد قال عنه ياقوت الحموي انه «باب الابواب» وهو موقع ستراتيجي على البحر وحصن منصور يقع في ديار مضر غربي الفرات قرب سميساط (ياقوت)

(٢) شفاء القلوب : ٣١٤-٣١٥ زبدة الحلب ج٣ : ٩٦٢ - ٩٦٤ ، السلوك ج١ق١ : ٢٤٧ - ٢٤٩ ، المختصر ج٣ : ١٥٤ - ١٥٥ ، الكامل ٩ : ٣٨١ ، ابن خلدون ج٥ : ٣٥٨

(٣) خرتبرت أو خرت برت مدينة في اقصى ديار بكر من بلاد الروم (معجم البلدان ج٢ : ٣٥٥)

(٤) السويداء : بلدة مشهورة في ديار مضر قرب حران (معجم البلدان ج٣ : ٢٨٦)

(٥) الربض ماحول المدينة من خارجها .

(٦) المختصر ج٣ : ١٥٤ - ١٥٦ ، زبدة الحلب ج٣ : ٩٦٦ - ٩٦٧ ، شفاء القلوب : ٣٦٤ - ٣٦٥ ، السلوك ج١ق١ : ٢٤٨ - ٢٤٩

الشام ليقوموا معه فوافقوه باستثناء صاحب حماة الا ان الملك الأشرف تهدده بالهجوم على حماة وانتزاعها منه . فتدخل صاحب حمص وتوسط بينهما فقدم الملك المظفر الى دمشق بين يدي الملك الأشرف وحلف له . كذلك راسل الملك الأشرف ملك الروم كيخسرو واتفق معه على قتال الملك الكامل ان خرج من مصر . ثم ارسل الملك الأشرف للناصر داود صاحب الكرك يطلب منه الاشتراك وعرض عليه مصاهرته وان يجعل منه ولياً لعهده . فلم يوافقه بل رحل الى الديار المصرية ودخل في خدمة الملك الكامل الذي سُرّ به وجدد عقد زواجه من ابنته سوار التي اجبر على طلاقها اثر معركة خرتبرت ووعده بانتزاع دمشق من الملك الأشرف واعطائها له .

وقد كتب الملك المظفر الى الملك الكامل يعرفه بانتمائه اليه وانه وافق الملك الاشرف خوفاً منه فقبل الملك الكامل عذره ووعده بانتزاع سلمية من صاحب حمص وتسليمها اليه .

الا ان الملك الأشرف مرض بدمشق وضعف جسمه وعهد بالملك الى اخيه الملك الصالح اسماعيل بن الملك العادل صاحب بصرى لانه لم يكن له سوى ابنة واحدة زوجها للملك الجواد يونس بن مودود ابن الملك العادل .

وقد توفي الملك الأشرف بدمشق في المحرم من سنة خمس وثلاثين وستمائة ودفن في تربته بجانب الجامع . بعد ان حكم في دمشق مدة ثمان سنين وشهور وعمره ستون سنة .

وتملك دمشق اخوه الصالح اسماعيل بعهد من الملك الاشرف عهده قبل وفاته . الا ان الكامل وقد وصلت انباء ماجرى بدمشق توجه نحوها ومعه الناصر داود صاحب الكرك (1) .

استعد الملك الصالح اسماعيل للحصار ووصلت اليه نجدة الحلبيين وصاحب حمص ونازل الملك الكامل دمشق . وقام الملك الصالح اسماعيل بحرق العقيبة جميعها ومابها من خانات واسواق وفي مدة الحصار وصل من صاحب حمص رجّالة نجدة للصالح اسماعيل وظفر بهم الملك الكامل وشنقهم بين البساتين . ثم قطع عن دمشق الماء وضايقها حتى غلت الاسعار واحرق الطواحين.مما اضطر الصالح اسماعيل لتسليم دمشق الى اخيه الكامل الذي عوضه عنها بعلبك والبقاع وبصرى والسواد وذلك اثر مباحثات قام بها السفير بينهما رسول الخليفة الوارد ليوقع الصلح بين الملوك من بني ايوب وهو الصاحب محي الدين ابو المظفر يوسف بن الشيخ ابي الفرج بن الجوزي . وتسلم الكامل دمشق في عاشر جمادى الأولى ونزل بالقلعة بينما غادر دمشق الصالح اسماعيل الى بعلبك .

اما صاحب حماة الملك المظفر فقد رجع عن موافقة الجماعة من ملوك بني ايوب. وشرح للملك الكامل ما وصل من اجماع الملوك عليه.ثم طلب من صاحب حمص سلمية الا ان الأخير رفض ذلك ورغم ورود الوساطة بينهما بقي كل منهما على موقفه . لذلك ارسل الملك الكامل صاحب حماة للنزول لحمص

---

(1) المختصر ج٣: ١٥٩ ـ ١٦٠ ، زبدة الحلب ج٣: ٩٧١ ـ ٩٧٩ ، شفاء القلوب : ٣١٦ ـ ٣١٧ ، السلوك ج١ق١ : ٢٥٣ ـ ٢٥٦ ، تاريخ العصر الايوبي : ١٩٠ ـ ١٩٤ ، ابن خلدون ج٥: ٣٥٨ ـ ٣٦٤

فنزل على الرستن.واشتد خوف شيركوه صاحب حمص الذي ارسل نساءه للملك الكامل طلباً للصفح واسترضاءاً له الا ان الملك الكامل لم يلتفت الى ذلك . اما في حلب فقد اخذ الناس يستعدون للحصار ويجمعون الأقوات واحجار المناجيق والعساكر وارسلوا لملك الروم بطلب نجدة .

الا ان المفاجأة كانت ان الملك الكامل حينما دخل قلعة دمشق وكان الوقت شتاء اصابه زكام فدخل الحمام وسكب عليه ماء شديد الحرارة فاندفعت النزلة الى معدته وتورمت منها وحصل له حمى ثم مات وعمره نحو ستين سنة وكانت وفاته لتسع بقين من رجب سنة ٦٣٥هـ/ ١٢٣٧م [١] .

بعد وفاة الملك الكامل انسحبت عساكر الملك الكامل من حمص وعادت الى دمشق ورجع الملك المظفر الثاني صاحب حماة بعسكره عن الرستن وبقي في حماة للعزاء . وارسل الملك المجاهد صاحب حمص الى سلمية فاسترجعها وطرد نواب الملك المظفر الثاني منها،وقطع القناة الواصلة من السلمية الى حماة فجفت سواقيها ونشفت ارض بساتينها،ثم قطع مياه نهر العاصي عنها برفعه سداً فوق بحيرة قدس (قطينة) فسارت المياه في البساتين حول البحيرة وتجمعت ولما لم تجد سبيلاً هدمت السد المحدث وعادت مياه العاصي الى حماة .

وفي حلب خفت حدة الاستعداد للحصار وارسلت العساكر بقيادة الملك المعظم توران شاه لمحاربة الملك المظفر صاحب حماة في معرة النعمان وذلك انتقاماً من صاحب حماة لموافقته الملك الكامل ضدهم . فانتزع عسكر حلب معرة النعمان من يد الملك المظفر وحاصروا القلعة وهدموها ثم ساروا لمحاصرة حماة ونازلوها ونهب العسكر الحلبي قرى حماة وكان صاحبها قد احاط حاضرها بسور من لبن من جهة القبلة . وقد وصل رسول الملك الصالح بن الملك الكامل الذي استلم الحكم بعد ابيه يشفع في صاحب حماة ولكن لم يجب الى سؤاله . واثناء حصار حماة ولد لصاحبها ولده الأفضل نور الدين علي وهو والد ابي الفداء وذلك في اواخر سنة خمس وثلاثين وستمائة هـ/ ١٢٣٧م .

ولما طال الحصار على حماة وصاحبها صامد فيها رغم بذله الكثير من الاموال ارسلت الملكة ضيفة خاتون صاحبة حلب للعساكر ان تعود عن حماة . وقد ارادت بذلك ان تشعر الملك المظفر بحدوده ، وتحد من قوته ، ولم ترد نزع حماة منه ، وهو ابن اختها . وقد عاد العسكر الى حلب دون طائل وكانت النتيجة ان خسر الملك المظفر المعرة وبقي يحكم حماة وبارين فقط .

قام الملك المظفر بعد هذه المعركة بهدم اسوار بارين خوفاً من ان تكون مطمعاً لاحد ملوك بني ايوب او الفرنج ، بعد ان كانت اسوار قلعة المعرة هي سبب خرابها [٢] .

توفي الملك الكامل بدمشق وكان ولي عهده ابنه الملك العادل ابو بكر في مصر وقد حلف الأمراء له

---

(١) المختصر ج٣: ١٦٠ - ١٦٢ ، شفاء القلوب : ٣١٧ - ٣١٩ ، زبدة الحلب ج٣: ٩٨٢ - ٩٨٣ ، السلوك ج١ق١ : ٢٥٦ - ٢٥٧ ابن خلدون ج٥: ٣٥٨ - ٣٦٤

(٢) المختصر ج٣: ١٦٢ ، زبدة الحلب ج٣: ٩٨٢ - ٩٨٧ ، السلوك ج١ق١ : ٢٥٦ - ٢٦١ شفاء القلوب : ٣١٧ - ٣٢٠

وعين الملك الجواد يونس بن مودود ابن الملك العادل أبي بكر بن ايوب نائباً عنه الذي طمع بدمشق واستعصى بها.ونتيجة ضغط الملك العادل سلم الملك الجواد دمشق الى الملك الصالح ايوب واخذ بدلاً عنها البلاد الشرقية.وقد ايده في ذلك صاحب حماة الملك المظفر الذي طلب منه الاذن بمنازلة حمص واخذها من شيركوه الذي بذل مالاً كثيراً حتى عاد الملك المظفر عنه الى حماة .

ورغم الاضطرابات التي وقعت بين الأمراء الأيوبيين وتخلل وضع الملك الصالح ايوب واعتقاله ومن ثم عودته لحكم مصر فان الملك المظفر صاحب حماة بقي على ولائه للملك الصالح ايوب حتى النهاية [1] .

وفي عام ٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م اصيب الملك المظفر بالفالج وشارف على الموت وقد قام بتدبير الملك اثناءمرضه مملوكه واستاذ داره سيف الدين طغريل ورغم تحسن الملك المظفر الا انه توفي اثر اصابته بحمى حادة وذلك عام ٦٤٢هـ/ ١٢٤٤م بعد ان بلغ من العمر ثلاثة وسبعين عاماً حكم حماة منهم خمس عشرة سنة وسبع اشهر وعشرة أيام .

كان الملك المظفر يحب ويكرم اهل الفضل والعلم وقد بنى القلاع والابراج العالية واهتم بالعلوم والهندسة والفلك . وبنى طاحوناً على العاصي وبنى قلعة المعرة وسوراً لربض حماة .

تولى الحكم من بعد وفاته ابنه الملك المنصور الثاني محمد وكان له من العمر عشر سنين ونيف وقام بتدبير ملكه مملوك ابيه واستاذ داره سيف الدين طغريل الذي كان بالفعل منذ مرض ابيه يقوم بنفس المهام، وقد اشترك معه في هذه المهام الشيخ شرف الدين عبد العزيز الانصاري وعين لمساعدتهم الطواشي مرشد والوزير بهاء الدين بن التاج . وكان مرجعهم جميعاً والدة الملك المنصور غازية خاتون بنت الملك الكامل [2] .



(١) المختصر ج٣: ١٦٦ ، زبدة الحلب ج٣: ٢٩١ - ٢٩٣ شفاء القلوب ٣٢٤ - ٣٢٥ ، السلوك ج١ ق١، ٢٩٣ - ٢٩٩

(٢) المختصر ج٣: ١٧٣ - ١٧٤ ، شفاء القلوب : ٣٩٧ - ٤٠٦ وفيه ترجمة للملك المظفر ، السلوك ج١ ق١ : ٣١٨

# الملك المنصور الثاني محمد
## (٦٤٢ - ٦٨٣)هـ / (١٢٤٤ - ١٢٨٤)م

تابعت غازية خاتون والدة الملك المنصور الثاني محمد سياسة زوجها المتوفى بموالاة الملك الصالح ايوب الذي اعطاها سلمية بعد ان انتزعها من صاحب حمص وعادت لحماة .

وقد بدأ الملك المنصور الثاني محمد باستلام مهام منصبه عند بلوغه الحلم من عام ٦٤٥هـ/ ١٢٤٧ وتزوج عائشة خاتون بنت الملك العزيز محمد صاحب حلب[1] .

واثر وفاة الملك الصالح ايوب وتسلط شجرة الدر على الحكم . ومقتل تورانشاه واستيلاء عز الدين ايبك على السلطة الذي لقب الملك المعز والذي استطاع التخلص من الملوك الايوبيين[2] .

بقي الملك المنصور الثاني محمد على الحياد اثناء هذه الاضطرابات التي عمت مصر والشام واسقطت ملوك بني ايوب وادت بالنهاية لانتقال الحكم من البيت الايوبي الى المماليك البحرية في مصر .

وقد بدا في الأفق السياسي خطر جديد هو خطر المغول الذين استولوا على بغداد وقتلوا الخليفة العباسي وانهوا الخلافة العباسية ،[3] وأوقعوا الدمار ببغداد وقتلوا من أهلها الكثير ودام القتل والسبي نحو اربعين يوماً وذلك عام ٦٥٦هـ / ١٢٥٧م.ثم اخذ المغول بالتوسع نحو بلاد الشام ففي سنة ٦٥٧هـ / ١٢٥٨م بدأ هولاكو هجومه على مناطق شرقي الفرات فهاجم حران واستولى عليها ومن ثم احتل البلاد الجزرية بكاملها . ثم ارسل ولده «سموط بن هولاكو» الى الشام فوصل ظاهر حلب وزحف نحو اعزاز فاستولى عليها . ووصلت هذه الانباء إلى دمشق فقام صاحبها الملك الناصر يوسف بالتحرك نحو برزة في اواخر عام ٦٥٧هـ / ١٢٥٨م في عملية تجميع للقوات ، وانضم اليه في برزة صاحب حماة الملك المنصور . الا ان صاحب دمشق ترك معسكر برزة ملتجأ الى قلعة دمشق عندما سمع عن مؤامرة لاغتياله .

---

(١) المختصر ج٣ : ١٧٢ - ١٧٥ ، السلوك ج١ ق٢ : ٣٢٠ - ٣٢٣ ، شفاء القلوب : ٤١٤/ ابن خلدون ج٥ : ٣٦٤ - ٣٦٧ ، النجوم الزاهرة ج٦ : ٣٦٤ ، الحروب الصليبية للتميمي : ٢٢٧ - ٢٢٩

(٢) المختصر ج٣ : ١٧٦ - ١٨٥ ، شفاء القلوب : ٤١٢ - ٤١٤ ، السلوك ج١ ق٢ : ٣٢٧ - ٣٧٩ ابن خلدون ج٥ : ٣٦٣ ، الحروب الصليبية للتميمي : ٢٢٨ - ٢٣٦ ، تاريخ المماليك : ٣ - ٨

(٣) المختصر ج٣ : ١٩٢ - ١٩٩ ، ذيل مرآة الزمان ج١ : ٧٥ ، السلوك ج١ ق٢ : ٣٨٨ - ٤٢٠ ، شفاء القلوب : ٤١٦ - ٤١٩ ، تاريخ حماه : ٧٣ - ٧٩

بعد ان احتل هولاكو المناطق التي تحيط بحلب قام بالهجوم على المدينة فاستولى عليها وحاصر قلعتها
التي قاومت الحصار لمدة شهر ثم سلمت لهولاكو صلحاً .

كان سقوط حلب مؤشراً على تعاظم خطر المغول واخذت القوات الموجودة في الشام بالانسحاب
باتجاه مصر للاحتماء هناك ولتجميع القوات لصد هجوم المغول.وفي هذا السبيل سار الطواشي مرشد الموكل
بحماه الى دمشق للالتحاق بملك حماة الموجود فيها للاتجاه من ثم الى مصر ، بينما توجه كبراء حماة الى حلب
ومعهم مفاتيح حماة طالبين منه الامان لأهل حماة ، وشحنة يكون عندهم . فامنهم هولاكو وارسل الى
حماة شحنة رجلاً اعجمياً يدّعي انه من ذرية خالد بن الوليد يقال له «خسروشاه» الذي تقدم الى حماه
وتولاها وأمن الرعية . وكان بقلعتها مجاهد الدين قيماز «امير جندار» فسلم القلعة إليه ، ودخل بخدمة
المغول .

نزل الشحنة في دار المبارز ، واخذ في تهديم سور قلعة حماة تنفيذاً لسياسة هولاكو ، فخربت
اسوارها وأحرقت زروعها ، وبيعت الكتب التي كانت بدار السلطنة بقلعة حماه بابخس الاثمان ، وكان
هذا خسارة كبيرة لحماه لما كانت تضمه مكتبة القلعة من كنوز . كانت نية الشحنة تهديم اسوار مدينة
حماه ، الا ان رجلاً من حماه اسمه «ابراهيم بن الافرنجية» وهو ضامن الجهة المفردة بذل للشحنة المغولي
«خسروشاه» مالاً كثيراً لترك اسوار المدينة خوفاً من الفرنج القريبين اليها الموجودين في حصن الاكراد اذا ما
هدمت اسوار المدينة[1] .

بعد ان استولى المغول على معظم بلاد الشام عزم الملك المظفر قطز على الخروج الى الشام لقتال
المغول ، وسار من مصر بالعساكر الاسلامية وقد صحبه الملك المنصور صاحب حماه واخوه الملك الافضل
علي وذلك في اوائل رمضان من عام ٦٥٨هـ / ١٢٥٩م .

بلغت انباء تحرك قطز لنائب هولاكو في الشام «كتبغا» فجمع عساكر المغول الموجودين في الشام
وسار الى لقاء قطز وكان بصحبته صاحب حمص الملك الاشرف موسى الذين استطاع الهرب وانضم الى
قطز اما الملك الناصر صاحب دمشق الذي لم يستطع دخول مصر خوفاً من صاحبها فقد وقع اسيراً بيد
هولاكو الذي ضرب عنقه .

حدثت المعركة الفاصلة بين الطرفين في غور الأردن عند عين جالوت التي اعطت للمعركة
اسمها ، وكان النصر حليف المسلمين وهزم المغول هزيمة نكراء استاصلوا فيها عن آخرهم وتبعت
العساكر الاسلامية ملوكهم الى البلاد الشرقية وبذلك تحررت سائر مدن بلاد الشام منهم[2] .

بعد انتهاء معارك المغول دخل قطز دمشق واخذ في اعادة تنظيم بلاد الشام من ذلك اقر الملك

---

(1) المختصر ج٣ : ١٩٩ - ٢٠٣ ، شفاء القلوب : ٤١٦ - ٤١٩ ، السلوك ج١ ق٢ : ٤١٧ - ٤٢٠ البداية والنهاية ج١٣ : ٢٠٠ - ٢١٩ ، النجوم الزاهرة ج٧ : ١٠٦ - ١٠٧ ، تاريخ حماه : ٧٣ - ٧٩

(2) المختصر ج٣ : ٢٠٣ ، السلوك ج١ ق٢ : ٤٢٢ - ٤٣٣ ، البداية والنهاية ج١٣ : ٢٢٠ - ٢٢٢

المنصور على حماه وبارين واعاد اليه المعره واخذ سلمية منه واعطاها لامير العرب «عيسى بن مهنا» واعطى دمشق الى «علم الدين سنجر الحلبي» واعطى الملك السعيد حلب ، واعاد الملك الاشرف على حمص .

عاد الملك المنصور الى حماه فقبض على جماعة كانوا من المتعاونين مع المغول واعتقلهم وعاد الملك المظفر قطز الى مصر وفي طريقه اليها اغتاله «بيبرس البندقداري الصالحي» مع بعض المماليك في السابع عشر من ذي العقدة عام ٦٥٨ / ١٢٥٩ واستولى على السلطة باسم الملك الظاهر «بيبرس» ودخل القاهرة والقلعة[1] .

استغل علم الدين سنجر حادثة مقتل قطز فجمع امراء الشام بدمشق وحلفهم لنفسه بالسلطنة وقد خالفه بذلك صاحب حماه وبذلك انفصلت الشام عن حكم بيبرس ، وبنفس الوقت عاد المغول للهجوم على بلاد الشام فأرسل حاكم حلب الملك السعيد عسكراً لقتالهم ، الا ان الهزيمة احاطت بعسكر حلب للملك قام الامراء بخلع الملك السعيد وتنصيب امير اسمه «حسام الدين الجوكندار العزيزي» الذي اندفع نحو حماه جافلاً من المغول . فاستقبله صاحبها مكرماً واتجه الجميع نحو حمص حيث تم تجميع القوات الاسلامية لمواجهة المغول وحدثت المعركة قرب الرستن فكان النصر حليف المسلمين ، ونتيجة ضعف امراء الشام قام بيبرس باستردادها واعاد سلطة عليها . وقبض على سنجر الحلبي ، ثم عين ايدكين البندقداري على دمشق بدلاً من سنجر واعاد صاحب حماه وصاحب حمص الى املاكهما[2] .

ادى هجوم المغول على بلاد الشام وسقوط ممالك بلاد الشام واستلام المماليك مصر الى سقوط الحكم الايوبي في مصر وبلاد الشام وتحوله الى دولة المماليك الا ان سياسة الملك المنصور سواء تجاه مصر ومن فيها على سرير الحكم او تجاه الحاكم في دمشق او حلب وتجاه ممالك بلاد الشام الايوبية وانتهاجه سياسة بعيدة النظر ادت الى بقاء الحكم الايوبي في حماه ، وكانت آخر محاولات عودة الحكم الايوبي ما قام به شمس الدين اقوش البرلي من العزيزية[3] وبعض رجالات الناصرية[4] بعد التجائهم الى حماه إذ أرسل البرلي للملك المنصور يقول له «انه لم يبق من البيت الايوبي غيرك قم لنصير معك ونملك البلاد»[5] ولكن الملك المنصور وهو بسياسته الحكيمة يعرف حدوده وقدراته رده رداً قبيحاً قائلاً له «متى وفيتم لاحد من بيت

---

(١) المختصر ج٣ : ٢٠٦ - ٢٠٧ ، السلوك ج١ ق٢ : ٤٣٢ - ٤٣٧ ، النجوم الزاهرة ج٧ : ١١٣ - ١١٤ .

(٢) المختصر ج٣ : ٢٠٧ - ٢١٠ ، شفاء القلوب : ٤٤١ - ٤٤٢ ، السلوك ج١ ق٢ : ٤٣٦ - ٤٤٥ ، البداية والنهاية ج١٣ : ٢٢٢ ، ابن خلدون ج٥ : ٣٦٦ - ٣٦٧ ، تاريخ المماليك : ١٩ - ٢٠ ، الحروب الصليبية للتميمي : ٢٣٦ - ٢٤٦ .

(٣) العزيزية : هم قوات كانت مواليه للملك العزيز صاحب حلب وكانت هناك خلافات شديدة بينهم وبين الناصرية .

(٤) الناصرية : هم قوات كانت موالية للملك الناصر قبل هجوم المغول على الشام وغزوهم الى جهات مصر ثم تم القبض عليهم من قبل هولاكو .

(٥) المختصر ج٣ : ٢١١ .

استاذكم حتى تفوا لي وانا مالي حاجة بالملك وانا قانع بهذه البلدة واكون فيها صنيعاً لمن يكون مالكاً للديار المصرية»

اغتاظ منه البرلي ونزل على حماه واحرق زرع نيدر العشر وسار غربي حماه فاحدث غلاء فيها ثم سار الى شيزر ومنها الى حلب وبعد هزيمة المغول في معركة عين جالوت وهزيمتهم في الرستن احضر هولاكو الملك الناصر واخاه الملك الظاهر غازي وجميع الامراء والملوك من آل ايوب الذين بالاسر وقتلهم ولم يبق سوى اصغرهم سناً وهو الملك العزيز بن الملك الناصر الذي تشفعت فيه زوج هولاكو وممن قتل غير الاخوين الملك الصالح ابن صاحب حمص .

وفي يوم الاثنين سابع ذي القعدة سنة تسع وخمسين وستمائة . وعند انتهاء احداث البرلي وصل الظاهر بيبرس الى دمشق فقدم اليه الملك المنصور الثاني صاحب حماه فخلع عليه واعطاه ثمانين الف درهم وحملين وثياباً واعطاه توقيعاً ببلاده التي بيده[1] .

وفي عام احدى وستين وستمائة وبعد عودة الملك الاشرف صاحب حمص موسى ابن الملك المنصور ابن الملك المجاهد شيركوه بن ناصر الدين محمد بن شيركوه بن شاذي من خدمة الملك الظاهر بيبرس الى حمص مرض واشتد مرضه وتوفي الى رحمة الله فارسل الملك الظاهر وتسلم حمص في ذي القعدة وبذلك لم يبق من الممالك الايوبية سوى حماه[2] .

في عام اربع وستين وستمائة خرج الملك الظاهر بعساكره من الديار المصرية وسار الى الشام الى الساحل وجهز عسكراً الى طرابلس ففتحوا القليعات وحلبا وعرقا .

ونزل الملك الظاهر على صفد ثامن شعبان وحاصرها وقد وفد إليه وهو على حصارها الملك المنصور صاحب حماه في تاسع عشر شعبان ففتحها بالامان وقتل اهلها عن آخرهم ولم يبق منهم سوى رجلين احدهما كان رسولاً لفتح المدينة ولكنه اسلم وبقي في خدمة الظاهر بيبرس والثاني ارسله الى الفرنج في عكا ليروي لهم ما حصل بصفد بعد أن نقض الفرنج شروط التسليم .

وبعد سقوط صفد سار الملك الظاهر الى دمشق وبعد ان استقر فيها فترة جند العساكر وقدم عليهم الملك المنصور صاحب حماه وامرهم بالمسير الى بلاد الارمن ، فسار الملك المنصور بعساكره ووصلوا بلاد سيس في ذي القعدة من سنة اربع وستين وستمائة ١٢٦٥م وكان صاحبها هيثوم بن قسطنطين بن باسيل الذي تحصن وجعل عسكره مع ولديه لقتال المسلمين وعندما اشتبك الجيشان كان النصر حليف المسلمين وأفنوا عسكر الارمن قتلاً وأسراً وقتل ابن صاحب سيس الاول واسر الثاني وانتشرت العساكر الاسلامية في

---

(١) المختصر ج٣ : ٢١٠ ـ ٢١٤ ، السلوك ج١ ق٢ : ٤٦٨ ـ ٤٧١ ، الحروب الصليبية للتميمي ٢٤٣ ـ ٢٤٦ ، تاريخ الممالك ٢٥ ـ ٢٨

(٢) شفاء القلوب : ٤٤٢ ، المختصر ج٣ : ٢١٣ ـ ٢١٨ ، السلوك ج١ ق٢ : ٤٧٣ ـ ٥٠٥ ، الحروب الصليبية للتميمي ٢٤٦ ابن خلدون ج٥ : ٣٦٩ ـ ٣٧٩ .

بلاد سيس وفتحوا قلعة العامودين وقتلوا اهلها وعادت العساكر وقد امتلأت ايديهم من الغنائم .

وعندما وصل خبر هذا الفتح الى الملك الظاهر بيبرس رحل من دمشق ووصل حماه واستقبل العساكر المنصوره وامر بتسليم الاسرى وفيهم (ليفون) ابن صاحب سيس . ثم عاد الملك الظاهر بيبرس الى مصر ووقع عن فرسه قرب الكرك فانكسرت فخذه وحمل في محفة الى قلعة الجبل بالقاهرة[1] .

وفي سنة خمس وستين وستمائة وصل الملك المنصور محمد الى خدمة الملك الظاهر بيبرس بالديار المصرية وذلك ليهنئه بالعافية فاجيب الى ذلك ، وخرج الظاهر لاستقبالهم في العباسية . ثم طلب المنصور من الملك الظاهر دستوراً ليقوم بزيارة الاسكندرية ليراها فرسم له ذلك ، وامر اهل اسكندرية باكرامه واحترامه فزارها برفقة الامير سنقرجاه الظاهري وبعد انتهاء زيارته للاسكندرية عاد الى مصر (القاهرة) ثم خلع عليه السلطان الظاهر بيبرس على جاري عادته ورسم له بالدستور فعاد الى حماه[2] .

في مستهل محرم سنة ثمان وستين وستمائة وصل الملك الظاهر بيبرس الى دمشق بغتة وتابع سيره من يومه الى حماه فوصلها في الخامس من محرم ثم تابع سيره الى حلب دون توقف ثم عاد دمشق وتوجه الى القدس فالقاهرة ومنها عاد الى الشام واغار على عكا . ثم توجه الى دمشق ومنها الى حماه حيث جهز العساكر لمهاجمة الحشيشية في مصياف وذلك لتبدل الاحوال بينه وبينهم منها انه حينما اغار على حصن الاكراد (قلعة الحصن) واقام قرب حماه فقد حضر الى خدمته كثير من اصحاب البلاد المجاورة مثل صاحب حماه وصاحب صهيون ثم نجم الدين حسن بن الشعراني صاحب قلاع الاسماعيلية ، فانه لم يحضر بل بعث يطلب تنقيص القطيعة التي حملوها لبيت المال بدلاً مما كانوا يحملونه الى الفرنج.وكان صارم الدين مبارك بن الرضى صاحب حصن العليقة الاسماعيلي قد تغير السلطان عليه من مدة فدخل صاحب صهيون بينه وبين السلطان في الصلح فقلده السلطان بلاد الدعوة الاسماعيلية استقلالاً. ويقال ان الذي قام في الوساطة الملك المنصور صاحب حماه وانه هو الذي شفع فيه عند السلطان الذي كتب له منشوراً بالحصون كلها وهي : قلعة الكهف وقلعة الخوابي والمنيعة والعليقة والقدموس والرصافة ليكون نائباً عن السلطان وعلى ان تكون مصياف وبلادها خاصاً للسلطان وارسل نائباً عنه لمصياف الامير عز الدين العديمي .

وفي عام تسع وستين وستمائة في تاسع رجب نازل السلطان حصن الاكراد (قلعة الحصن) وقدم عليه صاحب حماه وصاحب صهيون وصاحب دعوة الاسماعيلية الصاحب نجم الدين وبعد قتال شديد طلب اهلها الامان فامنهم . ومن ثم استولى السلطان على حصن العليقة من حصون الاسماعيلية .

وبعد ان اتجه السلطان الى مصر نقض صارم الدين ما اتفق عليه مع الملك الظاهر واخرج نائب

---

(١) المختصر ج٤ : ٣ ، الحروب الصليبية للتميمي : ٢٤٦ ـ ٢٤٧ ، السلوك ج١ق٢ : ٥٤٦ ـ ٥٤٨ ، ابن خلدون ج٢ : ٣٨٦ ـ ٣٨٧

(٢) السلوك ج١ ق٢ : ٥٤٨ ـ ٥٥٦ ، المختصر ج٤ : ٢ ـ ٥ ، شفاء القلوب : ٤٤٢ ـ ٤٤٣

لطان عز الدين من (مصياف) ، فسير الملك الظاهر معالي بن قدوس على خيل البريد ومعه نجم الدين
كنجي الى حماه ومعه امر بالتوجه الى (مصياف) ، فخرج الملك المنصور الثاني ومعه عساكره والامير
ز الدين العديمي وتوجهوا الى مصياف ، فخرج منها صارم الدين الى العليقة - واستلم الملك المنصور
صياف حيث استلمها عز الدين ثانية . وارسل الملك الظاهر لصاحب حماه امراً باعتقال صارم الدين
اعتقله وارسله للقاهرة[1] .

في عام ٦٧٥هـ / ١٢٧٦م حضر الملك الظاهر من مصر الى الشام وقد جمع الكثير من العساكر
ووقعت معركتان صغيرتان احداهما مع عساكر مغولية[2] .

توفي الملك الظاهر بدمشق في محرم عام ٦٧٦هـ / ١٢٧٧م وقيل انه مات بسبب تجرعه كأس سم
كان قد دسه للملك القاهر ولكنه شربه خطأ وقد كتم مملوكه بدر الدين تتليك وفاته . ودفنه في قرب
جامع دمشق في تربته (المدرسة الظاهرية) وارتحل الى مصر بالعساكر ومعه محفة مظهراً ان الملك الظاهر
ما زال مريضاً وفي القاهرة اعلن وفاته واستلم الملك ولي عهده ابنه الملك السعيد[3]

قام الملك السعيد عام ٦٧٧هـ / ١٢٧٨م بهجوم على بلاد سيس وقد صحبه صاحب حماه والامير
سيف الدين قلاوون الصالحي وبعد انتهاء الغارة عادوا الى دمشق وفيها حصلت بعض الاضطرابات بين
الملك السعيد وامرائه نتيجة سوء تصرفه.

وفي القاهرة قام الامراء بحصار الملك السعيد وتم عزله واعطي الكرك ، وقد اتفق الامراء على
اقامة بدر الدين سلامش بن الملك الظاهر بيبرس ولقبوه الملك العادل وله من العمر سبع سنوات وصار
الامير سيف الدين قلاوون الصالحي أتابك العسكر وقام قلاوون بتعيين سنقر الاشقر بدمشق نائب
السلطنة بالشام . وبنفس العام قام قلاوون بخلع الصبي سلامش وتولى الملك هو وسُمّي بالملك المنصور
قلاوون[4] .

عندها اعلن سنقر الاشقر نفسه سلطاناً وحلفت العساكر له بدمشق مما اضطر قلاوون لارسال حملة
لاعادة سلطته وحدثت المعركة بين العسكرين بظاهر دمشق فانتصرت قوات قلاوون وهرب سنقر الأشقر
الى الرحبة وارسل يستنجد بابغابن هولاكو ويدعوه لدخول الشام وقد سانده في ذلك امير العرب عيسى

---

(١) السلوك ج١ ق٢ : ٥٤٨ - ٥٥٦ ، المختصر ج٤ : ٢ - ٥ ، شفاء القلوب : ٤٤٢ ٤٤٣ ، ابن خلدون ج٥ ٣٩٠ - ٣٩١ .

(٢) السلوك ج١ ق٢ : ٥٩٨ - ٦٠٠ ، المختصر ج٤ : ٧ .

(٣) السلوك ج١ ق٢ : ٦٢٠ - ٦٤٣ ، المختصر ج٤: ٩ - ١١ ، ذيل مرآة الزمان ج٣ : ١٧٥ - ١٨٥ - ٢٤٥ - ٢٥٠ ، البداية والنهاية ج ١٣ : ٢٧١ - ٢٧٤ النجوم الزاهرة ج٧ : ٢٥٩ - ٢٦٠ الحروب الصليبية للتميمي ٢٤٨ - ٢٤٩ ، تاريخ المماليك : ٢٧ - ٣٨ .

(٤) المختصر ج ٤ : ١١ - ١٣ ، السلوك ٦٤٩ - ٦٥٧ ، ذيل مرآة الزمان ج٤ : ١ - ١١ و ٣٥ - ٥٤ ، النجوم الزاهرة ج٧ : ٢٥٦ - ٢٧٥ تاريخ المماليك : ٣٨ - ٤٠

ابن مهنا» . ولكن تمت الوساطة والصلح بين السلطان وسنقر الاشقر الذي تسلم «الشغر وبكاس» .

إن الصلح الذي تم بين السلطان قلاوون وسنقر الاشقر لم يمنع ابغابن هولاكو من شن هجومه على بلادالشام فاتجه لاحتلال الرحبة وبعد احتلالها ارسل جيوشه بقيادةاخيه منكوتمر الذي توجه نحو حمص. فسار اليها قلاوون وانضم اليه صاحب حماه وسنقر الاشقر وباقي الامراء . وحدثت المعركة بظاهر حمص وكان النصر حليف المسلمين وانهزم المغول وانسحبوا من الشام مرة اخرى[1] .

وفي سنة ثلاث وثمانين وستمائة سار السلطان الملك المنصور قلاوون الى دمشق وحضر الملك المنصور صاحب حماه الى خدمته ثم عاد كل منهما الى مقر ملكه .

وبعد عودة الملك المنصور صاحب حماه من دمشق اصيب بالحمى الصفراوية في اوائل شعبان ثم تماثل للشفاء واشار عليه الاطباء بالدخول الى الحمام ، فعاوده المرض ثانية واحضر له الاطباء من دمشق مع من كان في خدمته منهم واشتد به ذات الجنب ورغم معالجتهم وعنايتهم الشديدة فانه لم يفلح معه .

وفي فترة مرضه عتق مماليكه وتاب توبة نصوحاً وكتب الى السلطان الملك المنصور قلاوون الى مصر يسأله إقرار ابنه الملك المظفر محمود في مملكته على قاعدته . واشتد مرضه حتى توفي بكرة حادي عشر شوال من سنة ثلاث وثمانين وستمائة ١٢٨٤م .

ورغم ان أكبر أمانيه اثناء مرضه كان ان يسمع جواب السلطان في مسألة اقرار حماه على ولده الملك المظفر محمود ، واتفق امر وفاته قبل وصول الجواب ، وكان قد ارسل في ذلك على البريد علم‌ه سنقر امير اخور فوصل الجواب بعد موت الملك المنصور بستة ايام ، وكانت اجابة السلطان بالموافقة على تعيين الملك الظفر محمود بن الملك المنصور محمد ، وقد قرأ الكتاب عند وصوله الى حماه بحضور الملك الافضل والملك المظفر وعلم الدين سنجر المعروف بابن خوص .

كان للملك المنصور محمد عند السلاطين مكانة رفيعة مما يذكر ان الملك الظاهر بيبرس قدم حماه مرة ونزل بالدار المعروفة بدار المبارز، فرفع اليه اهل حماه عدة شكاوي ضد الملك المنصور فامر الملك الظا هر د واداره سيف الدين بلبان ان يجمع الشكاوي والا يقرأها ويضعها بمنديل يحملها فيه الى الملك المنصور فحملها الدوادار واحضرها للملك المنصور ، وقال انه والله لم يطلع السلطان (الظاهر) عليها . فخلع الملك المنصور على الدوادار ، وتضاعف دعاؤه للسلطان الملك الظاهر ، واخذ القصص فقال بعض الحاضرين سوف نرى من تظلم بدون حق وتكلموا بمثل ذلك فامر الملك المنصور باحضار نار وحرق تلك الشكاوي ولم يقف على شيء منها[2] .

وىما يذكر ايضاً ان الملك المنصور قام عام ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م بزيارة للسلطان في مصر فانزله

---

(1) المختصر ج٤ : ١٣ - ١٦ ، البداية والنهاية ج١٣ : ٢٨٨ - ٢٨٩ ، النجوم الزاهرة ج٧ : ٢٩٢ وما بعدها تاريخ شيزر : ٢٠٥ ، تاريخ المماليك : ٤٠ - ٤٦ .

(2) المختصر ج٤ : ١٨ - ١٩ ، شفاء القلوب : ٤٤٣ - ٤٤٥ ، ذيل مرآة الزمان ج٤ : ٢٣٦

السلطان بالكبش واركبه السناجق السلطانية وسأله عن حوائجه ، فقال الملك المنصور حاجتي ان اعفى من هذا اللقب (الملك المنصور) فانه ما بقي يصلح لي ان القب بالملك المنصور وقد صار هذا لقب مولانا السلطان الاعظم ، فاجابه السلطان بأني ما تلقبت بهذا الاسم الا لمحبتي فيك ولو كان لقبك غير ذلك كنت تلقبت فيه ، فشيء فعلته محبة لاسمك كيف امكن من تغييره»[1] .

★

(1) المختصر ج٤ : ١٧ .

# الملك المظفر الثالث محمود(٦٨٣ ـ٦٩٨ هـ)
# ١٢٨٤ ـ ١٢٩٨ م

كان الملك المنصور صاحب حماه قد ارسل رسالة الى السلطان قلاوون يطلب فيها الموافقة على تسمية ابنه الملك المظفر محمود ملكاً على حماه من بعده ، وكانت الرسالة قد وصلت إلى السلطان فارسل رده بالموافقة . الا ان الملك المنصور توفي قبل وصول الرد إليه ، لذلك سارع المظفر لابلاغ السلطان بوفاة المنصور واجتمع رسوله مع رسول السلطان في الطريق وكان رد السلطان بعد تبلغه وفاةالمنصور بالموافقة على تعيين المظفر ، مع رسالة بأن السلطان سيصل إلى الشام وقال «ونحن واصلون إلى الشام ونفعل مع الملك المظفر فوق مافي نفسه»[1] وفي أواخر محرم من هذه السنة سار السلطان الملك المنصور قلاوون إلى دمشق وسار الملك المظفر صاحب حماه وعمه الملك الأفضل ووصلا إليه في دمشق فاكرمهما كثيراً ، وارسل إلى الملك المظفر في اليوم الثالث من وصوله التقليد بسلطنة حماه والمعرة وبارين وارسل التشريف وشعار السلطنة وكثيراً من الهدايا للمظفر في داره بدمشق وهي المعروفة بالحافظية داخل باب الفراديس . فلبس الملك المظفر ذلك وركب بشعار السلطنة وحضر امراء السلطان وتقدموا العسكر وساروا معه من بيته الى القلعة ومشت الأمراء في خدمته ودخل الملك المظفر على السلطان فاكرمه وأجلسه إلى جانبه ، وقال : «أنت ولدي وأعز من الملك الصالح عندي فتوجه إلى بلادك وتأهب لهذه الغزاة المباركة فأنتم من بيت مبارك ما حضرتم في مكان إلا وكان النصر معكم» .[2]

فعاد الملك المظفر وعمه وعساكره إلى حماه للتأهب لمعركة حصن المرقب[3] بعد أن انتهت مراسيم تنصيبه ملكاً على حماه .

وجد الملك المظفر حماه بعد أبيه قوية عزيزة ، وقد تابع عمه الملك الأفضل الذي كان الساعد الأيمن لأبيه الملك المنصور ، جهوده في خدمة الملك الجديد بنفس الروح والاخلاص الذين أبداهما لاخيه المتوفي .

وساد الهدوء حماه داخلياً وقد طغت أخبار الفتوحات العسكرية وتحرير بلاد الشام من آخر معاقل الصليبيين وخطر المغول في الأجواء السياسية العامة .

(١) المختصر ج ٤ : ١٩ (٢) المختصر ج٤ : ١٩
(٣) المختصر ج٤ : ١٩-٢١ ذيل مرآة الزمان ج٤ : ٢٣٩ ، شفاء القلوب : ٤٥٣/ ٤٥٦ تاريخ المماليك : ٤٦-٤٧ . ابن الوردي ج٢ : ٣٣٠-٣٣٢ البداية والنهاية ج ١٣ : ٣٠٥ ، النجوم الزاهرة ج ٧ : ٣٦٣

كذلك شاركت حماه وملكها في معركة تحرير طرابلس اذ تجمعت القوات المصرية والشامية وسارت إلى طرابلس الشام . والمدينة محاطة بالبحر من ثلاث جهات اما الجهة الرابعة فهي المتصلة مع البر . وفي هذه الجهة نصبت القوات الاسلامية المجانيق واطبقت الحصار على المدينة واشتد القتال حتى تم الفتح يوم الثلاثاء رابع ربيع الآخر من سنة ثمان وثمانين وستمائة ودخلتها القوات الاسلامية عنوة فهرب اهلها الى الميناء والتجأ بعضهم الى المراكب واتجهوا الى كنيسة تسمى كنيسة سنطماس (سانت توماس) الواقعة على جزيرة قريبة من طرابلس وبعد ان انتهت المقاومة في المدينة عبرت القوات الاسلامية بخيلها سباحة نحو الجزيرة وقتلوا جميع من فيها من الرجال والنساء والصغار . وبذلك تم تحرير طرابلس بعد مائة وخمس وثمانين سنة من الاحتلال .

عاد الملك المظفر الثالث محمود مع القوات الحموية الى حماه بعد انتهاء المعركة . وفي ٦ ذي القعدة من عام ٦٨٩ هـ/ ١٢٩٠م توفي السلطان الملك المنصور قلاوون واستلم الحكم من بعده ابنه الملك الأشرف [١]

وفي أوائل جمادى الاولى من سنة تسعين وستمائة ٦٩٠هـ بدأت القوات الاسلامية تتجمع حول عكا وكان السلطان الملك الأشرف خليل قد سار بالعساكر المصرية اليها وأرسل إلى العساكر الشامية وأمرها بالحضور وان يحضروا معهم المجانيق .فتوجه الملك المظفر صاحب حماه وعمه الملك الأفضل وسائر عسكر حماة إلى حصن الأكراد (قلعة الحصن) وتسلموا هناك منجنيقاً عظيماً يسمى المنصوري كان له مائة عجلة ففرقت في العسكر الحموي فكان كل امير عشرة مسؤول عن عجلة واحدة وكان المسير في اواخر فصل الشتاء اذ كانت فترة وقوع الامطار والثلوج وبمشقة كبيرة وصلت القوات الحموية الى عكا وقطعت المسافة بشهر كامل بدلاً من ثمانية ايام مسير الخيل بالعادة وذلك بسبب البرد وموت البقر الذي كان يشد المنجنيق .

واجتمع في عكا المجانيق الكبار والصغار . واشتد عليها القتال ولم يغلق الفرنج غالب ابوابها بل كانت مفتوحة وهم يقاتلون فيها وكان موقع الحمويين على عادتهم براس الميمنة فكان موضعهم جانب البحر والبر عن يمينهم في مواجهة عكا . فكانوا بين نارين نار المهاجمين من البحر اذ كانوا عرضة لهجوم المراكب المقبية بالخشب الملبس بجلود الجواميس وكانوا يرمون المسلحين بالنشاب . وكان هناك (بطسة) تهاجمهم تحمل منجنيقاً عظيماً اصابتهم منه شدة عظيمة حتى هبت الرياح القوية في ليلة وارتفع المركب وانحط فانكسر المنجنيق بسبب الموج وتحطم .

اما جهة البر فكان القتال فيها شديداً . وفي اثناء فترة الحصار خرج الفرنج ليلاً مفاجئين العسكر اليزكيه (الاستطلاع) ووقع قتال شديد فانجدتهم القوات الحموية وقتلت الكثير منهم ففروا منهزمين وعند الصباح علق الملك المظفر صاحب حماه عدة رؤوس من الفرنج في رقاب خيلهم التي كسبها العسكر واحضرها الى السلطان الملك الأشرف .

واشتدت مضايقة العسكر لعكا ففتحت يوم الجمعة السابع عشر من جمادى الاخر بالسيف ولما

---

(١) المختصر ج٤ : ٢٣، شفاء القلوب: ٤٥٦، تاريخ المماليك : ٤٧/ ابن الوردي ج٢ : ٣٣٢-٣٣٥ البداية والنهاية ج ١٣ : ٣٠٥ - ٣١٧ ، النجوم الزاهرة ج ٨ : ٣ - ٥ و ٤١

هاجمها المسلمون هرب جماعة من اهلها في المراكب وكان داخل البلد عدة ابراج مستعصية على الفتح وهي بمثابة قلاع يدخلها الفرنج وتحصنوا فيها فأخرجهم السلطان جميعاً وأمر بهم فضربت اعناقهم عن اخرهم حول عكا وذلك انتقاماً من الفرنج الذين قتلوا المسلمين الموجودين في عكا في زمن السلطان صلاح الدين وكان ذلك كما سلفت الاشارة يوم الجمعة أيضاً سابع عشر جمادى الآخرة سنة سبع وثمانين وخمسمائة/ ١١٩١م [١]

أمر السلطان الملك الأشرف صلاح الدين بأسوار عكا فهدمت حتى الأرض ودكت دكاً وقد غنم المسلمون شيئاً يفوت الحصر من كثرته .

دب الرعب في الفرنج فأخذوا في الهرب من ساحل الشام فتسلم الملك الأشرف دون قتال صيدا وبيروت وتسلمها علم الدين سنجر الشجاعي . وتسلم مدينة صور وعثليت وانطرطوس وتطهر بذلك الشام وسواحله من الفرنج.وبعد ذلك عاد السلطان الملك الأشرف إلى دمشق وغادر الملك المظفر محمود الى حماه [٢] . بعد أن تم تحرير بلاد الشام كلها من الصليبيين وقد انتهت بذلك الهجمة الصليبية .

فتوح قلعة الروم : بعد انتهاء الحروب الصليبية وتحرير بلاد الشام منهم اصبحت حدود بلاد الشام مع الأرمن ضمن اطار صراع جديد.ففي سنة احدى وتسعين وستمائة سار السلطان الملك الأشرف من مصر الى الشام وجمع عساكره المصرية والشامية.فسار الملك المظفر محمود وعمه الملك الافضل الى دمشق وسارا في خدمته . وسبقاه الى حماه بعد أن عرفا قصد الملك الأشرف زيارة حماه واهتم الملك المظفر بأمر الضيافة والاقامة والتقدمة .

ثم توجه الجميع الى حلب ومنها الى قلعة الروم التي قامت في غربي الفرات مقابل البيرة بينها وبين سميساط ، وكانت مقر بطرك طائفة الأرمن ، ونازل السلطان القلعة في العشر الاول من جمادى الأخرة من عام احدى وتسعين وستمائة وقلعة الروم حصن حصين . فنصب السلطان عليه المجانيق ونزلت القوات الحموية على رأس الجبل المطل على القلعة من شرقها فكان القتال يجري تحت سمع القوات الحموية ونظرها وكانوا يرصدون تحركات الأرمن وبعد مضايقتهم فتحت بالسيف في يوم السبت حادي عشر رجب وقتل الرجال من اهلها واسرت النساء والأولاد.وقد اعتصم بعض من هرب من القلعة ومعهم قائد الأرمن كيتاغيلوس في القلعة في القلة . وكان منجنيق الحمويين مسلطاً على القلة.فأمر السلطان صاحب حماه بأن يرمي عليهم بالمنجنيق . وحين وترت القوات الحموية المنجنيق ليبدأوا في الضرب طلب الأرمن الامان فلم يؤمنهم السلطان إلا على أرواحهم على أن يكونوا اسرى فوافقوا على ذلك فأخذهم السلطان بكاملهم بما فيهم كيتاغيلوس . ثم رتب السلطان علم الدين سنجر الشجاعي على القلعة وأمره بتحصينها واصلاحها وجرد معه جماعة من العسكر ورجع السلطان الى حلب ومنها الى حماه ومعه الملك المظفر الذي

---

(١) ابن شداد: ١٠٣-١٧٢، الفتح القسي: ٩٦-٥١٣ الروضتين ج٢: ١٤٢-١٩٠ حطين : ١٧٩، ابن الوردي ج٢: ٣٣٦-٣٣٧

(٢) المختصر ج٤: ٢٤-٢٦، شفاء القلوب : ٤٥٦-٤٥٧ تاريخ حماه : ٧٣-٧٩ الحروب الصليبية للتميمي : ٢٥٠ تاريخ شيزر : ٢٠٦ ، السلوك ج ١ ق ٣ : ٧٦٣-٧٦٧ تاريخ المماليك : ٤٧-٨ قلعة الروم وتقع على الفرات (ياقوت) النجوم الزاهرة ج ٨ : ٥ - ٨ البداية والنهاية ج ١٣ : ٣٢٠ - ٣٢١

قام بالخدمة أيضاً ثم توجه السلطان الى دمشق واعطى الملك المظفر الدستور بأن يبقى في حماه فأقام فيها [1]

## الحملة على بلادسيس الأرمنية

في سنة سبع وتسعين وستمائة جرد حسام الدين لاجين الملك المنصور جيشاً كثيفاً من الديار المصرية وأرسل بعض الأمراء لقيادته ، وكان على رأسهم بدر الدين بكتاش الفخري المعروف بأمير سلاح . وأمر لاجين الملك المنصور بمسيره بعساكر الشام فسارت عساكر صفد ودمشق وحمص وسار الملك المظفر محمود صاحب حماه بعسكره أيضاً ووصلت العساكر الى حلب .

ثم ساروا الى بلاد سيس ولما بلغ مسيرهم متملك بلاد سيس سنباط بن ليفون بعث الى السلطان يسأله العفو فلم يجبه . وكان عدد عساكر المسلمين عشرة آلاف فارس . ولما وصولوا العمق سار الأمير بدر الدين بكتاش في طائفة من عقبة بغراس الى الاسكندرونه ونازلوا تل حمدون وتوجه الملك المظفر صاحب حماه والأمير علم الدين سنجر الدواداري والأمير شمس الدين اقسنقر كرتاي في بقية الجيش الى نهر جهان ودخلوا جميعاً بلاد سيس في يوم الخميس رابع رجب.وبعد أن اختلف الأمراء حول قيادة الجيش والحصار استقر رأيهم اخيرا على الاغارة.فقطعوا جهان للغارة ونزل صاحب حماه في عسكره على مدينة سيس فقتلوا من واجههم من الأرمن وساقوا الابقار والجواميس.وعادوا الى المصيصة بعد الغارة ثم توجهوا الى بغراس.ونزلوا بمرج انطاكية ثم رحلوا الى جسر الحديد يريدون العودة الى مصر وسار صاحب حماه نحوها حتى وصل قصطون ، ولما بلغ ذلك للسلطان امرهم بالعودة بعساكرهم لحصار سيس وان القيادة تكون للأمير بكتاش وان العساكر لا ترجع الا بعد فتح تل حمدون فعادت العساكر من الروج الى حلب واقاموا فيها ثمانية ايام ، ثم توجهوا الى سيس.وقد حضر هذه الحملة ابو الفداء ووصفها في مختصره . احتلت العساكر قلعة مرعش بعد ان تسلم الأمير بكتاش تل حمدون . وتجمعت الارمن بقلعة نجم وبقي الأمير بكتاش والملك المظفر بمقابلة القلعة واتجهت باقي العساكر نحو الوطاة ولكن جاء مرسوم من السلطان بمنازلة القلعة فارتدت العساكر نحوها وحصرتها واتخذت القوات الاسلامية بالهجوم عليها بدفعات كل دفعة بقيادة أمير ، وكان هجوم الأمير بكتاش وصاحب حماه ببقية الجيش طائفة بعد طائفة وكل منهم يردف الآخر فأخذوا في النقب ، واستمر الحصار واحداً وأربعين يوماً . وكان قد اجتمع فيها خلق كثير من فلاحين ونساء القرى وأولادهم وقل الماء في القلعة.فكان في كل يوم يخرج عساكرها بعض الناس منها «وكان المسلمون يقتلون الرجال ويقتسمون النساء والصبيان» وكانت حصة أبي الفداء جاريتين ومملوكاً ، وأثناء الحصار صادف المسلمون ضباباً قوياً ومطراً ومرض الملك المظفر ولم يكن

(١) المختصر ج٤ : ٢٦-٢٧ ، شفاء القلوب : ٤٥٧ تاريخ حماه : ٧٣-٧٩ ابن الوردي ج٢ : ٣٣٨-٣٣٩

طبيبه معه ، فقام ابو الفداء بمداواته حتى شفي وكان صاحب حماه قد نصب خيمة عند حموص كانت مجمعاً للأمراء وكانوا إذا حصل خلاف بينهم التجأوا إلى صاحب حماه في خيمته لحل الخلافات .

ولما طال الحصار على من في القلعة إذ لـم يبـق فيهـا سوى المقاتلة ،فاقتتلوا بالسيوف على الماء ، فسألوا الأمان فأمنوا واخذت القلعة في ذي القعدة وسار من فيها الى حيث شاء ، واخذ ايضاً احد عشر حصناً من الأرمن تسلمها الأمير سيف الدين اسندمر كرجي من أمراء دمشق ، ولما تمت الفتوحات عادت العساكر الى حلب [1]

## الملك المظفر محمود والمغول

لم يشترك الملك المظفر محمود بأي معركة مع المغول إلا أنه في شهر رمضان من سنة ثمان وتسعين وستمائة ٦٩٨هـ/ ١٢٩٨م جهز الملك المظفر عسكر حماه للتوجه الى حلب بسبب حركة المغول واتجاههم نحو بلاد الشام فسارت العساكر وكان فيهم ابو الفداء الى المعرة ، وهناك ورد كتاب سيف الدين بلبان الطباخي بتراخي الأخبار ورجوع قوات المغول ، فعادت قوات حماه من المعرة.ويوم وصولها الى حماه ورد ثانية كتاب بلبان يطلب العسكر الحموي الى حلب.فتوجهوا من يومهم اليها.الا انه لم تحدث معركة قط [2] .

وقد اتخذ الملك المظفر صاحب حماه سياسة عدم التدخل في شؤ ون الحكم في مصر والالتزام بخط واضح وصريح هو الانصياع للحاكم بمصر أياً كان .

للملك كانت علاقة الملك المظفر بالسلطان قلاوون جيدة وقد شاركه في العديد من المعارك واستمرت الحال على ذلك في عهد الملك الأشرف الذي حدثت في أيامه عدة معارك وغزوات وتم في عهده سقوط آخر مواقع الصليبيين اثر معركة عكا بمشاركة الملك المظفر وعسكر حماه . ثم انتقلت حلبة الصراع نحو بلاد الأرمن .

وقد حفظ السلطان الملك الأشرف الود للملك المظفر ولعمه الملك الأفضل علي .

لذلك قام الملك الأشرف في شهر جمادى الأولى من سنة اثنتين وتسعين وستمائة باستدعاء الملك المظفر محمود وعمه الملك الأفضل علي ليحضرا على البريد الى الديار المصرية . وقد ارتاب الملك المظفر والملك الأفضل من هذا الاستدعاء وخصوصاً انه طلب حضورها على البريد . فتوجها نحو الديار المصرية ووصلا الى قلعة الجبل في اليوم الثامن من خروجهما من حماه . وما ان وصلا حتى استقبلهما السلطان بالترحاب وأمر بهما فادخلا الحمام بقلعة الجبل وانعم عليهما بملبوس يليق بهما واقاما في الخدمة اياماً ثم

---

(1) المختصر ج٤ : ٣٥-٣٧، السلوك ج١ ق٣ : ٨٣٨-٨٤١

(2) المختصر ج٤ : ٣٨-٤١ السلوك ج١ ق٣ ، ٨٦٧-٨٧٨

خرج السلطان الى جهة الكرك وسارت العساكر على الطريق الى دمشق ورافقه صاحب حماه وعمه . وقد منحهما السلطان الاعطيات وما يحتاجان اليه في الطريق وسارا في صحبة السلطان حتى الكرك ثم بركة زيزا ووصلا دمشق . ثم سار السلطان متصيداً حتى وصل الفرقلس شرق حمص حيث اقام هناك وحضر اليه مهنا بن عيسى امير العرب واخواه محمود وفضل وولده موسى بن مهنا فقبض السلطان على الجميع وارسلهم الى مصر فحبسوا في قلعة الجبل . ووصل السلطان الى القصب واعطى صاحب حماه الدستور فعاد الى بلده . وكان الملك الافضل علي اصيب بمرض اثناء الطريق في حنينجل فأعطاه السلطان الاذن بالسفر الى حماه [1] .

امر الأشرف صاحب حماه وعمه أن يتوجها الى حلب ويقيما بها لأجل العدو فخرجا من حماه ودخلا حلب .

ارسل السلطان الى الملك الأفضل الى حلب للحضور اليه لمشاركته بالصيد بعد ان أعجب به اثناء رحلته الأخيرة من مصر إلى الشام لما يتمتع به من خبرة ودراية . الا ان الملك الافضل مرض اثناء الطريق ووصل دمشق وقد اشتد به المرض وفصد فضعفت قوته واشتد به المرض حتى توفي في أوائل ذي الحجة من سنة اثنتين وتسعين وستمائة . ونقل الى حماه وصلي عليه بجامعها ودفن بها .

وصل الخبر الى صاحب حماه وأولاد الملك الأفضل وهم جميعاً في حلب فكان العزاء هناك.وقد احسن الملك المظفر محمود إلى أولاد الملك الأفضل واعطى بعد ذلك الدستور للعودة مع عساكره إلى حماه .

كان الملك الأفضل علي الساعد الايمن للملك المظفر محمود وكذلك كان بالنسبة لابيه الملك المنصور الثاني محمد وكان له دور بارز في الحياة السياسية والعسكرية لمملكة حماه الأيوبية وقد خلف من الاولاد الذكور ثلاثة وهم الأمير أسد الدين عمر والأمير بدر الدين حسن والملك المؤيد عماد الدين اسماعيل وهو الذي سيعرف فيما بعد باسم أبي الفداء صاحب حماه[2] .

وفي سنة ٦٩٢هـ/ ١٢٩٢ م حدثت عدة تغييرات في الحكام في مصر اثر صراع المماليك فيما بينهم كان ملك حماه في حياد من تلك الاحداث من ذلك ففي أوائل محرم اغتيل السلطان الملك الاشرف صلاح الدين قرب تروجه وذلك من قبل بعض امراءه الذين كان قد عزلهم/وحمل الى القاهرة ودفن بها.وفي القاهرة في قلعة الجبل تم اتفاق الأمراء على سلطنة الملك الناصر بن السلطان الملك المنصور وجلس على سرير السلطنة في باقي العشر الأوسط من محرم وجرى تتبع قتلة الملك الاشرف وقطعت رقابهم[3]

وفي يوم الأربعاء تاسع المحرم جلس الأمير زين الدين كتبغا المنصوري على سرير المملكة ولقب

---

(١) المختصر ج٤ : ٢٨-٢٩ شفاء القلوب : ٤٥٧ - ٤٥٨ ، السلوك ج١ ق٣ : ٧٨٧ .

(٢) شفاء القلوب : ٤٤٥ - ٤٤٦ المختصر ج٤ : ٢٨ - ٢٩ ، ترويح القلوب : ٥٤ : البداية ج١٣ : ٣٣٤ .

النجوم الزاهرة ج ٨ : ٤١ .

(٣) المختصر ج٤ : ٢٩-٣٠ ، السلوك ج١ ق٣ : ٧٨٩-٧٩١ .

نفسه الملك العادل زين الدين كتبغا واستحلف الناس على ذلك وجعل السلطان الملك الناصر في قاعة بقلعة الجبل وحجب الناس عنه وجعل نائبه حسام الدين لاجين .

وفي شوال من سنة خمس وتسعين وستمائة خرج الملك العادل كتبغا من الديار المصرية وسار إلى الشام ووصل الى دمشق وحضر إليه بدمشق الملك المظفر محمود صاحب حماه.ثم سار الملك العادل من دمشق الى جهة حمص متصيداً ثم عاد إلى دمشق.وفي سنة ست وتسعين وستمائة في اوائل محرم غادر السلطان دمشق متوجهاً الى مصر فلما وصل الى نهر العوجا (الأعوج) هاجمه حسام الدين لاجين المنصوري ففر وعاد لدمشق.ودخل قلعتها وحاول تشكيل فرقة لصد الهجوم ولكن عسكر دمشق لم توافقه مما اضطر لعزل نفسه.وقد اعطي صرخد.واتفق حسام الدين لاجين مع الأمراء على أن يتولى السلطنة ولقب بالملك المنصور حسام الدين لاجين المنصوري وذلك في شهر محرم من سنة ست وتسعين وستمائة [1] .

وفي عام ثمان وتسعين وستمائة ليلة الجمعة حادي عشر ربيع الآخر هجم المماليك الصبيان الذين اصطفاهم لاجين لنفسه وقتلوه.وقعد مقدمهم وهو سيف الدين طغجي الاشرفي في موضع النيابة . الا ان الأمراء انكرت ذلك وقتلوه واعادوا السلطان الملك الناصر محمد بن السلطان الملك المنصور قلاوون [2] .

## وفاة الملك المظفر محمود :

وفي يوم الخميس الثاني والعشرين من ذي القعدة توفي صاحب حماه السلطان الملك المظفر الثالث تقي الدين محمود عن عمر بلغ احدى واربعين سنة وعشرة أشهر وسبعة ايام.حكم حماه منها مدة خمس عشرة سنة وشهراً ويوماً واحداً . وكان سبب وفاته انه كان غاوياً برمي البندق واراد أن يرمي النسر فتوجه الى جبل علاروز وهو جبل مطل على قسطون.وكان ذلك في شدة الحر.وقتل حماراً وتركه على الجبل وعمل من أغصان الشجر كوخاً وجلس فيه.وكان معه مملوك له وابن عمه ابو الفداء.وكان يدخل الكوخ في السحر ويظل فيه الى الظهر ولا يتكلم انتظاراً لنزول النسر على جيفة الحمار الذي نتن وكانت رائحته تصل إليهم.ولما نزل النسر على جيفة الحمار لم يقدر الملك المظفر على رميه . ثم عاد إلى حماه حيث مرض أبو الفداء حتى شارف على الموت.وقد عاده الملك المظفر الذي ابتدأ المرض به ايضاً.وبعد بضع عشرة يوماً توفي . وقد اجتمع بعد وفاته أبو الفداء ابن عمه والأمير صارم الدين ازبك المنصوري وأخوة أبي الفداء أسد الدين عمر وبدر الدين حسن لبحث من يخلف الملك المظفر.الا انهم اختلفوا في ذلك ولم يستطيعوا التوصل الى قرار . وصادف أن قراسنقر قد اخرج من السجن وارسل الى الصبيبة (قلعة بانياس الجولان)

---

(١) المختصر ج٤ : ٣٣-٣٤، السلوك ج١ ق٣ : ٧٩٣-٨٠٣ و ٨٢٣-٨٢٦، النجوم الزاهرة ج ٨ : ٨٥ - ٨٨

(٢) المختصر ج٤ : ٣٥-٣٧، السلوك ج١ق٣ : ٨٣٨- ٨٤١ البداية والنهاية ج ١٤ : ٥ النجوم الزاهرة ج ٨ : ١١٥ - ١١٦

نائباً . وكان مكاناً قاسياً للمعيشة ، فأرسل قراسنقر الى السلطان بمصر يشتكي من مقامه هناك واتفق وصول خبر وفاة الملك المظفر فأعطى السلطان قراسنقر نيابة السلطنة بحماه .

وبذلك خرجت مملكة حماه من يد البيت التقوي الأيوبي لأول مرة منذ تأسيسها .



(١) المختصر ج٤ : ٤١-٤٢، السلوك ج١ق٣ : ٨٨١، شفاء القلوب : ٤٥٨ ، مجلة المعرفة مقال احسان العسلي ك١/ ١٩٥٤ ص١٧٢ - ١٧٧ البداية والنهاية ج١٣ : ٣٠٥، النجوم ج٨ : ١٨٩ ، ترويح القلوب : ٥٥

# الفصل الرابع

## فترة الانقطاع

## (٦٩٨ - ٧١٠هـ)
## (١٢٩٨ - ١٣١٠م)

### أسباب هذا الانقطاع :

بقيت حماه محافظة على مركز خاص لدى السلطة المملوكية على اختلاف رجالها وامرائها وحكامها وذلك بسبب اتخاذ البيت التقوي في حماه سياسة مناصرة للسلطة في مصر بعد ان تبين له نفوذ حكام مصر على بلاد الشام وعلى المنطقة ، خصوصاً بعد سقوط الخلافة العباسية في بغداد . وقد وجد البيت التقوي ان مناصرة الحاكم في مصر (أي حاكم فيها) هي السياسة المثلى لتفادي الصراعات المحلية في بلاد الشام .

إلا أنه حدث انقطاع في البيت التقوي الأيوبي عن حكم حماه وجاء ذلك الانقطاع مفاجأة بعد وفاة الملك المظفر محمود وهو في ريعان شبابه ، فما هي الأسباب التي ادت الى انقطاع الحكم التقوي . وفي محاولة تحري هذه الأسباب نرى أن :

١ - وفاة الملك المظفر محمود المفاجئة حيث وافته المنية وهو شاب لم يوص بالحكم لاحد من بعده كما انه لم يخلف وريثاً على عرشه . مما جعل سرير مملكة حماه شاغراً فجأة .

اما أولاد عمه الثلاثة فقد كان بينهم ابو الفداء مريضاً وهو بعد شاباً صغيراً ، اما أخويه أسد الدين عمر وبدر الدين حسن فقد كانا مع قوات حماه في حلب استعداداً لصد هجوم المغول المتوقع .

ولما اجتمع الشمل في حماه بعد وفاة الملك المظفر وعودة الأخوين من حلب اختلف الاخوة الثلاثة واختلف الأمراء ولم يكن بيد احدهم سلطة أو قوة عسكرية ليفرض واقعاً معيناً لذلك اخفقت مساعيهم في اختيار خلف لعمهم .

٢ ـ كان الوضع في مصر بين الأمراء المماليك والسلطان يمر بأزمة شديدة وكانت فترة بقاء السلطان الحكم قصيرة . وكان انتهاء السلطان مقتولاً قد تحول إلى أمر طبيعي . لذلك فقد الاستقرار وفقدت ية اتخاذ القرار . كما فقدت القدرة على التروي والتشاور قبل اتخاذالقرار. وكان هذامن أهم الاسباب رص التي اتيحت لحماه للحفاظ على استقلالها وبقاءها

ـ وكانت وفاةالملك المظفر في زمن السلطان الملك الناصر محمدبن قلاوون وفي أوائل فترة عودته الحكم ولم يمض على عودته سوى بضعة اشهر فهو غير قادر على السيطرة واتخاذ القرار الذي يراه اسباً .

٤ ـ وكانت وفاة الملك المظفر في فترة اراد فيها السلطان الملك الناصر التخلص من الأمراء والمماليك تحكمين حوله بابعادهم عن مصر وتحويلهم عنه بتعيينهم في مراكز بعيدة عن القاهرة ومصر لذلك عندما غر منصب حماه استغله في ارسال احد هؤلاء الأمراء إليه .

٥ ـ كذلك جاءت وفاة الملك المظفر في نفس الفترة التي اطلق فيها سراح قراسنقر وعهد اليه بالصبيبة (قلعة بانياس الداخل) وبعد وصوله إليها وعدم تلاؤمه بالعيش فيها اشتكى للسلطان طالباً تبديلها فكان وصول رسالته مع وصول نبأ وفاة الملك المظفر ذاك النبأ الذى لم يرفق فيه اسم مرشح بديل ليتسلم عرش حماه مما حمل السلطان على تسليم حكم حماه الى قراسنقر على الفور .

★

# ولاية الأمير قراسنقر الجوكندار

(٦٩٨ - ٦٩٩هـ)

(١٢٩٨ - ١٢٩٩م)

اعطى السلطان نيابة السلطنة بحماه الى قراسنقر فسار من الصبيبة الى حماه ووصلها في أوائل ذي الحجة من سنة ثمان وتسعين وستمائة ونزل بدار الملك المظفر صاحب حماه . حيث استقبله ابو الفداء واخوته وباقي الأمراء والعسكر فكانت اولى اعماله ان وضع يده على تركة الملك المظفر المتوفى فأخذ منها اشياء كثيرة ، ثم اخذ من الأمراء اصحاب الدواوين أيضاً اشياء كثيرة مما أغضبهم وقد وصلت هذه الأنباء الى السلطان في مصر ، فارسل مناشير الى أمراء حماه وجندها باستقرارهم على ما بأيديهم من الاقطاعات وهكذا عادت الأمور إلى نصابها .

وقد اتفق نائب حماه قراسنقر مع أبي الفداء وأخويه أسد الدين عمر وبدر الدين حسن أولاد الملك الأفضل على ارسال هدية الى السلطان الملك الناصر اثناء وجوده في غزة . فارسلوا ابا الفداء ومعه قماشاً وخيلاً من خيل الملك المظفر صاحب حماه المتوفى وقماشه ، فسار أبو الفداء وصارم الدين ازبك المنصوري الحموي الى جهة الساحل الفلسطيني حيث اجتمعا بالسلطان قرب عسقلان فقبل الهدية وخلع على أبي الفداء وقام بزيادة اقطاعه واقطاع اخيه بدر الدين حسن . وعند عودة الوفد الى حماه قام قراسنقر بزيادة اقطاع ابي الفداء وأخيه نقداً من ديوان حماه [1] . وكانت هذه اولى المقابلات التي تمت بين ابي الفداء والسلطان الناصر . وفي سنة تسع وتسعين وستمائة سار قازان بن أرغون بجموع عظيمة من المغل والكرج والأرمن وغيرهم وعبر الفرات ، ووصل بجموعه الى حلب ، ثم حماه ونـزل على وادي مجمع المروج وسارت العساكر الاسلامية بقيادة السلطان الملك الناصر حتى وصلوا ظاهر حمص وساروا الى جهة المجمع . وكان الأمير سلار و الجاشنكير هما المتغلبان على مجريات الأمور في المملكة.وقد داخل الأمراء الطمع فلم يكملوا عدة جندهم ولم يجندوا العدد الكافي من العسكر بما يقابل عسكر المغول ومن ساندهم مما كان له أثره في الهزيمة التي حاقت بعساكر المسلمين .

فلما كان يوم الأربعاء ثامن عشر من ربيع الأول واثناء مسير السلطان ظهرت طوالع المغول فنودي

(١) المختصر ٤ : ٤٢ ، مهرجان ابو الفداء : ١٧٤ - ١٧٥

على عسكر المسلمين ان «ارموا الرماح واعتمدوا على ضرب السيف والدبوس»[1] وكانت عساكر المسلمين تقارب العشرين الف فارس والمغول في نحو مائة الف وقد اتخذت العساكر الاسلامية تشكيل ميمنة وقلب وميسرة وكان في الميمنة الأمير عيسى بن مهنا وعساكر العربان ويليهم الامير بلبان الطباخي نائب حلب بعساكر حلب وحماه اما في الميسرة فكان الأمير بكتاش امير سلاح وعدة امراء . وكان في القلب بيبرس وسلار وبرسغي وغيرهم من الأمراء وجعلوا أمامهم المماليك السلطانية ووقف حسام الدين لاجين الاستادار مع السلطان عن بعد لادارة المعركة . وتقدم نحو خمسمائة مملوك من الزراقين الذين اشعلوا النفط فمرت خيول العساكر بقوة شوطها في العدو ، ولما طال المدى قصرت عدوها وخمد نار النفط . عندها تحرك قازان بعد ماقدم عشرة الاف من مشاته يرمون النشاب واصابت سهامهم الكثير من العرب . فولى العرب اولاً (اي البدو) ثم تبعهم جيش حلب وحماه فتمت هزيمة الميمنة من قبل ميسرة قازان وصدمت الميسرة ميمنة قازان صدمة فرقت جمعها وهزمها وقتلت منها نحو خمسة الاف وكاد قازان ان يولي الادبار ثم تجمعت قوات المغل وحملت حملة واحدة على القلب فلم يثبت للهجوم . وتطرقت القوات الاسلامية ، وعادت الميسرة بعد كسرة ميمنة قازان الى حمص واتجهت العساكر المنهزمة نحو دمشق التي غادرتها بعد ساعة بعد ان علمت بأن المغول وراءها . واحتل قازان دمشق واقام فيها والياً مع حامية صغيرة ثم رحل قازان الى الأغوار ومنها الى البلاد الشرقية وخلال مدة استيلاء المغول على الشام استولى على حماه شخص من الرجال الذين كانوا فيها لحفظ القلعة ويسمى عثمان السيباري ، واستولى على الحكم في حماه والقلعة واستباح الحريم واموال اهل المدينة وسفك دم جماعة من فرسان حماه وبعض اهل الباب الغربي . وكان يشارك عثمان السيباري رفيقا له اسمه اسماعيل ، لكن عثمان غدر به وقتله وانفرد عثمان بالحكم في حماه ولقب نفسه بالملك الرحيم ، وبقي كذلك الى ان وصلت العساكر المملوكية من مصر واستردت دمشق وجرى ارسال صارم الدين ازبك الحموي الى حماه ليكون فيها الى ان يحضر البهازين الدين كتبغا المنصوري النائب[2] .

والتجأ عثمان المذكور الى القلعة بعد ان فارقه اصحابه وتخلوا عنه فامسكوه واعتقل عثمان هذا من جنداوية (مماليك) قراسنقر ، فلما وصل قراسنقر الى حماه متوجهاً الى حلب نزل على تل صفرون ، وتسلم عثمان المذكور واطلقه فحضر اهل حماه إليه وشكوا مافعل من نهب أموالهم وسفك الدماء . ولم يحقق قراسنقر بالشكاوى لأن عثمان رشاه واعطاه اموال اهل حماه فاصطحبه معه ، وأحسن اليه ومنع الناس عنه ، وبقي عنده الى ان هرب قراسنقر الى المغول ، فاختفى عثمان ولم يظهر ، وعندما استلم ابو الفداء حماه تتبع عثمان وطلبه من نائب السلطنة بالشام الذي امسك به في بلاد عجلون وارسله معتقلاً الى حماه ، فضربت عنقه في سوق الخيل فيها بحضور العسكر . وكان ذلك يوم الاثنين رابع عشر شعبان سنة ست عشرة وسبعمائة[3] .

---

(١) السلوك ج١ ق٣ : ٨٨٥

(٢) السلوك ج١ ق٣ : ٨٨٢ - ٨٩٥ ، المختصر ج٤ : ٤٢ - ٤٣ ، مهرجان ابي الفداء : ١٧٤ - ١٧٥ النجوم الزاهرة ج ٨ : ١٢٠ - ١٢٢

(٣) المختصر ج٤ : ٤٤-٤٥

## ولاية الأمير كتبغا زين الدين المنصوري الحموي (الملك العادل)
## (٦٩٩ - ٧٠٢هـ) (١٢٩٩ - ١٣٠٢)م

كان كتبغا سلطاناً كما سلفت الاشارة اذ جلس على سرير السلطنة في يوم الاربعاء تاسع المحرم من سنة اربع وتسعين وستمائة بعد مقتل الشجاعي ، ولقب نفسه الملك العادل ، وبعد ان اخفق في مواجهة حسام الدين لاجين المنصوري خلع نفسه عن السلطنة ، واعطي صرخد مأوى له .

وبعد انسحاب المغول من الشام ، وعودة القوات المملوكية إليها ، تقرر تعيين كتبغا نائباً عن السلطان في حماه، فارسل صارم الدين أزبك الحموي إليها لغاية وصوله. وعين قرا سنقر نائباً في حلب.

سار كتبغا من دمشق الى حماه فوصلها في الرابع والعشرين من شعبان من سنة تسع وتسعين وستمائة واستقر بها ، وقد اقام بدار صاحبها الملك المظفر [1] .

تميزت فترة ولاية كتبغا بالنشاط العسكري . ففي شهر شوال من سنة ٦٩٩هـ/ ١٢٩٩م اشترك مع قوات حماه في الحملة التي قادها الأمير أقش الأفرم على جبال كسروان .

وفي سنة سبعمائة اشترك مع قوات حماه التي انضمت الى قوات حلب وعلى رأسها قراسنقر وتم تجمع القوات الاسلامية قرب حماه لمواجهة القوات المغولية المتواجدة في سرمين والمعرة وتيزين والعمق . ثم توجهت القوات الاسلامية الى العوجا الا ان امطاراً غزيرة قطعت الطرقات فقلت الأرزاق مما اضطر العساكر للعودة . أما المغول فبعد بقائهم ثلاثة اشهر في حلب ارتدوا عنها الى الفرات . وعندها عادت القوات المتجمعة بظاهر حماه الى مواقعها [2]

وفي عام ٧٠١هـ/ ١٣٠١م خرج كتبغا مع عسكر حماه وامرائها وفيهم ابي الفداء للاشتراك مع القوات الآتية من مصر بقيادة بدر الدين بكتاش وأيبك الخزندار متوجهين الى بلادسيس مهاجمين سيس وارياضها فغنموا الكثير وعادوا الى حلب . وبعد هذه الواقعة اصيب كتبغا بالمرض [3] .

---

(١) المختصر ج٤: ٤٣-٤٤، مهرجان ابي الفداء : ١٧٤
(٢) المختصر ج٤ : ٤٥-٤٦، السلوك ج١ ق٣: ٩٠٦-٩٠٩، مهرجان ابي الفداء : ١٧٥
(٣) المختصر ج٤: ٤٦-٤٧، مهرجان ابي الفداء ١٧٥

وفي عام ٧٠٢هـ/ ١٣٠٢م عاود المغول هجومهم على بلاد الشام فعبروا الفرات واقاموا على ضفافه مدة واثناء اقامتهم توجهت طائفة منهم تعدادها نحو عشرة الاف فارس للاغارة على القريتين .

كانت القوات الاسلامية ماتزال متجمعة حول حماه اثر عودتها من بلاد سيس . اما كتبغا فكان مريضا وقد اصيب بالشلل . عندها اتفق امراء الشام وعلى رأسهم نائب السلطنة بالساحل اسندمر الكرجي على ارسال جند من حلب وجند من حماه وكان على رأس جند حماه ابي الفداء لمواجهة القوات المغولية المهاجمة للقريتين . اتجهت القوات نحو تجمعات المغول فالتقى الجمعان في مكان يقال له (الكرم) قريباً من (عُرضٌ) [1]. ووقعت المعركة في شهر شعبان عام ٧٠٢هـ/ ١٣٠٢م وكان النصر حليف العسكر الشامي فانهزمت جموع المغول وولوا هاربين وبقي بعض العسكر من المشاة وقد اعطاهم المسلمون الأمان الا انهم رفضوا التوقف عن القتال مما اضطر العسكر الشامي لابادتهم . وعادت القوات بعد انتهاء المعركة الى حماه [2] . إلا ان خسارة المغول لهذه المعركة دفعهم للانتقام فسارت جموعهم نحو بلاد الشام واقتربوا من حماه وكانت القوات الاسلامية ماتزال متجمعة حول حماه وبلغت هذه الاخبار للسلطان في مصر الذي سار بقواته باتجاه بلاد الشام . وانسحبت العساكر المتجمعة قرب حماه باتجاه دمشق في عملية تجميع للقوات وانتظاراً لوصول نجدات السلطان من مصر .

غادر كتبغا حماه على محفة وبقي في حماه ابو الفداء يرصد المغول من العليليات ولكنه غادرها بعد ان رأى جموعهم تنزل بظاهر حماه ولحق بالقوات الحموية ونائب حماه كتبغا وذلك في القطيفة (بين النبك ودمشق) واعلم كتبغا بما رآه فسارت القوات باتجاه دمشق لتجميع القوات وخصوصاً ان طلائع قوات السلطان قد بدأت بالوصول الى دمشق بقيادة الأمير بيبرس الجاشنكير وتم اجتماع القوات بمرج الزنبقية بظاهر دمشق ، ثم ساروا الى مرج الصفر انتظاراً لقوات السلطان [3]

ادرك المغول اهداف القوات الشامية فسارعت قواتهم خلفها لمنعها من التجمع واعادة تنظيم قواها فكان اللقاء عند (شقحب)[4] بطرف مرج الصفر . وكان السلطان قد وصل وتم التقاء القوات الاسلامية ساعة وصول المغول فالتحم الفريقان بمعركة شديدة .

اخذت القوات الاسلامية تنظيم قلب وميمنة وميسرة ، هاجم المغول بشكل رئيسي ميمنة القوات الاسلامية وقد خسر المسلمون فيها الكثير الا ان قوات القلب وقوات الميسرة استطاعتا انتزاع النصر واندفع المغول منهزمين وقد خسروا من عساكرهم الكثير وحل الليل على الجيشين فما كان من القوات الاسلامية الا ان احاطت بباقي القوات المغولية وفي الصباح رأى المغول انفسهم محاطين بالقوات

---

(١) عرض بضم العين وسكون الراء ، بليد في بريد الشام يدخل في اعمال حلب وهو بين تدمر والرصافة الهشامية (معجم البلدان) لياقوت الحموي .

(٢) المختصر ج٤: ٤٨، السلوك ج١ ق٣: ٩٣٠ - ٩٣١، مهرجان ابي الفداء : ١٧٥ - ١٧٦

(٣) المختصر ج٤: ٤٨-٤٩، السلوك ج١ ق٣: ٩٣٠ - ٩٣٨، مهرجان ابي الفداء : ١٧٦ - ١٧٧

(٤) شقحب : قرية في حوران قرب غباغب

ـ الاسلامية التي اخذت تهاجمهم بقوة فانهزموا باتجاه الفرات وسار اثرهم الامير سلار احد قواد السلطان مع اعداد من العساكر الاسلامية . وعندما وصل المغول الى الفرات لم يستطيعوا العبور بسبب ارتفاع منسوب النهر وقت فيضانه وغرق من حاول العبور فاضطر الباقي للاتجاه نحو بغداد وهلك منهم الكثيرون جوعاً أو قتلاً من قبل البدو هناك .

بعد هذه المعركة تجمعت القوات الاسلامية بدمشق ثم اعيدت الى مواقعها [1] . اما نائب حماه كتبغا فقد تابع سيره محمولاً على محفة من حماه باتجاه دمشق ثم تابع نحو القاهرة وقد شارف الوصول إليها لكنه عاد ادراجه عندما بلغه انهزام المغول . وفي حماه اقام مدة يسيرة وحالته تزداد سوءاً الى ان توفي ليلة الجمعة يوم عيد الأضحى ذي الحجة سنة ٧٠٢هـ/ ١٣٠٢م .

ارسل ابو الفداء اثر وفاة كتبغا يعرض على السلطان توليته حماه على قاعدة اهله . لكن رسالة ابي الفداء وصلت متأخرة اذ كان السلطان قد قرر عليها سيف الدين قبجق نائبه في الشوبك وكتب تقليده بها ، إلا أن السلطان وعد أبا الفداء بحماه مستقبلاً [2] .

★

(١) المختصر ج٤ : ٤٨-٤٩ ، السلوك ج١ ق٣ : ٩٣٠ - ٩٣٨ ، مهرجان ابي الفداء : ١٧٦ - ١٧٧
البداية والنهاية ج ١٤ : ٢٣ - ٢٦

(٢) المختصر ج٤ : ٤٩-٥٠ ، السلوك ج١ ق٣: ٩٤٤ - ٩٤٧، من جادة ابي الفداء ١٧٧ - ١٧٨، الزاهرة ج ٨ : ٢٠٦

# الأمير سيف الدين قبجق

# نائب السلطان في حماه

(٧٠٣ - ٧٠٩)هـ

(١٣٠٣ - ١٣٠٩)م

سبق الاشارة الى ان سيف الدين قبجق كان في الشوبك إذ كانت اقطاعه . فلما اعطاه السلطان نيابة حماه وسحب منه الشوبك اقام فيها لفترة من الزمن لانهاء أعماله ، ثم سار قاصداً حماه التي خرجت جموعها وأمراؤها لملاقاته على مرحلة من حماه حيث نصبت الخيام وفرشت البسط بين يديه واقيمت له الاحتفالات وقدمت له الهدايا.ثم انتقل في اليوم التالي مع مستقبليه ودخلوا حماه بالترحيب والزينات وكان ذلك في يوم السبت الثالث والعشرين من صفر عام ٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م . ونزل قبجق بدار الملك المنصور التي اصبحت دار الولاية في حماه [١]

اشترك سيف الدين قبجق بعدة اعمال عسكرية اثناء قيامه بنيابة حماه منها استجابته لطلب الأمير بدر الدين بكتاش اميرسلاح السلطان الذي خرج من مصر عام ٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م للاغارة على بلاد سيس وكان اجتماع العساكر الاسلامية في حلب ودخلت القوات بلاد سيس بقيادة ابن بدر الدين بكتاش بسبب مرض اصاب الاب ومنعه من متابعة المسير .

قامت القوات الاسلامية بتدمير الكثير من الضياع وقتلوا واسروا الكثير ثم حاصروا قلعة (تل حمدون) [٢] التي تجمع فيها الكثير من الأرمن وبعد مشقة فتحت بالأمان وقد اسر المسلمون منها ستة ملوك من الأرمن الأمر الذي شق على تكفور ملك سيس فارسل الى نائب حلب يعلمه بان سبب الامتناع عن دفع الجزية كان هؤلاء الملوك الأسرى ، عندها قطعت رقابهم عدا صاحب قلعة نجيمة الذي اسلم وكتب لعساكره بالعودة فرافقتها [٣] .

---

(١) المختصر ج٤: ٥٠ - ٥١/ مهرجان ابي الفداء: ١٧٨

(٢) حمدون قرية تقع في محافظة حلب حالياً تابعة لمنطقة عين العرب والى الجنوب منها (٤٠) كم (الدليل المجاني ومعالم واعلام)

(٣) السلوك ج١ق٣: ٩٤٩ ، المختصر ج٤: ٥١، مهرجان ابي الفداء : ١٧٨ - ١٧٩- البداية والنهاية ج ١٤ : ٢٩

## أزمة السلطان الملك الناصر وموقف نائب حماه منها :

اضطر السلطان الملك الناصر ، تحت ضغوط وتسلط مماليكه وخصوصاً سلار وبيبرس الجاشنكير اللذين جعلا منه صورة فقط وحاصراه في القلعة ولم يتركا له غير الاسم، للتظاهر بنيته الخروج للحج وبعد توجهه نحو الكرك دخل قلعتها وارسل رسله للقاهرة يعلم مماليكه بانه باق في الكرك .

للملك اجتمع الأمراء في قلعة الجبل واقر رأيهم على تنصيب بيبرس الجاشنكير سلطاناً وان يكون سلار نائباً للسلطنة وذلك يوم السبت ٢٣ شوال سنة ٧٠٨هـ/ ١٣٠٨م وتلقب بالملك المظفر ركن الدين بيبرس المنصوري وارسل الى نواب السلطنة بالشام فحلفوا له وارسل للسلطان الملك الناصر تقليداً بالكرك ومنشوراً بما عينه له من الاقطاع [1] . الا ان هذا لم يرض السلطان الملك الناصر الذي اخذ يعمل لاستعادة سلطته وكان قد قام الجاشنكير بتجهيز حملة الى حلب لغزو بلاد الروم فوصل العسكر المصري بقيادة الأمير جمال الدين اقوش الموصلي المعروف بقتال السبع ووصل لاجين الجاشنكير المعروف بالزيرتاج مع الفي فارس واجتمع نواب الشام جميعاً ومعهم ابو الفداء مرسلاً من قبل قبجق قائداً للعساكر الحموية . فقام قراسنقر بالدعوة باطناً للسلطان الملك الناصر ضد بيبرس الجاشنكير وقد اثمرت دعوته . ومن ناحية اخرى اخذت طلائع الأمراء والعساكر تخرج من مصر منضمة للسلطان الملك الناصر في الكرك .

نتج عن ذلك رجوع العساكر عن حلب بعد ان الغيت الحملة على بلاد الروم ثم توجه السلطان الملك الناصر الى دمشق واخذت البيعة له . وتوافد الأمراء النواب اليه مؤيدة ومن بينها العسكر الحموي بقيادة قبجق وكان معه أبو الفداء الذي تقرب من السلطان بان اهداه مملوكه طقزتمر فقبله ووعد ابا الفداء بحماه ثانية على عادة اهل بيته [2] واصبحت دمشق مركزاً لتجمع القوات المنفصلة عن بيبرس والمنضمة للسلطان الملك الناصر . وبعد أن استكملت العساكر المجتمعة في دمشق عدتها سارت في خدمة السلطان باتجاه مصر بعد أن تحصن فيها الأمير بيبرس الجاشنكير .

وصلت القوات إلى غزة يوم الجمعة تاسع عشر رمضان وهناك اخذت العساكر المصرية ترد الى السلطان الناصر مؤيدة له واخذ الأمراء بالوصول إليه وتابع السلطان مسيره وكلما اتجه نحو القاهرة كانت تصله العساكر والأمراء مؤيدين له [3] .

للملك اضطر بيبرس الجاشنكير لخلع نفسه من السلطنة وارسل مع ركن الدين بيبرس الدواداري

---

(١) المختصر ج٤ : ٥٥

(٢) المختصر ج٤ : ٥٦-٥٧/ السلوك ج٢ق١ : ٥٥-٥٧ مهرجان ابي الفداء : ١٧٩، البداية والنهاية ج ١٤ : ٥١ - ٥٣

(٣) المختصر ج٤ : ٥٦-٥٧/ السلوك ج٢ق١ : ٥٥ - ٦٦ مهرجان ابي الفداء : ١٧٩ - ١٨٢

ومع بهادر يطلب الأمان من السلطان وأن يتصدق عليه ويعطيه اما الكرك او حماه أو صهيون وان يكون معه ثلاثمائة مملوك من مماليكه فأجابه السلطان إلى مائة مملوك وان يعطيه صهيون واتم السلطان السير فهرب الجاشنكير من قلعة الجبل الى الصعيد .

دخل السلطان قلعة الجبل واستقر على سرير ملكه . وبعد هذه الأزمة اجرى السلطان تغييرات في سلطته فأعطى نيابة السلطنة في حلب لسيف الدين قبجق وانتزع منه حماه وسار قبجق من مصر يوم الخميس تاسع شوال ورسم لعسكر حماه بالمسير معه . وقام السلطان بالاعتذار الى ابي الفداء عن تسليمه حماه في تلك الظروف واعداً بانجاز ما وعده به من ملك حماه معتذراً بأن تأخيره لما بين يديه من المهمات والأشغال المعوقة .

سار قبجق والقوات الحموية ومعهم أبو الفداء نحو حماه فوصلوها يوم الخميس خامس عشر ذي القعدة . وقد قرر السلطان حماه للحاج بهادر الظاهري ثم ارتجعها منه وقرره في نيابة السلطنة بالحصون والفتوحات واعطى حماه الى اسندمر الذي طلبها منه .

شعر اسندمر برغبة من السلطان باعطاء حماه لأبي الفداء لذلك عاجل بطلبها لنفسه وذلك بسبب عداوة استحكمت بين الطرفين نتيجة عن رغبة كل منهما بحماه . كان ابو الفداء يطلبها لنفسه بينما طلب اسندمر من السلطان ذلك وهو عارف بأن السلطان سيقبل طلبه نتيجة خدماته الكثيرة للسلطان اما السلطان فانه وجد من الأفضل له كسب ود اسندمر الذي عزله عن نيابة الحصون والفتوحات باعطائه حماه .

تأخر اسندمر بالوصول الى حماه في سبيل انهاء أعماله قبل تسلمه منصبه الجديد وانتهز امير العرب مهنا بن عيسى ذلك فوصل حماه في محاولة للتوفيق بين ابي الفداء وأخيه بدر الدين حسن الا ان جهوده باءت بالفشل لتمسك كل منهما بحماه لنفسه [1] .

★

(١) المختصر ج٤ : ٥٧-٥٩، السلوك ج٢ق١ : ٥٥ - ٨٠ مهرجان ابي الفداء : ١٨٠ - ١٨٢

# الأمير اسندمر كرجي

## نائب السلطان في حماة

(٧٠٩ - ٧١٠)هـ . (١٣٠٩ - ١٣١٠)م

ارسل اسندمر نائب حماه الجديد مملوكه بدر الدين تتليك السويدي لاستلامها نيابة عنه ولغاية وصوله . وقد عوق السلطان اسندمر عن السفر الى حماه اذ كلفه احضار المظفر بيبرس الذي رفض الحضور الى السلطان خوفاً من ان يقوم السلطان بقتله عقوبة له على احتلاله سرير الملك في مصر مع ان السلطان حلف يميناً بحضور الامراء وأعطاه السويس اقطاعاً له .

اخرج اسندمر تجريدة الى غزة لاحضار بيبرس الجاشنكير الذي استسلم حقناً للدماء ، فسيق للقاهرة الى السلطان الذي امر بقتله وكافأ اسندمر على عمله .

شعر ابو الفداء بقرب المواجهة مع اسندمر نائب حماه الجديد نتيجة للخصام بينهما . وقد خاف البقاء بحماه ، فارسل الى السلطان طلباً للسماح له في البقاء بدمشق شارحاً اسباب طلبه . ثم انتقل بالفعل الى دمشق حيث وافاه مملوكه بموافقة السلطان على اقامته بدمشق وتعيين حواصل له فيها مع بقاء خبزه (اقطاعه) في حماه [1].

وعند وصول اسندمر لدمشق في طريقه لاستلام منصبه في حماه فوجىء بوجود ابي الفداء فيها وخروجه عنه وعن طاعته وقد اساءه هذا التصرف كثيراً وحاول اقناع ابي الفداء بالسفر معه الى حماه . ونظراً لرفض ابي الفداء ذلك وسط اسندمر نائب دمشق قراسنقر لارساله معه إلى حماه طوعاً او كرهاً . إلا أن قراسنقر اعتذر بسبب اوامر السلطان . وعندما عجز اسندمر عن اصطحاب ابي الفداء ترك دمشق متوجهاً إلى حماه ودخلها في الرابع والعشرين من المحرم سنة ٧١٠ هـ/ ١٣١٠ م حيث استلم مهام منصبه نائباً عن السلطان في حماه .

كان الأمير سلار بالشوبك حيث عينه السلطان عليها الا انه عزم على الهروب منها فارسل السلطان اليه واستدعاه بعد أن عرض عليه المسير الى حماه ليكون نائباً فيها ورسم لاسندمر فسار من حماه الى دمشق

---

(١) المختصر ج٤ : ٥٨-٥٩ . النجوم الزاهرة ج ٨ : ٢٣٢ - ٢٣٣

واخل حماه لأجل سلار وبعد مراسلات بينه وبين السلطان حضر سلار الى ديار حمص فقبض السلطان عليه وكان آخر العهد به واحتيط على غالب موجوده لبيت المال .

وفي هذه السنة توفي الحاج بهادر النائب بالسواحل الشامية في يوم الثلاثاء العشرين من ربيع الآخر وصادف أن وصل الأمير مهنا بن عيسى وهو امير العربان المطاع في البادية وتجمعه مع ابي الفداء روابط صداقة متينة وكان حريصاً على أن تكون حماه لأبي الفداء وقد ساءه تحولها الى اسندمر كذلك كان السلطان راغباً في ذلك إلا أنه اضطر لاعطائها الى اسندمر عندما طلبها منه مداراة له . فعند وصول الأمير مهنا الذي كانت له كلمة عند السلطان طلب منه حماه لأبي الفداء فوافق السلطان واعطي ابو الفداء حماه وبارين والمعرة واعطى اسندمر السواحل والفتوحات وارسل التقليد بذلك الى اسندمر مع منكوتمر الطباخي . الا ان اسندمر ساءه هذا التحول ورفض السير الى السواحل وامتنع عن قبول التقليد والخلعة وردهما مع حاملهما الذي عاد الى دمشق .

واتفق ان ورد خبر موت سيف الدين قبجق نائب السلطنة بحلب عند ذلك انعم السلطان على اسندمر بنيابة حلب . وبذلك استقرت حماه الى ابي الفداء الذي وصل تقليدها الى دمشق على قاعدة النواب لا على قاعدة البيت التقوي وكان تاريخ التقليد في ثامن عشر جمادى الأولى سنة عشر وسبعمائة/ ١٣١١م .

توجه ابو الفداء الى حماه مع الأمير سيف الدين قجلس وكان اسندمر مازال فيها وهو باشد حالات الغضب بسبب فراق حماه وبسبب تعيين أبي الفداء مكانه عليها وعزم على مقاتلة ابي الفداء ليرده عنها مع أن جميع العسكر الحموي قد خرج لاستقبال أبي الفداء حيث تم اللقاء قرب حمص[1] .

وصدف وصول مملوك اسندمر (سنقر) من مصر فخوف اسندمر من مغبة اجراءاته وخوفه من العواقب عندها غادر اسندمر حماه متوجهاً الى حلب ، ودخل ابو الفداء حماه بعيد خروج اسندمر منها . واستقر ابو الفداء في دار ابن عمه الملك المظفر المسماة دار السعادة . وبذلك عادت حماه الى البيت التقوي بعد فترة انقطاع دامت احدى عشرة سنة وخمسة اشهر وسبعة وعشرين يوماً . الا ان عودتها كانت على قاعدة النواب ولم تعد على قاعدة البيت التقوي .

وكان ابو الفداء لما قارب حماه ونزل بالرستن قد البسه الأمير سيف الدين قجلس الذي كان بصحبته من مصر التشريف السلطاني وهو اطلس احمر بطراز زركشي فوقاني وتحته اطلس اصفر وكلوته زركش وشاش رقم ومنطقة ذهب مصري وسيف محلى بذهب مصري واركبه حصاناً برقياً بسرجه ولجامه . وقد دخل حماه على هذه الصورة وقرىء مرسوم تقليده حماه بحضور الناس وباحتفال كبير .

احتفى ابو الفداء بالأمير سيف الدين قجلس بحماه عدة ايام واحسن اليه بالخلع والهدايا والخيول واعطاه اربعين الف درهم قبل مغادرته حماه .

(١) المختصر: ج٤: ٥٨ - ٥٩ . النجوم الزاهرة ج ٩ : ٢٣

وبذلك حقق أبو الفداء احلامه بعد كفاح دام حوالي احدى عشرة سنة ونصف السنة ، وقد بذل في سبيل ذلك كما سلفت الاشارة الكثير من الجهود والمساعي[1] .

★

(1) المختصر ج٤: ٥٩-٦٠

# الفصل الخامس

## أبو الفداء

## (٧١٠ - ٧٣٢) هـ

## (١٣١٠ - ١٣٣١)م

يعتبر أبو الفداء ظاهرة ثقافية وحضارية متميزة في تاريخنا العربي ويعتبر اعظم ملوك حماه الايوبية وهو الشخصية الثانية بعد صلاح الدين الأيوبي في الأسرة الايوبية بمجموعها . فمن هو أبو الفداء ؟

هو الملك العادل الفاضل المجاهد عماد الدين اسماعيل بن الأفضل نور الدين علي بن الملك المظفر الثاني محمود بن الملك المنصور الأول محمد بن الملك المظفر الأول تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب بن شاذي بن مروان .

ولد في شهر جمادى الأولى من سنة اثنتين وسبعين وستمائة هجرية الموافق لشهر شباط سنة ثلاث وسبعين ومائتين والف وذلك بدمشق في دار الزنجيلي التي كانت بملك والده ، وكان أهله قد حضروا الى دمشق هروباً من هجوم المغول على بلاد الشام ، وقد اورد في كتابه المختصر في تاريخ البشر (ج٤) في حوادث سنة اثنتين وسبعين وستمائة تاريخ ولادته (دون تحديد اليوم) كما ذكر مكان ولادته وسبب وجود اهله بدمشق فقال : «(وفيها) في جمادى الأولى كانت ولادة العبد الفقير مؤلف هذا المختصر اسماعيل ابن علي بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن ايوب بدار ابن الزنجيلي بدمشق المحروسة فان اهلنا كانوا قد جفلوا من حماه الى دمشق بسبب اخبار التتر» (١)

ولد ابو الفداء في بيت من بيوت الملوك الذين كان لهم التأثير الكبير في التاريخ الاسلامي خاصة وفي التاريخ الانساني عامة . وقد نشأ وترعرع في ظل اسرة ارستقراطية وفي مملكة حكمها اهله منذ عشرات السنين واكثر رجالاتها من اهله واقربائه .

كاد والده الملك الأفضل ان يكون شريكاً لابن اخيه الملك المظفر في ملك حماه وكان لا يغادره

(١) المختصر ج٤ : ٨، مهرجان ابي الفداء مقال قدري الكيلاني : ٢٤٢

بدأ ، وكان ابو الفداء يشارك والده في حله وترحاله مع الملك المظفر ورغم ان ابا الفداء كان ثاني ثلاثة ذكور ولدوا لأبيه الملك الأفضل ، وهم بالاضافة إليه : بدر الدين حسن الذي كان أكبر منه بثلاث سنين وكان خصمه في كل محاولة لاستلام ملك حماه قبل أن يمن عليه بها السلطان محمد بن قلاوون أما أخوه الأصغر فكان أسد الدين عمر .

وقد تدرج ابو الفداء في سلك الخدمة منذ نعومة أظافره وكان الاعتماد عليه اكثر من باقي اخوته في مهام المملكة من قبل استلامه لها وذلك لنباهته وعلمه وحسن تصرفه ، من ذلك ان الملك المظفر كان يسند اليه بعض المهام بدلاً من والده ، ونجده يرسله بعد وفاة والده لمقابلة السلطان المملوكي الاشرف خليل بن قلاوون في سفارة قدم فيها بعض الهدايا باسم ابيه. وبعد وفاة ابيه التحق بخدمة ابن عمه الملك المظفر واخذ مكانة ابيه في مشاركته في حله وترحاله وسائر اموره . الا ان استعراض حياته قبل استلامه الملك يفسر لنا مكانته هذه وسعة اطلاعه وحسن تصرفه والاعتماد عليه .

فقد شارك في الأحداث في وقت مبكر - في سن الثانية عشرة ، كان بصحبة والده عند الاستيلاء على قلعة المرقب ٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م من الصليبيين ، وقد دون ذلك في كتابه المختصر قائلاً : «وهو اول قتال رأيته »[1] وقد عقب على المعركة قائلاً «وكان يوماً مشهوداً أخذ فيه الثأر من بيت الاستبار»[2]

وفي سن السادسة عشرة سنة ٦٨٨هـ/ ١٢٨٩م اشترك ابو الفداء في اخراج الصليبيين من طرابلس ، وكان بصحبة والده الملك الأفضل وابن عمه الملك المظفر صاحب حماه واسهب في وصف المعركة والحصار وكان شاهد عيان .

كذلك اشترك عام ٦٩٠هـ/ ١٢٩٠ م في حملة الملك الأشرف ابن السلطان قلاوون على عكا بصحبة والده وابن عمه ، وكان قائد عشرة وقد اصدر الملك الأشرف مرسوماً بان تحضر العساكر ومعها المجانيق فاحضروا اكبر منجنيق عرف في عصره ، وكان له مائة دولاب فكان مسؤولاً عن احدها ووصف معاناة الطريق حتى وصلت القوات الى مشارف عكا ، ثم وصف المعركة التي اسفرت عن فتح عكا . وشارك عام ٦٩١ هـ ١٢٩١ م في الحملة التي قادها السلطان لفتح قلعة الروم ووصف المعارك وصف شاهد عيان وأرخ لفتحها .

وفي عام ٦٩٢هـ/ ١٢٩٢م انعم عليه ابن عمه الملك المظفر صاحب حماه بعد موت والده الملك الأفضل بأمرة طبلخانة واربعين فارساً .

وفي عام ٦٩٧هـ/ ١٢٩٨م اشترك في حملة على أرمينيا (بلاد سيس) التي قادها السلطان لاجين وقد تحدث عنها في كتابه المختصر فقال «هذه الغزوة من الغزوات التي حضرتها وشاهدتها من اولها إلى آخرها»[2] ثم تحدث عن سير الحملة ونجاحها الذي ادى الى فرض الصلح على ملك الارمن بالتنازل عن الاراضي

---

(١) المختصر ج٤ : ٨

(٢) المختصر ج٤ : ٢١

وب نهر جيحان . وتحدث فيها عن القضايا العامة وسير المعارك وعن اخباره الشخصية . فحينما اشتد حصار على قلعة حموص وضاق المحاصرون فيها وبدأوا يخرجون النساء والأطفال وبعض الرجال من غير حاربين.كان المسلمون يقتلون الرجال ويتقاسمون النساء والأطفال فكان نصيبه جاريتين ومملوكاً، وبعد فاة الملك المظفر كان يعتبر نفسه صاحب الحق بالحكم لما مارس من جهود ونشاط في الخدمة ، ولان الملك لظفر لم ينجب من يخلفه ، وكان هذا سبب خلافه مع أخيه الاكبر منه بدر الدين حسن . ورغم داخلات الأمراء لم يحصل تفاهم بين الاخوين مما أدى إلى خروج الحكم من البيت التقوي في فترة لانقطاع كما سبق القول .

وثمة سبب آخر لاعتقاده بأحقية الملك هو علاقته الطيبة مع الملك المظفر اذ يصف أواخر أيامه ويصف رحلة صيد (رمي البندق) للنسور وكيف أن المرض اصابه هو أولاً.وعاده الملك المظفر قبيل مرضه ووفاته التي تمت قبل شفاء ابي الفداء من مرضه وكان أخواه مع العساكر الحموية في حلب بينما استدعاء الملك المظفر له فقط ليعود إلى حماه ويشاركه في رحلته المذكورة . لذلك اغتنم فرصة موت الملك المظفر فقام بمراسلة السلطان في مصر يطلب منه حماه على قاعدة أهله [1] .

قنع ابو الفداء بهذا الوعد وقرر ان يكون ايجابياً مع السلطان في مصر بعد أن امن إلى جانبه لذلك نراه يشارك في خدمة نائب حماه «قراسنقر» رغم كرهه لخروج حماه عن البيت التقوي بل خروجها منه بالذات .

ويصف اجحاف قراسنقر به وبالعائلة التقوية الى ان جاءت المناشير من مصر لابقاء الاقطاعات التي بين ايدي الأمراء التقويين .

وربطت ابا الفداء بالسلطان محمد بن قلاوون صداقة قوية بقي مخلصاً لها لانه عرف أن مستقبله السياسي مرتبط مع هذه الصداقة والتي كان السلطان يؤكد دائماً حرصه على اعادة حماه اليه . وكتب عن أول لقاء له مع السلطان في مصر حينما انتدبه قراسنقر بالاتفاق مع أخويه لايصال الهدايا والخلع للسلطان ومعه بعض من خيل الملك المظفر ، إذ اعاد طلب حماه لنفسه ووعده السلطان خيراً ثم زاد اقطاعاته وذلك عام ٦٩٨هـ/ ١٢٩٨م .

وفي عام ٧٠١هـ/ ١٣٠١م شارك في حملة المماليك الثانية على بلاد سيس وشارك في حملة ضد المغول سنة ٧٠٢هـ/ ١٣٠٢م في المعركة التي جرت قرب القريتين . ثم شارك في الحملة الثانية التي جرت في نفس العام عندما عاود المغول الهجوم على شمال بلاد الشام انتقاماً للحملة الاولى .

وعندما عين قبجق على نيابة حماه خرج ابو الفداء لاستقباله وللخدمة حتى العنتر ودخل حماه معه . واثر اهتزاز مركز السلطان حين تمرد بيبرس الجاشنكير ايد ابو الفداء السلطان ، وما ان انتهت الأزمة حتى

---

(1) المختصر ج٤: ٣٦ ومابعدها
مهرجان ابي الفداء : الدوري : ٢٢٦، وقدري الكيلاني : ٢٥٠

شارك في ارسال الهدايا له الى دمشق ، وحصل منه على المواعيد الصادقة بتولية حماه . ولم يكتف بذلك بل شارك السلطان في سفره الى مصر وحصل على تأكيدات لوعوده .

وقد علل النفس كثيراً في كتابه المختصر مسوغاً تصرف السلطان حينما اسند نيابة حماه الى اسندمر بسبب الخلاف الذي عاد للظهور بينه وبين اخيه الأكبر . ولذلك بدأ الخلاف بينه وبين اسندمر الذي كان يميل لأخيه اكثر منه فما كان من ابي الفداء الا ان ارسل يطلب الاذن بسكن دمشق حتى لا يبقى مع اسندمر ورغم محاولات اسندمر باعادته لحماه الا انه اخفق في ذلك .

وعند تعيين ابي الفداء على حماه ومحاولة اسندمر العصيان نجد ابا الفداء لا يدخل حماه حتى يخرج منها اسندمر [1]

وقد جمع ابو الفداء اضافة لتجاربه السياسية حصيلة علمية وأدبية ومركزاً ثقافياً حصّله بجده ونشاطه ورغبته في تحصيل العلوم واتقانها والتأليف فيها وحصّل بذلك شهرة فائقة اضيفت الى شهرته السياسية .

**ألقابه :** وقد حاز ابو الفداء اثناء حياته الكثير من الالقاب منها: في سنة ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م كان امير عشره وقد ذكر استلامه عجلة المنجنيق المنصوري ثم اشتراكه في فتح عكا .

سنة ٦٩٢هـ/ ١٢٩٢م اعطاه الملك المظفر أمرة طبلخانه باربعين فارساً .

في سنة ٧١٠هـ/ ١٣١٠م اصبح نائب السلطان في حماه .

**لقب بالملك :** وذلك وراثة لأن كل أبناء الأسرة الايوبية يلقبون بالملوك سواء استلموا أم لا وقد تأيد ذلك بعد ان رسم له السلطان بأن يكتب له التقليد بمملكة حماه تمليكاً وذلك في ٢٥ ربيع الأخر سنة ٧١٢هـ/ ١٣١٢م . وفي سنة ٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م وبعد رجوعه من الحج الى مصر مع السلطان محمد ابن قلاوون أرسل السلطان إليه شعار السلطنة ورسم السلطان ان يخطب له على منابر حماه واعمالها بالمقام العالي المولوي السلطاني الملكي المؤيدي على ما كان عليه عمه المنصور مع التقدم على كافة ولاة الشام .

وقد لقب بالملك الصالح ثم الملك المؤيد[2] .

اما نسبة مدينة حماه اليه فتعود الى سنة ١٩٢٢م حينما تأسس في حماه (النادي الأدبي) الذي ضم نخبة من ادباء حماه ومفكريها. وكان يجهد جهداً كبيراً لاذكاء الروح الوطنية ويعني في بعث الروح العلمية باستعادة ذكريات ملوكها الأبطال فلم يجد أجود من ملكها ابي الفداء . فعمل على تدشين مرقده ودعا الى ذلك رهطاً من الأدباء والخطباء. ووصل من مصر شيخ العروبة احمد زكي باشا والدكتور محجوب تاوب. وقد اقيم احتفال كبير بهذه المناسبة في شهر تموز سنة ١٩٢٥ م. فمر على حماه اسبوع كان عيداً قومياً وفرصة لمناسبة سياسية للتعبير عن الآلام التي تعيش في نفس كل مواطن. واشترك الحمويون بالتبرعات واحتفل

---

(١) المختصر ج٤ : ٤١-٥٩ مهرجان ابو الفداء : الدوري ٢٢٨ - ٢٢٩ ، وقدري الكيلاني : ٢٥٠ - ٢٥١

(٢) شفاء القلوب : ٤٥٨ ، السلوك ج٢ ق١ : ٣٥٤

بافتتاح تجديد المرقد ومنذ ذلك الحين اطلق على مدينة حماه اسم مدينة ابي الفداء وعلى الشارع الآخذ الى المرقد اسم شارع ابي الفداء [1].

## أبو الفداء في حماه وأعماله العسكرية :

كان أول عمل قام به ابو الفداء بعد توليه نيابة حماه هو كما سبق القول سيره مع العساكر السلطانية التي انضم اليها مع العساكر الحموية للذهاب الى حلب لمباغتة (اسندمر) الذي خرج عن السلطنة المملوكية.وبالفعل تم ذلك وارسل إسندمر الى السلطان في الكرك حيث كان مقيماً هناك وكان آخر العهد به. بعد أن شغر منصب نيابة السلطنة في حلب طلب قراسنقر نائب السلطنة بدمشق من السلطان أن ينقله الى نيابة السلطنة بحلب لأنه كان فيها والف العيش فيها فرسم له السلطان بذلك وحضر تقليده بولاية حلب مع الامير سيف الدين ارغون الدوادار الناصري الذي سار في صحبته من دمشق الى حلب واثناء الطريق خاف قراسنقر أن يكون في الأمر مكيدة وان يكون مسيره الى حلب لالقاء القبض عليه بسبب وجود عساكر السلطان في حلب إلا أن المقر السيفي ارغون الدوادار الناصري هدأ من روعه وحلف له على عدم توهمه حتى وصل الى حلب وركبت العساكر المقيمون فيها لملتقاه وكان ممن لاقاه ابو الفداء ودخل بصحبته الى حلب يوم الاثنين ثامن عشر المحرم من سنة احدى عشرة وسبعمائة. وقد اعطى قراسنقر ارغون المذكور عطاء جزيلاً وسفره إلى الديار المصرية .

اقامت العساكر السلطانية مدة في حلب وكانت من بينها العساكر الحموية وعلى رأسها ابو الفداء الى ان ورد الدستور للمسير للعساكر من حيث أتت فسار ابو الفداء وعساكره من حلب ودخل حماه يوم الاثنين الرابع والعشرين منه [2] .

عاد قراسنقر للعصيان بعدان طلب دستوراً للذهاب للحج واعطى الدستور، إلا انه خاف ان يقبض عليه الركب المصري في الحجاز لذلك رجع لحلب وفي الطريق اجتمع مع مهنا بن عيسى امير العرب واتفقا على العصيان.ولما قصد قراسنقر حلب ليستولي عليها،منع من الدخول اليها من قبل الامراء والعسكر،فالملك جاءت العساكر السلطانية لمحاولة ردعه واعادته للطاعة والا فالقبض عليه . وقد سار ابو الفداء مع العساكر الحموية برفقة العساكر السلطانية التي حضرت من مصر بقيادة المقر السيفي أرغون الدوادار الناصري ومعه الأمير حسام الدين قرالاجين ونزلوا بالخيام بالقرب من الزرقا يوم الخميس الحادي عشر من ذي الحجة،الا ان قراسنقر هرب باتجاه الفرات وافترقت مماليكه .فبعضهم سار معه وبعضهم رجع الى الطاعة . ثم توجه قراسنقر الى جهة مهنا بن عيسى امير العرب فعادت العساكر الى حلب ودخلتها يوم الأحد رابع عشر ذي الحجة .

---

(١) مهرجان ابي الفداء احسان المعظم : ١٦٣

(٢) المختصر ج٤ : ٦٢-٦٤ السلوك ج٢ق١ : ٩٩ - ١٠٠/ مهرجان ابي الفداء ١٨٤ - ١٨٦ البداية والنهاية ج ١٤ : ٦١ - ٦٣ - النجوم الزاهرة ج ٩ : ٢٤ - ٣٤

وبدخول سنة اثنتي عشرة وسبعمائة ١٣١٢م خرج عن طاعة السلطان اقوش الأفرم نائب السلطنة بالفتوحات وانضم اليه حموه ايدمر الزمر الزردكاش وانضم اليه بعض المماليك وحاول استمالة السواحل الا انه لم يحظ بموافقة احد مما اضطره للهرب الى البادية حيث اجتمع بقراسنقر .

كانت بعض العساكر السلطانية مع الأمير سيف الدين باكتمر في حمص فساق خلف الافرم فلم يلحقه. وكانت العساكر السلطانية تحت امرة ارغون الدودار لاتزال في حلب. وقد بلغها وصول قراسنقر والافرم الى قريب سلمية فاتجهت العساكر الى حمص وسلمية. وكان معهم ابو الفداء مع عساكر حماه. حيث مرت القوات من حماه في ثاني عشر المحرم. ونزلت العساكر بظاهر سلمية. وحاول قراسنقر والافرم استمالة العساكر ليلاً فلم يوافقهم احد مما اضطر قراسنقر والافرم للاتجاه نحو الرحبة. فارسلت الأمراء أبا الفداء اسماعيل بن علي بعسكر حماه وبعض من عسكر مصر ودمشق اثرهم. فوصلوا الرحبة. الا ان قراسنقر وصحبه غادروها الى جهة الروم فلم تتمكن العساكر من ملاحقتهم لعدم وجود دستور بدخول تلك الاراضي. فبعد اقامتهم في الرحبة مدة عادوا الى حمص التي تجمعت القوات بها بعد العودة من سلمية. ولقد اذن ابو الفداء بالعودة مع عساكره الى حماه لقربها من حمص وعدم وجود الحاجة لها في حمص [1]

## مسير المغول الى بلاد الشام : ٧١٢هـ/ ١٣١٢م

اخذت اخبار المغول تصل الى البلاد الاسلامية بعبورهم الفرات وكان قد تسربت الانباء عن حشودهم ونواياهم. لذلك اخذت العساكر الاسلامية تتجمع في حلب. فجاءت القوات الدمشقية مع سيف الدين بهادر آص. وخرج ابو الفداء بعساكر حماه ودخل حلب يوم السبت سابع عشر رجب. وكان نائبها الأمير سيف الدين سودي. ولما بلغت الأخبار بوصول المغول الى بلاد سيس وجفل اهل حلب وبلادها ، رحلت العساكر الاسلامية الى حماه حيث وصلتها يوم السبت سابع عشر رمضان. وكانت قوات المغول قد نزلت الرحبة في آخر شعبان . ونشطت الكشافة لتقصي اخبار المغول . وبعد أن دام حصارهم للرحبة نحو شهر وكان مع خربندا قائدهم قراسنقر والافرم الذين أطمعا خربندا بالرحبة لأن الافرم هو الذي سعى لنائب الرحبة بدر الدين بن اركني فطمع في ان يسلمه اياها. الا ان صموده وعساكر الرحبة والبرد الشديد ونقص الأقوات جعلت خربندا يغادر الرحبة ويعود من حيث اتى. وقد ترك الات الحصار التي ادخلها اهل الرحبة .

بعد ذلك رحل سودي وعسكر حلب من حماه واستمر بهادر آص فترة مع عساكر دمشق في حماه الى ان ورد لهم الدستور فساروا الى دمشق [2] .

---

(١) المختصر ج٤ : ٦٤-٦٦ ، مهرجان ابي الفداء : ١٨٦ - ١٨٨ ، السلوك ج٢ ق١ : ١٠٧ - ١١٥

(٢) المختصر ج٤ : ٦٩ - ٧٠ ، السلوك ج٢ق١ : ١١٩ مهرجان ابي الفداء : ١٩٠ - ١٩١

تاريخ المماليك : ٥٥ البداية والنهاية ج ١٤ : ٦٦

## فتوح ملطية :

كانت ملطية تجمع سكاناً مسلمين ونصارى وقد اختلطت امورهم وقويت شوكة العيارين فيهم فكانوا يغيرون على القوات الاسلامية التي تذهب لمحاربة الاعداء من بلاد الروم ويغيرون على عياري المسلمين في غزواتهم لذلك قرر السلطان مهاجمة ملطية فأرسل جيشاً كبيراً لاحتلالها وارسل الى صاحب حماه ان يرسل عسكر حماه وان يبقى هو بحماه ثم رأى أن يوجه صاحب حماه ايضاً مع عسكره . ولما مر تنكز بحماه اعرض عن صاحبها لكونه لم يتلقه من بعد ولم يأكل ما اعده له من طعام . فاتجه ابو الفداء الى حلب بعد تأخر يومين بسبب كثافة العسكر واتجهوا نحو ملطية فلما وصلوها قسموا العسكر ميمنة وميسرة وقد خرج حاكمها من بابها القبلي وطلب الامان وقد خشي ابو الفداء من هجوم العسكر السلطاني على ملطية ونهبها اثناء مفاوضات الصلح اذ كان بابها الجنوبي مفتوحاً وهو باتجاهه واتجاه عسكره فاحتاط على الباب الا ان العسكر هجموا على المدينة ونهبوها ولم يبقوا فيها واخذوا اهلها اسرى واحرقوا المدينة وهدموا اما استطاعوا من اسوارها ثم عادت القوات الى مرج دابق حيث بقيت مدة ريثما تم الاتفاق مع (اوشين بن ليفون) صاحب بلاد سيس الذي زاد القطيعة التي كانت تدفع للسلطان الى الف الف دينار عندما عادت القوات الى حلب وعادت عساكر حماه الى حماه يوم الخميس تاسع ربيع الأول[1]

## الاغارة على بلاد سيس :

ارسل السطان مراسيم بالاغارة على بلاد سيس لتوقف صاحبها عن دفع ما تعهد به كل عام على ان تكون الحملة من العساكر الشامية فسارت دمشق في الفي فارس ومن حماه امراء الطبلخانات الذين فيها وانضمت اليهم عساكر حلب ودخلوا بلاد سيس فدمروا وقتلوا ونازلوا قلعة سيس ووصلوا الى بغراس في نهار السبت التاسع والعشرين من ربيع الأخر ثم عادوا الى حلب واقاموا بها مدة يسيرة حتى وصل المستور بعودتهم فعادت العساكر من حيث اتت[2] .

## فتوح اياس :

في سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة رفض صاحب سيس ارسال المبلغ السنوي فارسل له السلطان عساكر من مصر والشام والسواحل وقد شاركت غالبية عسكر حماه وتقدم العسكر نائب حلب وساروا الى

---

(١) المختصر ج٤ : ٧٤ - ٧٧ السلوك ج٢ ق١ : ١٤٢ - ١٤٤ / البداية والنهاية ج١٤ : ٧٣
(٢) المختصر ج٤ : ٨٨ ، مهرجان ابي الفداء : ٢٠٤ ، السلوك ج٢ ق١ : ٢٠٣

اياس من بلاد سيس وحاصروها وملكوها بالسيف وعصت عليهم القلعة فهاجموها براً واقاموا عليها منجنيقاً فهربت الأرمن منها بعد أن أحرقوها وقد ملك المسلمون القلعة نهار الأحد الحادي والعشرين من ربيع الآخر .(١)

## علاقة أبي الفداء مع السلطان في مصر :

حفظ ابو الفداء صنيع السلطان باعادة الملك للبيت التقوي على حماه وتابع سياسته نحو السلطان التي انتهجها اثناء وعود السلطان له بتمليكه حماه من الحرص على حسن التعامل والاستجابة للسلطان في كل طلباته واظهار الولاء دائماً وفي كل مناسبة . وقد استفاد ابو الفداء من تجربة خروج الحكم التقوي عن حماه بسبب الوفاة المفاجئة للملك المظفر الثالث محمود وعدم وجود ولي للعهد . لذلك بنى سياسته على تهيئة ابنه محمد ليستلم عرش حماه من بعده وان يمهد لذلك بتقريب ابنه من السلطان وتعريفه به في كل فرصة ومناسبة بانتظار اللحظة المناسبة التي يطلب فيها تعيين محمد ابنه خلفاً له على حماه على قاعدة اهل البيت التقوي .

## مسير أبي الفداء إلى مصر

خرج ابو الفداء من حماه متوجهاً الى مصر يوم الاثنين ثامن عشر ربيع الاول من سنة اثنتي عشرة وسبعمائة وقد ساق اثناء الطريق على البريد ووصل قلعة الجبل (بالقاهرة) للخدمة السلطانية يوم الاثنين العاشر من ربيع الآخر وقد تبعه ولده يوم الجمعة وقدموا التقدمة للسلطان يوم الجمعة خامس عشر ربيع الآخر .

صادف وصول أبي الفداء الى مصر مع القبض على بيبرس الدوادار نائب السلطنة وعلى جماعة من الأمراء . ولما حضر ابو الفداء لمجلس السلطان خلع عليه التشريف السلطاني المزركش وامر بنزوله في الكبش . فأقام به مدة وأثناء وجوده في القاهرة حضر افيضان النيل وتعيين المقر السيفي ارغون الدوادار في نيابة السلطنة .

وعندما اراد ابو الفداء العودة الى حماه خلع السلطان على مرافقي ابي الفداء الخلع واعطاه مركوب بسرجه ولجامه ومبلغ ثلاثين الف درهم وخمسين قطعة من القماش ،

والأهم من كل ذلك رسم أن يكتب له التقليد بمملكة حماه والمعرة وبارين تمليكا وذلك تقديراً لاخلاصه وجهوده في خدمة السلطان وحماية السلطنة بعد ان كان نائباً عن السلطان فيها .

وذلك في مرسوم كتب في الخامس والعشرين من ربيع الآخر سنة اثنتي عشرة وسبعمائة ١٣١٢م وينص المرسوم فيما ينص على تمليكه حماه «جميع المملكة الحموية وبلادها وأعمالها وماهو منسوب اليها»

(١) المختصر ج ٤ : ٩١ ، البداية والنهاية ج ١٤ : ١٠٢

وذلك بأن «وصل ملكه بملك أسلافه وسيبقى في عقبه ان شاء الله» أي وراثياً بعده وذلك «على عادة الشهيد الملك المظفر تقي الدين محمود» .

وبعد ذلك رسم السلطان لأبي الفداء بالعودة الى حماه فخرج من القاهرة يوم الثلاثاء ثاني جمادى الأولى ووصل دمشق حيث اكرمه نائبها الجديد سيف الدين تنكز الناصري . ثم تابع ابو الفداء مسيره إلى حماه فوصلها . واجتمع الناس وقرىء التقليد يوم الاثنين الثاني والعشرين من جمادي الأولى[1] .

كان وصول ابي الفداء الى حماه وقد خرج منها كافة الأمراء المماليك الذين كان يخشاهم والذين سيطروا على حماه اثناء غيابه عنها في مصر وقد شعر السلطان بثقل وجودهم على ابي الفداء رغم سؤاله عن ذلك وعدم اجابة ابي الفداء الا ان السلطان ارسل مرسوماً بنقلهم الى حلب مع ابقاء اقطاعاتهم التي في حماه لغاية التعويض عليهم عنها وقد ارسل المرسوم على البريد فوصل قبل ابي الفداء فخرج الامراء المماليك عن آخرهم وانتقلوا بأهلهم وجندهم وكانوا نحو اربعة عشر اميراً بعضهم بطبلخاناة وبعضهم امراء عشرات . ولم يبق في حماه سوى من اختار ابو الفداء مقامه عنده[2] .

## خروج المعرة عن حماه :

خلال التقاء أبي الفداء مع السلطان في دمشق ٢٣ محرم سنة ٧١٢هـ/ ١٣١٢م بحث معه امر تدخل الأمراء الذين كانوا في حماة وحولوا الى حلب عند استلام ابي الفداء لحماه والذين بقيت اقطاعاتهم في حماه. فقد كان هؤلاء مصدر ازعاج وخوف لأبي الفداء بسبب عدم توفر اقطاعات تفي حاجاتهم وبسبب توسع اقطاعاتهم بمراسيم جديدة في حلب وتداخل اقطاعاتهم بين حلب وحماه وانزعاجهم من الانتقال الى حلب مع أن اقطاعاتهم في حماه لذلك اتخذوا من التعنت والشكوى على ابي الفداء الى السلطان. وقد دابوا على الطلب من السلطان والسعي في ذهاب حماه من ابي الفداء وحاولوا الايقاع بين ابي الفداء والسلطان .

لذلك وجد ابو الفداء أن احسن حل لانهاء هذه المشكلة تخصيصهم بالمعرة وضمها لحلب فهو بذلك يحل المشكلة . صحيح ان ملكه ينقص المعرة ! إلا أنه يكسب حماه ويضمن بقاءه فيها .

وقد عارض السلطان في ذلك أول الأمر الا ان اصرار ابي الفداء جعله يقبل بهذا الحل لان السلطان رأى عدم انقاص ملك ابي الفداء فقال له : (ياعماد الدين ماأرضى لك بدون ماكان في يد عمك وابن عمك وجدك وكيف انقصك بحكم المعرة» . بعد ذلك كتب السلطان منشوراً بذلك باستقرار حماة وبارين بجميع حدودها وماهو منسوب اليها ويعطي أبا الفداء صلاحيات حددها بما يلي :

---

(١) المختصر ج٤: ٦٧ - ٦٩ مهرجان ابي الفداء : ١٨٨ - ١٩٠

(٢) المختصر ج٤ : ٦٩ ، ٧١ مهرجان ابي الفداء : ١٩٠

«ويتصرف في الجميع كيف شاء من تولية واقطاع اقطاعات الامراء والجند وغيرهم من المستخدمين من أرباب الوظائف وترتيب القضاة والخطباء وغيرهما ويكتب بذلك مناشير وتواقيع من جهته ويجري ذلك على عادة الملك المظفر تقي الدين محمود صاحب حماه» .

ثم يحدد حقه في تجنيد الجيوش بما يلي :

«ويقيم على هاتين الجهتين خمسمائة فارس بالعدة الكاملة من غير نقص» .

ويسقط السلطان الحقوق المتوجبة والاقطاعات المكتوبة للأمراء ويحصرها في المعرة :

«ويبطل حكم ما عليها من المناشير والتواقيع الشريفة والمساحات والمحسوب وكل ماهو مرتب عليها للأمراء والجند والعرب والتركمان وغيرهم بحكم الانعام بها على المشار اليه على قاعدة الملك المظفر صاحب حماه وتعويض الجميع عن ذلك بالمعرة وافرادها عن حماه وبارين» .وقد صدر هذا المرسوم في التاسع عشر من محرم سنة ثلاث عشرة وسبعمائة .

وقبيل مغادرة السلطان دمشق الى مصر تصدق على ابي الفداء بخلعه ثانية وانعم عليه بسنجق بعصائب سلطانية يحمل على الرأس في المواكب وغيرها وهو ما يختص به السلطان ولم يسبق ان حمله غيره. ثم اعطاه الدستور فعاد ابو الفداء بعيد سفر السلطان الى مصر وقد وصل ابو الفداء حماه يوم الاثنين مستهل صفر . [1]

## المسير الى الحجاز حاجاً :

طلب ابو الفداء دستوراً من السلطان بالتوجه الى الحجاز حاجاً فرسم له دستوراً بذلك .تجهز ابو الفداء واتجه بالهجن الى الكرك وجهز ولده والثقل مع الركب الشامي وقد ارسل السلطان له الف دينار عيناً برسم النفقة واعطاه مرسوماً باخراج السوقية من سائر البلاد الى الركب الحموي وان تسير جماله حيث شاء امام المحمل السلطاني او بعده .

خرج ابو الفداء من حماه يوم الجمعة رابع عشر شوال وسار بالخيل الى الكرك وركب الهجن هناك ورجعت الخيل والبغال الى حماه .وقد استصحب معه ستة رؤوس خيل واخذ معه عدة مماليك بالقسي والنشاب .وسبق الركب الى المدينة حيث وصلها يوم الجمعة العشرين من ذي القعدة .وقد قام بالزيارة خلوة وبقي فيها حتى لحقه الركب ثم سبقهم الى مكة فدخلها يوم السبت خامس ذي الحجة .ثم خرج الى عرفات ومنى واعتمر وعاد الى حماه عن طريق تبوك فوصل حماه حادي عشر محرم سنة اربع عشرة وسبعمائة .

وأثناء وجوده في الحجاز اسند اليه السلطان مهمة مساعدة قوات ارسلها السلطان بالرجال والمشورة في سبيل القبض على (حميضة) الذي طرد أخاه حاكمها الشرعي .وعين نفسه حاكماً عليها وعندما علم

مهرجان ابي الفداء : ١٩٣-١٩٤

(١) المختصر ج٤ : ٧١-٧٢

(حيفة) بهذه الأخبار توارى عن حكمه حتى غادرها الحجيج وقوات السلطان حيث عاد وصرف أخاه (ابا الغيث) فذبحه [1].

## المسير الى مصر وعودة المعرة الى مملكة حماه وخروجها ثانية

في سنة ست عشرة وسبعمائة اراد ابو الفداء ان يوصل بنفسه تقدمته للسلطان فطلب دستوراً بذلك فوردته الموافقة فسار من حماه بعد أن سبقه خيله فلحقهم على خيل البريد الى دمشق ثم تابع الى القاهرة فوصلها عشية نهار الأحد ثامن عشر جمادى الأولى وانزل في الكبش ثم حضر بين يدي السلطان في اليوم التالي وقدم الهدايا وقد منّ عليه السلطان بالكثير من الهدايا والخلع والرواتب اثناء وجوده في الكبش ثم رسم له ترتيب الاقامات من مصر الى حماه وقدم له حصانين .

ثم اعاد اليه المعره وقصبتها وكتب تقليداً بها وبعد مغادرته القاهرة تبعته هدايا أخرى من السلطان. وفي طريق العودة زار أبو الفداء حسب ترتيبات السلطان غزة والخليل والقدس ودمشق ثم وصل حماه فدخلها ليلة الخميس خامس رجب وقد دخلها ليلاً ليخفف عن أهل حماه الذين زينوا حماه واحتفظوا بالبسط لقدومه .

ولم يكن عسكر حماه فيها لانه ارسلهم الى حلب تنفيذاً لمرسوم السلطان وساروا الى حلب يوم خروجه من حماه ثم ذهبوا من حلب الى عين تاب وعادوا الى حماه في اول شعبان بعد قدوم صاحب حماه بشهر تقريباً .

وفي سنة ٧١٦هـ ارسل ابو الفداء صحبة لاجين تقدمة لطيفة ومملوكاً يسمى يلدز الى السلطان الذي قبلها وارسل هدايا بالمقابل الى ابي الفداء واعفاه ما على بضائع حماه مع كافة التجار في جميع البلاد ثم زاده عن المعرة بجملة غلال قرى وضاعف على صدقاته وقد وصلت هذه المراسيم والصدقات مع لاجين الى حماه في السابع والعشرين من شوال [2] ، الا ان المعرة لم تستقر بيد ابي الفداء فخرجت في السنة نفسها الى محمد بن عيسى الذي طلبها لنفسه كاساس لعودته للطاعة . وقد استجاب ابو الفداء وسلم المعرة الى نواب محمد بن عيسى .

طلب ابو الفداء في عام ٧١٨هـ/ ١٣١٨م الدستور بالحضور مع خيل التقدمة الى مصر وقد سبقته الخيل فلحقها الى غزة ثم تابع السير معهم الى قلعة الجبل وانزل في الكبش ، ورتب له الرواتب والثقل الزائدة عن كفايته وكفاية كل من هو معه من الأغنام والخبز والسكر وحوائج الطعام والشعير والتشريف والحصان المسرج المحلى بالذهب .

مهرجان ابي الفداء ١٩٤-١٩٥

(١) المختصر ج٤ : ٥٣-٥٤

(٢) المختصر ج٤ : ٧٨-٨٠ السلوك ج٢ق١ : ١٦٦ ، مهرجان ابي الفداء : ١٩٩-٢٠٢

وخلال اقامته اراد زيارة الاسكندرية فطلب دستوراً بذلك.فرتب له السفر الى الاسكندرية بالمراكب والعودة بالبر وارسل مع من بصحبته حراقتين حتى وصل الى الاسكندرية.وهناك وصلته الصدقات ومائة قطعة قماش من عمل الاسكندرية المشهور.وبعد اقامة عدة ايام عاد الى القاهرة حيث قدم له السلطان زيادة على المرة عدة قرى واعطاه التشاريف له ولمن معه وامره بالعودة الى حماه وقد عاد اليها ووصلها نهار الخميس مستهل شعبان (1) .

## الحج مع السلطان :

في سنة تسع عشرة وسبعمائة ١٣١٩م اراد السلطان ان يحج لبيت الله الحرام فأرسل الى ابي الفداء ان يحضر الى القاهرة . فركب ابو الفداء خيل البريد وبصحبته اربعة من مماليكه وقد غادر حماه يوم الجمعة سادس عشر شوال ووصل الى قلعة الجبل بين يدي السلطان نهار السبت الرابع والعشرين من شوال . واقام في القاهرة بدار القاضي كريم الدين حتى توجه السلطان الى الحج . وذلك يوم السبت ثاني ذي القعدة حيث توجه الى الحجاز وفي الطريق توقف لصيد الكراكي وكان ابو الفداء معه ثم توجه الى طريق الحاج المصري الى السويس وايلة ورابغ حيث احرم فيها وتوجه الى مكة ثم سار الى منى ثم الى مسجد ابراهيم ثم وقف بعرفات وافاض وقدم الى منى وقد كمل مناسك الحج .

ثم سار عائداً الى مصر وانعم الكثير على الأمراء الموجودين معه وهم يزيدون عن ستين اميراً وعلى الأجناد فكان اقل حصة جندي لا تقل عن ثلاثمائة درهم واقل حصة امراء العشرات ثلاثة آلاف درهم أما الأمراء أصحاب الطبلخانات فوصل بعضهم الى عشرين الف درهم وكانت التشاريف اكثر من ان تحصر . وكان لكل من مرافقيه في كل يوم في الذهاب والاياب ما يكفيه من عليف الخيل والماء والحلوى والسكر والبقسماط (كعك) فكان يفرق كل يوم اربعة الاف عليفة شعير .

وكان ابو الفداء في كل مراحل الرحلة مرافقاً للسلطان ويحظى بوافر اعطياته وإهدائه الذي شمل بعض ما يصيده من غزلان وكراكي . وبلغ من اكرامه ان قال لأبي الفداء ان يعود معه الى القاهرة لينصبه سلطاناً وبعدها يذهب لحماه الا ان ابا الفداء حاول الاعتذار حتى لا يكون في البلاد سلطانان .

بعد الوصول الى القاهرة أُنزل إبو الفداء في دار القاضي كريم الدين داخل باب زويلة . وتقدم مرسوم السلطان بارسال شعار السلطنة الى ابي الفداء وذهب برفقة الأمراء والأعيان الى القلعة حيث قابل السلطان وقد اطلق عليه لقب الملك المؤيد ثم اعطاه دستوراً بالعودة الى حماه فتوجه على خيل البريد وقبيل وصوله الى حماه استقبلته جموعها والأمراء والقضاة ودخل حماه بشعار السلطنة بعد ان قرىء تقليد السلطنة وكان ذلك في يوم السبت السادس والعشرين من المحرم سنة عشرين وسبعمائة/ ١٣٢٠م (1)

(1) المختصر ج٤ : ٨٣-٨٥، مهرجان ابي الفداء : ٢٠١-٢٠٢

(1) المختصر ج٤ : ٨٥-٨٨ السلوك ج٢ ق١ : ١٩٥ - ٢٠٢ مهرجان ابي الفداء ٢٠٢ - ٢٠٤

وفي سنة ٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م ارسل السلطان الى محمد بن ابي الفداء تشريفاً وأمر له بمبلغ وستين فارساً لخدمته طبلخاناه فركب محمد الذي بلغ من العمر تسع سنوات بالتشريف بحماه يوم الاثنين الخامس من رجب [1] . وبذلك حصد ابو الفداء اولى ثمرات جهده في تقديم ابنه للسلطان تمهيداً لتمليكه حماه من بعده .

وجاء مرسوم من السلطان الى ابي الفداء سنة ٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م بارسال عسكر حموي إلى الرحبة لحفظ زرعها من العرب وامرائهم فجرد اليها بدر الدين حسن أخاه ومحمود بن اخيه اسد الدين عمر ومملوكه اسنبغا وقد قاموا بحفظ الزرع .

إلا ان اخاه بدر الدين حسن مرض عند عودته من هذه المهمة (في الرحبة) واشتد مرضه (حمى بلغمية) فتوفي نهار الثلاثاء مستهل ذي الحجة عن عمر يناهز السابع والخمسين من العمر وهو اكبر من ابي الفداء بثلاث سنوات،وقد اصبح ابو الفداء ولي امر ابنه البالغ من العمر ثلاث سنوات وأقام لأهل اخيه نواباً يباشرون امورهم .

ثم مرض محمود ابن اخيه اسد الدين عمر أيضاً وتوفي يوم الاحد ثالث عشر ذي الحجة عن عمر ستة وثلاثين عاماً .

كذلك وصلت لأبي الفداء هدية من السلطان عبارة عن حصانين احدهما بسرج ذهب له والآخر بسرج من فضة لابنه محمد . وهذا يؤكد ان السلطان محمد بن قلاوون بدأ في الاهتمام بابن ابي الفداء محمد الذي اخذ والده في تقديمه وابرازه تمهيداً لتمليكه من بعده [2]

## السفر الى مصر :

ارسل السلطان مرسوماً الى ابي الفداء للحضور الى مصر لمرافقته في الصيد فخرج ابو الفداء ومعه ابنه محمد ونزلا في بلبيس في قرية تسمى عيثه وفيها مرض ابنه محمد مرضاً شديداً حتى شارف على الموت ورغم ذلك فقد تابع ابو الفداء سيره حتى وصل بير البيضاء ورغم اكرام السلطان الزائد لابي الفداء إلا انه كان مشغولاً بابنه وقد سار الركب السلطاني إلى سرياقوس .

احضر السلطان رئيس الأطباء وهو (جمال الدين ابراهيم بن أبي الربيع المغربي)، واخذ في مساعدة ابي الفداء في معالجة ابنه محمد حتى تحسن قليلاً وتوجه الجميع الى القاهرة وبقي ابو الفداء في القاهرة الصيف بطوله وما انقطع السلطان عن السؤال عن ابن ابي الفداء واعذاره بسبب تغيبه عنه لمرض ابنه .

---

(١) المختصر ج٤ : ٩٠ مهرجان ابي الفداء : ٢٠٦

(٢) المختصر ج٤ : ٩٥ ، مهرجان ابي الفداء : ٢٠٨ - ٢٠٩

ثم خلع على ابي الفداء وابنه محمد الخلع الكثيرة وهدايا كثيرة وثلاثة الاف دينار مصري ورسم له دستوراً بالعودة الى حماه . فتوجه ابو الفداء الى حماه وقبل دخوله حماه توفيت والدته يوم الخميس حادي وعشرين ربيع الأول وهو قريب حمص فلم يرها ولم يحضر وفاتها [1] .

## زيارة القدس :

بعد رجوع ابي الفداء الى حماه بمدة يسيرة طلب دستوراً من السلطان لزيارة القدس . فرسم له السلطان بذلك فتوجه من حماه يوم الثلاثاء سلخ جمادى الأولى الى بارين فبعلبك والى الكرك ثم انحدر الى الساحل ونزل في بيروت ثم صيدا وصور فعكا ثم القدس والخليل ومنها عاد الى حماه حيث دخلها يوم السبت خامس وعشرين جمادى الآخرة .

وبعد وصوله حماه وصلته هدايا وخلع السلطان وخيل له وآخر لابنه محمد الذي اصبح له حصة دائمة من عطيات وهدايا السلطان .

كما وارسل ابو الفداء التقدمة للسلطان من خيل وغيرها كما جرت العادة بذلك [2]

بقي ابو الفداء في عيشه الهادىء هذا حتى انه كتب في تاريخه عن اوائل سنة تسع وعشرين وسبعمائة «ولم يبلغني في اوائلها ما يليق أن يؤرخ» [3]

## وفاة ابي الفداء :

في الثامن والعشرين من محرم من سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة توفي الملك المؤيد اسماعيل بن علي الملقب بابي الفداء عن عمر بلغ ستين عاماً وذلك بعد مرض ألم به .

وكان ابو الفداء قد تنبأ بانه لن يبلغ الستين من العمر شانه في ذلك شان جميع افراد اسرته [4] . وقد دفن في مسجده الذي بناه سنة سبع وعشرين وسبعمائة وهو ما يعرف باسم مسجد الحيات والذي مازال قائماً في حماه حتى الآن .

تولى الحكم من بعده ابنه محمد الذي جهد والده في ابرازه تمهيداً ليستلم حكم حماه من بعده وكان محمد في العشرين من عمره .

---

(١) المختصر ج٤ : ٩٧-٩٨ ، مهرجان ابي الفداء ٢٠٩ - ٢١٠

(٢) المختصر ج٤ : ٩٨ ، مهرجان ابي الفداء ٢١٠ - ٢١١

(٣) المختصر ج٤ : ١٠٣ - ١٠٤ ، مهرجان ابي الفداء : ٢١١ - ٢١٢

(٤) المختصر ج٤ : ١٠٤ ، مهرجان ابي الفداء مقال حميدة : ١٤ ومذكرات ابي الفداء فيه : ٢١٢ السلوك ج٢ ق٢ : ٣٥٤ ، شفاء القلوب : ٤٥٨ ، البداية والنهاية ج ١٤ ، ١٥٨ ، النجوم الزاهرة ج ٩ : ٢٩٢ - ٢٩٤

## أعمال ومنجزات أبي الفداء

تنبع عظمة ابي الفداء من شخصيته المتزنة وتخطيطه الواضح . وهو صاحب همة عالية وطموح كبير مع اصرار وعناد وعدم قبول بالحلول الوسط الاعلى اساس مرحلي ضمن مخطط اصر على تنفيذه ونجح في التخطيط والاسلوب والتنفيذ .

فابو الفداء عالم ومؤرخ عرف العلم وقدره ودرس التاريخ والف فيه اضافة الى ذلك عرف اهمية الجغرافيا وتوجيهها للتاريخ في عصره .

عرف إمكاناته وإمكانات مملكة حماه التي يعيش فيها واصبح حاكماً لها وعرف الأدوار والاتجاهات السياسية المعقدة التي فرضتها ظروف العصر على حماه وما حولها وعلى المنطقة باسرها .

درس سياسة من سبقه ، وعرف طريق النجاح ودرب الفشل، عرف اخطاء الماضي واخذ منها دروس المستقبل وعلى هذا الاساس وضع مخططه ومن هدى الواقع درج في تنفيذ المخطط وكانت النتيجة المنطقية نجاحه المستمر وتحقيقه لما لم يستطع احد ان يحققه من البيت التقوي .

فرغم سقوط المماليك الأيوبية باسرها وخروج مملكة حماه عن الحكم التقوي الأيوبي ، ورغم الاتجاه المنطقي للأحداث ومسيرة التاريخ ، الا انه استطاع معاكسة مسيرة الأحداث والرجوع الى الوراء ، واعادة الحكم التقوي الأيوبي الى حماه، (ان جاز لنا هذا التعبير) .

فطموحه واصراره على الحكم في حماه رغم وجود اخ اكبر منه له الحظ الأوفر في استلام الحكم من عمها المتوفى فجأة دون وريث أو وصية أو تخطيط لمشكلة وراثة العرش. الا ان ابا الفداء اصر رغم المحاولات المستمرة لحل النزاع بينه وبين اخيه الأكبر على ان يكون الحكم له . ونرى ان الحكم قد عاد له ولو استطعنا تصور عودة الحكم الى اخيه بدلاً منه فان المنطق يفرض علينا الاعتقاد بعدم استمرارية عودة الحكم الى الأسرة الأيوبية وبقاءه تلك الفترة الطويلة من حياة ابي الفداء . لان ظروف العصر توجب وجود حاكم قوي قادر سياسي محنك وهو أمر يفتقده أخوه وكثير من الحكام والأمراء الذين عاصروه .

وأدرك ابو الفداء ان سياسة عمه بموالاة مصر ومن فيها (أياً كان الحاكم فيها) تنم عن ادراك عميق وسليم لمجرى الأحداث وسيرها الطبيعي . لذلك اتخذ من هذا الولاء سياسة ومنهجية اوصلته الى اشياء لم يصل اليها اي من سابقيه ممن تولوا حكم حماه .

كذلك ادرك ابو الفداء ان الطريقة المثلى لتنفيذ مخططه تكمن في الشرعية والمحافظة على الشرعية والبقاء في ظلها وعدم التسرع . وهذا ما نستشفه من اعماله وكتاباته (في المختصر) .

كذلك نجده طويل البال في انتظار وصول الحكم إليه وتأكده من ذلك .

وهو أيضاً يدافع عن الشرعية (خوفاً أوتقرير أمر واقع) فهو يعذر السلطان محمد بن قلاوون في
تأخره بانجاز وعوده باعطاء حماه له . كذلك يعذره في اخذ المعرة منه مرتين متتاليتين .

وبعد وصوله للحكم يتابع خطته السياسية في الولاء للحاكم بمصر.فهو يدافع عن السلطان
محمد بن قلاوون في محنته.ويفرح في عودته للحكم بعد أن شارف على السقوط . ويتابع اتخاذ سياسة
النفس الطويل والالتزام الجدي.فهو لا يقطع مناسبة لابداءولائه ويندفع في كل المناسبات لتثبيت هذا
الولاء وتأكيده في الرسائل والهدايا والالتزامات والزيارات .

وكانت حصيلة خطته هذه ان اعطي حماه نيابة ثم تمليكا واخيراً سلطنة .

وقد اخذ ابو الفداء عبرة من خروج حماه بعد وفاة عمه وادرك اهمية تعيين الخلف وتوثيق هذا
التعيين لذلك اتخذ سياسة تقديم ابنه ناصر الدين محمد في كل مناسبة للسلطان محمد بن قلاوون ومحاولته
احلاله وتوثيق صلاته مع السلطان في مصر وقد اثمرت هذه السياسة.فنرى ان السلطان في مصر يرسل
الهدايا لابنه ناصر الدين محمد.وكانت النتيجة تقديم حماه بشكل طبيعي الى الابن بعد وفاة الأب وبقاء
البيت الأيوبي في حماه ، ولو ان هذا البقاء كان يتطلب شخصية قوية مثل ابي الفداء ولم تكن هذه
الشخصية ممثلة بشكل جيد بابنه ناصر الدين محمد أوحفيده ، ونظراً لتغيير الظروف ايضاً ، خرجت حماه
عن البيت الايوبي التقوي رغم بقائه في عكس التيار مدة تقارب نصف قرن .

## ٢ ـ مآثره العمرانية :

تمتاز فترة حكم ابي الفداء في حماه بالاستقرار النسبي والاستمرار الحضاري مع فسحة زمنية لحكمه
امتدت نحو ربع قرن (٧١٠ ـ ٧٣٢) هـ (١٣١٠) ـ ١٣٣١م)وقد انعكس هذا على المدينة وعمرانها بما
يتناسب مع شخصيته وطموحاته وحبه للخلود والبناء .

وقد ترك ابو الفداء آثاراً عمرانية بحماه تجعل نسبةحماة له (مدينة ابي الفداء) في محلها . وهذه
الآثار منها مندثرة نتلمس اوصافها من كتب التاريخ ومنها ماهو باق حتى اليوم .

أ) آثاره المندثرة : وهي القبة والمربع والحمام فوق ساقية نخيله وهي الساقية التي كانت موجودة على الضفة
الشمالية لنهر العاصي . وهي امتداد لساقية ناعورة الدهشة التي تسقي بستان الدهشة بموقع باب النهر
والتي تنتهي بقطعة ارض منسوبة للحمام تعرف باسم (الحمام) وتغطي معظم مساحتها اشجار الجوز
وتربتها مزيج من تراب ورماد وقصرمل دلالة واضحة على مكان الحمام .

أما المربع وهو منزل القوم في الربيع والمراد به هنا القصر الذي يسكن في فصل الربيع في منطقة
تجمع النهر والازاهير والأطيار والنواعير.وقد وصفها ابو الفداء وانها جاءت من انزه الأماكن، وأطلق على
هذا القصر اسم (الدهشة) لما يصاب به الانسان حين يراه من دهشة لما كان يشاهده من جمال موقع واحكام
بناه وحسن هندسة وبديع زخرفة .

وكان هذا القصر موضع الحديث والمباهاة في مصر وبلاد الشام لذلك وصفه الشعراء واخذ عنه الأمراء .

فقال صفي الدين الحلي في قصيدة رثاء الملك ابا الفداء :

اذا ذكرت حمى العاصي وملعبه والقصر والقبة العليا بمرقبه [1]

وذكر القصر أيضاً تقي الدين بن حجة الحموي في قصيدة يمدح فيها قاضي القضاة تقي الدين ابا بكر الخيثمي الحموي فيقول :

يروق امتداد الجسر والقصر فوقه فيحلو طباق العيش بالمد والقصر

وقد أخذ اسماعيل بن محمد بن قلاوون عن هذا القصر وبنى قصراً مشابهاً له في مصر اتخذ نفس الاسم وصفه المقريزي في خططه فقال :

والدهشة من دور القلعة بمصر ، عمرها السلطان الملك الصالح عماد الدين اسماعيل بن محمد بن قلاوون في سنة ٧٤٥هـ ، وذلك انه بلغه عن الملك عماد الدين ابي الفداء صاحب حماه انه عمر بحماه دهيشة لم يبن مثلها ، فقصد مضاهاته وبعث ... المهندسين لكشف دهيشة حماه ... » [2]

اما القبة فقد تكون من المربع (القصر) او منفردة عنه وعلى الغالب كانت قريبة منه . وربما كانت الحفريات التي تمت عام ١٩٥٨ في المرتفع المطل على موقع باب النهر والدهشة من الشمال بحذاء جامع ابي الفداء من الشمال الغربي والتي اظهرت بقايا أسس بناء من حجر وآجر وعليها طلاء ودهانات لها علاقة مع القبة [3] .

وقد اشار ابو الفداء الى بناء هذه المجموعة في حوادث سنة ٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م في كتابه المختصر[4]

ب) آثاره الباقية :

وهي جامع ابي الفداء أوجامع الحيات ثم الجناح الشرقي - الروشن - من الجامع النوري بحماه .

١ - جامع ابي الفداء أو جامع الحيات :

وقد سمي جامع ابي الفداء نسبة الى بانيه وسمي باسم جامع الحيات لتشابك ثمانية اضلاع في كل من عضادتي شبابيك حرمه المطلة على العاصي على شكل الأفاعي . وسمي كذلك باسم جامع الدهشة

---

(١) مهرجان ابي الفداء : قدري الكيلاني : ٢٦٠ - ٢٦١

(٢) الخطط المقريزية ج٣: ٣٤٤

(٣) مهرجان ابو الفداء : قدري كيلاني : ٢٦١

(٤) المختصر ج٤ : ٩

لجمال بنائه وروعة موقعه اللذين كانا يدهشان الناظر المتأمل إليه . وقد وجدت في سجلات المحكمة الشرعية بحماه ما يشير الى وجود اوقاف لهذا الجامع في قرية براق (١٥ كم جنوبي حماه)[١] . ولا ندري هل هذه الأوقاف تعود لعهد ابي الفداء ام استجدت بعده .

بدأ ابو الفداء في بناء هذا الجامع حسب نص ورد على احد دعائمه في شهور سنة سبع وعشرين وسبع مائة/ ١٣٢٦م وقد اختار ابو الفداء موقع الجامع فوق التربة المظفرية التي دفن فيها جده ومؤسس البيت التقوي الأيوبي بحماه الملك المظفر الأول تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن ايوب المتوفى سنة ٥٨٧هـ/ ١١٩١م .

وقد اراد ابو الفداء على ما يبدو أن يكون في هذا الجامع مقره الأخير ومدفناً له بدليل اقامته فوق قبر جده الأعلى مؤسس مملكة اسرته . وهذا ما كان فعلاً بعد وفاته . يتألف الجامع من الحرم واروقة ثلاثة حول باحة تنتصب فيها قبة ضريح ابي الفداء . وابعاد الحرم المستطيل (٢٧×١٠م) فيه اربعة مداخل واعمدته وبناؤه مزين بالرخام والفسيفساء وفيه كتابات كثيرة من آيات ونصوص من بانيه وتجديده .

أما الأروقة الثلاثة فهي محدثة في الجانب الشمالي مدخل الجامع القديم .

وفي هذا البناء ضريح ابي الفداء وهو من الرخام .

وللجامع مئذنة مثمنة على قاعدة مربعة من حجر كلسي ملتصقة بقبة الضريح .

## ٢ ـ الروشن في الجامع النوري ـ الجناح الشرقي :

وهو يقوم على بقايا دير قديم يسمى (دير قزما) ضمن بقعة غناء تطل على العاصي ونواعيره بين قصر العظم وقصر الطيارة . والبناء يتألف من مستطيل ابعاده ١٥,٥×١٠م يشكل بلاطتين متلاصقتين تتوضع عليهما القباب.في النصف الأول أربع قباب متباينة في الشكل والهندسة وفي النصف الثاني المطل على العاصي ثلاث قباب .

وقد أنشأ ابو الفداء هذا الروشن ليكون معهداً علمياً ودينياً وبقيت الدراسة فيه لعهد قريب . وله اوقات تكفيه[٢] (ذكرت احدى النقوش في الروشن انها في كل سنة خمسة عشر الف درهم) وللروشن حوض ماء سبيل[٣] .

وكنا قد ذكرنا قيام ابي الفداء بالخروج لتنظيف القناة الواصلة ما بين سلمية وحماه بعسكره وامرائه .

(١) سجلات المحكمة الشرعية بحماه لعام ١٠١٥هـ
(٢) عن سجلات المحكمة الشرعية بحماه لعام ١٠٢١ هـ
(٣) مهرجان ابي الفداء : قدري الكيلاني ٢٦٤ ـ ٢٦٦

## ٣ ـ مآثره العلمية :

اصبحت حماه في عهده محجاً للعلماء والأدباء فهي تعود لملك عالم ومحب للعلم ووارث للعلم ومحبيه . فحماه في ظل الحكم التقوي كما سنرى تفصيل ذلك في بحث الحياة الثقافية كانت تشكل مركزاً علمياً مهماً في بلاد الشام . فمعجم البلدان والمختصر في اخبار البشر من وضع ملكها والفية ابن مالك وضعت فيها وقيل انه لم يجتمع في بلاط حاكم من الحكام من العلماء والأدباء والشعراء بعد سيف الدولة كمثل ما اجتمع في بلاط ابي الفداء [١] . ومما يذكر عن اسهاماته في ميدان الثقافة مسارعته لارسال الكتب والهدايا الى الخانقاه التي انشأها السلطان محمد بن قلاوون على طريق الشام بالقرب من العريش والتي انزل فيها السلطان جماعة من الصوفية [٢] . وقد كان ابو الفداء يولي العلماء والأدباء ومؤلفاتهم وكتبهم ومصيرها بعدهم اهمية خاصة في كتابه المختصر مما يعكس اهتماماته [٣] .



(١) مهرجان ابي الفداء : احسان العظم : ١٧٧ ـ ١٨٥

(٢) المختصر ج٤ : ٩٢-٩٣

(٣) انظر على سبيل المثال نقله هذه الأخبار في المختصر ج٤ : ١٠٠ ـ ١٠١

# الفصل السادس

## الملك الأفضل ناصر الدين محمد

(٧٣٢ - ٧٤٢)هـ

(١٣٣١ - ١٣٤١)م

ونهاية مملكة حماة الأيوبية

### ١) الملك الأفضل ناصر الدين محمد :

كان ابو الفداء يعد ابنه ناصر الدين محمد لاستلام الحكم بعده في حماه وقد بدأ يبرز ابنه للحلبة السياسية ويحاول تدريبه واعداده من جهة ويحاول تقديمه للسلطان واكثار احتكاكه به من جهة ثانية .

لذلك كان الأمر مهيئاً لناصر الدين محمد بن ابي الفداء لاستلام زمام الحكم في مملكة ابيه مذ بدأ بعد وفاة ابيه ابي الفداء سنة ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م وسمي من السلطان الحاكم في مصر وبلاد الشام بالسلطان الملك الأفضل ناصر الدين . وذلك على قاعدة ابيه وكان عمره عشرين سنة .

وفي ربيع الآخر من نفس العام ركب الملك الأفضل بشعار السلطنة بالقاهرة وبين يديه الغاشية ونشرت العصائب السلطانية والخليفية على رأسه . وبين يديه الحجاب وجماعة من الامراء وفرسه بالرقبة وبالشبابة وصعد القلعة على هذا الشكل .

وتبقى حوادث حماه وملكها يسيرة عادية وذلك لاستقرار حكم السلطان محمد بن قلاوون ولرتابة الأحداث . ولضعف مكانة حماه في الأحداث بعد وفاة ابي الفداء وعدم استطاعة ولده ان يحل محله في وزنه وتأثيره على الأحداث.وهناك سبب آخر هو فقد المؤرخ الذي كان يمدنا باخبار حماه الخاصة وعن ابو الفداء.فان ذيل تاريخه لابن الوردي يتحول عن التاريخ (بمعناه العلمي) الى تدوين بعض اخبارية شغلت الوفيات معظم الصفحات . ولعدم ذكر اخبار حماه وملكها في الكتب المعاصرة لعروشها وخروج صاحبها عن دائرة الضوء .

ففي ذي القعدة من سنة اربع وثلاثين وسبعمائة استطاع صاحب حماه الملك الافضل التوسط بين امير العرب مهنا بن عيسى والسلطان محمد بن قلاوون وان ينهي الخلاف والشقاق الذي وقع بينهما والذي دام سنين طويلة وجر على الطرفين الكثير من الحروب والويلات والمطاردات .

وقد توجه مهنا بن عيسى امير العرب مع الملك الأفضل صاحب حماه الى مصر فاقبل السلطان على مهنا وخلع عليه وعلى اصحابه مائة وستين خلعة ورسم له بمال كثير من الذهب والفضة والقماش واقطعه عدة قرى وعاد كل منهما الى اهله [١] .

ولعل أهم حدث جرى في حماه في زمنه احتراق مائتين وخمسين حانوتاً فيها. وذهبت الأموال وكان بدء الحريق عند الفجر الى طلوع الشمس [٢] .

وذكر ان شخصاً رأى ملائكة يسوقون النار فجعل ينادي امسكوا يا عباد الله لا ترسلوا فقالوا بهذا أمرنا. ثم ان الرجل توفي لساعته ولا يعرف حقيقة النار وسببها وما ذكر من غيبيات لاتثبت شيئاً . إلا ان الملك الأفضل اهتم في عمارة ما حرق من حوانيت حماه .

وحاول ملك حماه اتباع سياسة أبيه في التقرب من السلطان في مصر فقام بزيارته واحتفل به كثيراً [٣]

اشترك عسكر حماه دون اشتراك صاحبها في حملة شنتها القوات الاسلامية على بلاد سيس (الأرمن) .

ففي شهر رمضان من سنة سبع وثلاثين وسبعمائة ١٣٣٦م وصلت الى حلب القوات المصرية بقيادة الحاج ارقطاي ومعهم عسكر دمشق وكان مقدمهم قطليغا الفخري وعسكر طرابلس ومقدمه بهادر عبدالله . وعسكر حماه وكان مقدمهم الأمير صارم الدين أزبك . وقد استلم القيادة العامة (ملك الأمراء بحلب [٤]) علاء الدين الطنبغا .

وصلت القوات الى بلاد سيس بقيادة علاء الدين في ثاني شوال ونزل على ميناء اياس وحاصرها ثلاثة ايام ثم قدم رسول الأرمن من دمشق ومعه كتاب نائب الشام بالكف عنهم على ان يسلموا البلاد والقلاع الى شرقي نهر جحان. فتسلموا منهم ذلك وكانت الاراضي المسلمة كثيرة وكبيرة مثل المصيصة وكوبيرا والهارونية وسرفندكار وآياس وباناس ونجيمة والنفير وغيرها .

وقد هدم المسلمون برج اياس الذي في البحر وعينوا على المناطق المفتوحة المذكورة نواباً وعادوا في شهر ذي الحجة [٥] .

---

(١) المختصر ج٤ : ١١٣ السلوك ج٢ ق٢ : ٣٧٣-٣٧٤ .
(٢) المختصر ج٤ : ١١٥-١١٦ .
(٣) السلوك ج٢ق٢ : ٤٠٣ .
(٤) ملك الأمراء لقب كان يتخذه نواب السلطنة المملوكية بالشام .
(٥) المختصر ج٤ : ١١٩ ، السلوك ج٢ق٢ : ٤١٨ و ٤٢٨ - ٤٣٠ .

وأثناء هذه الحملة توفي الأمير صارم الدين أزبك المنصوري الحموي مقدم عساكر حماه في منطقة قريبة من اياس وحمل الى حماه فدفن بتربته وكان ممن ساهم في تحمل اعباء الحكم في مملكة حماه ويذكر له انشاء خان للسبيل بمعرة النعمان شرقيها وعمل عنده مسجداً وسبيل ماء [1] .

واسترضاءاً لأهل حماه قام صاحبها بالتعيين لقضاء الحنفية جمال الدين عبدالله بن القاضي نجم الدين عمر بن العديم بعد عزل القاضي تقي الدين بن الحكيم . وقد آثر صاحب حماه الا ينقطع القضاء من هذا البيت بحماه لما حصل لأهل حماه من مسرة وتقدير لأقضية هذه الأسرة . وخلع عليه صاحب حماه [2] .

## رحلة الصيد المشؤومة :

في شعبان من سنة تسع وثلاثين وسبعمائة ١٣٣٨م خرج صاحب حماه الملك الأفضل برفقة نائب الشام تنكز للتصيد في المملكة الحلبية وقد رافقتهم حريم وحظايا وحشم خدم ولحق الفلاحين والرعية من ذلك اضرار كثيرة . وقد جرت مباريات رماية بالبندق وكان من نتيجتها اعادة بدر الدين محمد بن علي المعروف بابن الحمصي رامي البندق المشهور الى منزلته من الرماية بعد ان كان قد اسقط على عادتهم واسقطوا من كان اسقطه [3] . وكانت هذه الرحلة من اسباب عزل صاحب حماه عنها ونفيه للشام بسبب الاستياء الشعبي الذي سببته رحلة الصيد هذه . لذلك نجد ان الأمير تنكز نائب الشام يعبر عن استيائه اثناء سفره من دمشق يريد بلاد سيس لكشف البلاد التي وهبه اياها السلطان محمد بن قلاوون اثر الفتح الأخير لبلاد سيس وقد عبر حماه ، ينادي بأهلها الا يقف احد لملك الأمراء (تنكز) بقضية (شكوى) على صاحب حماه . ومن كان له حاجة فعلية بصاحب حماه مباشرة ، وذلك تفادياً لانفجار شعبي . وقد خلع على صاحب حماه [4] خلعة على العادة المتبعة في عصره مراعاة لآداب السلوك فقط .

## فقدان السند الأخير وحكم النفي :

في سنة احدى واربعين وسبعمائة/ ١٣٤٠م اول ليلة الخميس حادي عشر من ذي الحجة توفي السلطان الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون الصالحي وله ستون سنة . وقد عهد لولده السلطان الملك المنصور ابي بكر [5] وبوفاته فقد صاحب حماه آخر سند فعلي له في مصر والشام . لذلك

(١) المختصر ج٤ : ١١٩

(٢) المختصر ج٤ : ١٢٣

(٣) المختصر ج٤ : ١٣٠

(٤) السلوك ج٢ق٢ : ٤٦٧

(٥) المختصر ج٤ : ١٣٤، السلوك ج٢ق٢ : ٥٢٣ ومابعدها والمقريزي يحدد عمر السلطان بسبع وخمسين سنة واحد عشر شهراً . البداية والنهاية ج ١٤ : ١٩٠ النجوم الزاهرة ج ١٠ : ٣ وما بعدها .

قام توصون بعزل الملك الأفضل محمد بن السلطان الملك المؤيد صاحب حماه ونقله الى دمشق وجعله أميراً من جملة امرائها بعد ان حكم حماه عشر سنين [1] . وذلك لكثرة الشكاوى ضده ولتغير سيرته وتغير ما كان فيه من الزهد [2] . وكنا ذكرنا محاولة تنكز تفادي الشكاوى التي توقع وصولها إليه اثناء مروره من حماه على صاحبها وقد أنعم توصون عليه بتقدمة الف في دمشق .

وبذلك انتهت مملكة حماه الأيوبية وانتهى حكم البيت التقوي وانزلت مرتبة حماه من مملكة الى نيابة وقد اسندت نيابتها الى مملوك ابي الفداء سيف الدين طقزتمر [3] .

وبعد ان اقام الأفضل صاحب حماه المعزول بدمشق أميراً من امرائها مدة يسيرة توفي في ليلة الثلاثاء حادي عشر ربيع الآخر عن ثلاثين سنة [4] . وقد نقل جثمانه الى تربته بحماه وخرج نائبها للقاء تابوته وحزن عليه وحلف انه ما تولى حماه الا رجاء أن يردها الى الأفضل مكافاة لاحسان أبيه [5] . ويعزو الحنبلي في كتابه شفاء القلوب خروج حماه عن الملك الأفضل الى طقزتمر هذا لانه كان يسأل السلطان الملك المنصور حماه [6] . لتكون له .

وقد دفن الملك الأفضل الى جوار أبيه في جامع ابي الفداء المسمى جامع الحيات بمحلة الجسر .

## ٢) أسباب خروج حماه عن الحكم التقوي ونهاية مملكتها الأيوبية :

استطاع ملوك حماه البقاء على استقلالهم وملكهم بسبب سياستهم الواعية التي اخذت جهة موالاة من في مصر بعد أن ثبت ان القوة السياسية في ذلك العصر هي لمصر ومن بها .

ورغم انقضاء الممالك الأيوبية وتحول الوجهة السياسية عموماً عن الممالك وانفراد السلطان المملوكي بمصر بالسلطنة والملك وبقاء المناطق التابعة له بادارة نوابه . فان حماه نتيجة جهود وسياسة وحنكة ملوكها بقيت معاكسة لهذا التيار . فما ان خف تأثير الملك الافضل محمد على السلطان بمصر حتى كانت نهاية مملكة حماه .

فما هي الظروف التي كانت سبب نهاية مملكة حماه الايوبية اضافة للسبب الناتج عن سياسة عامة لحكم المماليك بانفرادهم بالسلطان .

فقد رأينا أبي الفداء يحاول بكل طاقاته وضمن اطار الشرعية ان يعيد حماه للبيت التقوي بعد

---

(١) في النجوم الزاهرة عشرين سنة وهو خطأ ربما من الناسخ . انظر ج١٠ : ٧٦

(٢) المختصر ج٤ : ١٣٦ ، النجوم الزاهرة ج١٠ : ٧٥-٧٦

(٣) المختصر ج٤ : ١٣٦

(٤) النجوم الزاهرة ج١٠ : ٧٥-٧٦

(٥) المختصر ج٤ : ١٣٦

(٦) شفاء القلوب : ٤٦٤-٤٦٥ وهو يعز وتاريخ عزل الملك الأفضل سنة ثلاث واربعين وسبعمائة وهو خطأ

خروجها منه وما ان نجح في ذلك حتى نراه يحاول اظهار ابنه الملك الافضل محمد على ساحة الضوء ليتسنى له مستقبلاً استلام الحكم من بعده وقد نجحت خطة ابي الفداء واستلم الملك الأفضل محمد الحكم بعد ابيه نتيجة مساعي والده والصداقة المتينة التي ربطته مع السلطان وبالتالي تأييد السلطان له ولابنه من بعده .

مات السلطان محمد بن قلاوون ضمن ظروف فوضى ناتجة عن صراع المماليك في القاهرة بعيد انتهاء فتنة وظلم (النشو) واستلام الابن السلطان الملك المنصور ابي بكر الذي لم تكن لتجمعه مع الملك الأفضل اية صلة أو صداقة ، لذلك فان الشكاوي التي كانت ترد الى نائب السلطنة بالشام وهو المسؤول عن ملوك وأمراء الشام والتي وصلت الى مصر وكان الناظر فيها كما رأينا توصون الذي قوي مركزه بمصر كثيراً بعد انتهاء فتنة (النشو) وظلمه.وهذه الشكاوى التي تأيدت وقويت نتيجة تغير وسوء معاملة الملك الأفضل في حماه لشعبه وابتعاد الرعية عنه . فكانت من أهم أسباب عزله . يضاف الى ذلك طمع المماليك المتنفذين بحكم حماه . كل هذه الأسباب مضافة الى سوء سياسة الملك الافضل وعدم استطاعته تقوية اواصر الصلة بمن في مصر من سلاطين وأمراء ومماليك جعل خلعه عن حماه يتم بسهولة كبيرة ودون أي تعويض على جاري عادة سلاطين وملوك وامراء العصر الأيوبي والمملوكي .

وبالعكس نرى أن خلعه قد مر سواء عليه (وهو الضعيف في قوته وشخصيته) او على اهل حماه الذين لم يؤيدوه او يناصروه ولم يظهر أي صوت ينادي برجوعه سواء من العامة أو الأمراء أو المماليك أو العسكر.فقد خلع الملك الأفضل ولم يكن هناك احد يريده لا في مصر ولا في الشام ولا في حماه وحتى في قصره وحاشيته.ورغم ان للملك الأفضل ابن يرثه أو على الأقل يمكن ان يحل محله الا ان الاسباب التي ذكرناها مجتمعة كانت تحول دون مجرد بحث فكرة استخلافه .

بقيت حماه الأيوبية محتفظة باستقلالها وتبعيتها الايوبية مدة اثنين وسبعين عاماً زيادة عن باقي الممالك الأيوبية اذ لم يدم البيت الأيوبي في سورية ومصر إلا الى سنة ٦٥٨هـ/ ١٢٥٩م بينما استمر في حماه اعتباراً من ٥٧٣هـ/ ١١٧٧م - ٧٤٢هـ/ ١٣٤١م عدا فترة الانقطاع التي حدثت ما بين (٦٩٨ - ٧١٠هـ) (١٢٩٨ - ١٣١٠م) [1]

## ٣) علاقات حماه السياسية :

سبق القول عن موقع حماه واهميتها الستراتيجية وانها كانت نقطة متقدمة خلال فترات الحروب الصليبية وحداً وسطاً خلال نزاع الشمال والجنوب من شمال بلاد الشام . ونقطة هامة للبدو واطماعهم . ونقطة رصد هامة تجاه تحركات الحشيشية في مصياف .

وقد اثر موقع حماه والمهام المطلوبة منها في رفع شأنها واستلامها مركز السيطرة في الصراع بينها وبين

(١) مهرجان ابي الفداء : احسان المظلم : ١٧١

حمص المجاورة لها . لذلك نجدها قد ارتقت وتقدمت عن سائر المناطق المحيطة بها ونجد أن مركزها اصبح من اقوى المراكز في بلاد الشام اثناء حكم ابي الفداء بل اصبح ابو الفداء المتقدم على سائر أمراء الشام وله الكلمة الأولى فيما بينهم . ولقب وحيداً من دون الأمراء عموماً أو ملوك حماه بالسلطان .

ففي علاقة حماه مع حمص نجد أن حماه اخذت سياسة تعتمد على الصداقة وحسن الجوار بعد أن انتهت الاضطرابات والصراع بين قوى المدينتين التي تعود الى صراعات قبلية سابقة . ولم يعكر صفو هذه الصداقة بين البلدين سوى في فترة قصيرة خلال حكم الملك المجاهد شيركوه ملك حمص الايوبي .

أما مصياف فقد كانت علاقتها معها مضطربة ومتبدلة حسب الأهواء والسياسة العامة ونشاط أهل مصياف ولكن كانت تجنح العلاقات فيما بينهما الى السلم والوداعة فما ان يتعكر صفو العلاقات حتى ما تلبث ان تعود للسكون والصفاء الذي بدأ من فترة حكم والي حماه اثناء عهد صلاح الدين شهاب الدين الحارمي الذي استطاع التفاهم مع شيخ الجبل وتكفل بمصياف والحشيشية ولم يعد يعكر صفاء العلاقة بينهما سوى حوادث طفيفة كما رأينا .

أما علاقة حماه مع الصليبيين فانها لم تكن ودية في كل الحالات فكانت حماه هي النقطة المتقدمة في حلقة الصراع بين المسلمين والصليبيين وقد حاول الصليبيون مراراً احتلال حماه ولكنهم فشلوا ولو أنهم نجحوا أحياناً في الوصول الى مشارف حماه بل الى ابوابها الا انهم فشلوا في احتلالها وكانت حماه تحذر دائماً مفاجآتهم كما كانوا هم أيضاً يحذرون مفاجآت حماه والمسلمين من ورائها .

أما علاقة حماه بحلب فقد كانت تنبع من سياسة دائمة هي سياسة الاحتفاظ باستقلالية حماه فقد كانت حماه تحاول الابتعاد عن سيطرة حلب عليها وبذلك تستجير بدمشق على حكام حلب المتواجدين فيها .

أما إذا كان الخطر من دمشق فانها تستنجد بحلب . فأساس السياسة بقاء حماه مستقلة . وهذا ينطبق على سياسة حماه تجاه دمشق تلك السياسة التي تنبع من ضرورة الحفاظ على استقلالية حماه وبقائها في حكم البيت التقوي . وان كانت حماه قد استقرت نوعاً ما اثناء حكم صلاح الدين الايوبي الا ان صراعات أولاده وآل بيته جرت على حماه الكثير من الويلات والتقلبات السياسية، الا ان تقلباتها السياسية كانت لا تخرج عن سياستها المطلقة في الاحتفاظ باستقلالية حماه في ظل البيت التقوي .

وفي اواخر الحكم الأيوبي وأوائل الحكم المملوكي ظهر في الأفق نتيجة الصراع بين مصر وبلاد الشام وتبين ان القوة تكمن في مصر وان المستقبل السياسي يجب ان يرتبط معها لذلك نجد أن سياسة حماه اخذت على عاتقها المهادنة والخضوع للحاكم في مصر أيّ كان الحاكم في مصر. لذلك نجد شعار ملوكها اصبح «مع من يملك الديار المصرية كائناً من كان»، وقد نجحت سياسة حماه هذه فرغم تبدل حكم الأيوبيين بحكم المماليك فان شيئاً ما لم يتغير في حماه وبقيت سياستها هذه ناجحة رغم سقوط كافة الممالك الأيوبية وانتهاء عهد الممالك الأيوبية واستقلالية اي مملكة ضمن اطار حكم المماليك في مصر ونوابهم في الشام .

أما علاقة حماه مع البدو وسياستها تجاههم فانها حافظت على ود وصداقة وحسن تعامل ضمن اطار حفاظها على استقلاليتها ومنعهم من التغلغل فيها أو الاغارة عليها أو مفاجأتها . الا انها وبحكم علاقاتها التجارية معهم كانت تحظى عندهم بوضع خاص وكانت حماه توليهم عناية خاصة لذلك نرى انها حافظت على سياسة الاحتفاظ (بشعرة معاوية) في علاقاتها معهم ونجد أن الملك الأفضل هو الوحيد الذي استطاع حسم الخلافات بين البدو وعلى رأسهم أميرهم مهنا بن عيسى مع السلطان محمد بن قلاوون بعد صراع وفتور دام سنوات عدة [1] .

★

(١) المختصر ج٤ : ١١٣

# الفصل السابع

## الحياة الادارية

**١ ـ الحدود :**

لم تتمتع حدود الممالك الايوبية بالثبات والديمومة على الاطلاق بل كانت عرضة للتبديل والتغيير بسبب الصراعات القائمة والمستمرة بين ورثة السلطان صلاح الدين الايوبي وورثة سائر الملوك الايوبيين عموماً . وبسبب عادة تعويض الملك المعزول عن اقطاعة باقطاع آخر تلك العادة التي بقيت مرعية في كل مراحل الحكم الايوبي في مصر وبلاد بالشام . لذلك تعرضت حدود مملكة حماة الايوبية لتبدلات كبيرة اثناء حكم البيت التقوي فيها .

وكان اول تحديد لها تم حين ولّى السلطان صلاح الدين مدينة حماة لخاله شهاب الدين محمود . فكانت مدينة حماة والقرى التابعة لها تشكل ولاية شهاب الدين محمود .

وبعد وفاته ولّى صلاح الدين حماة لابن اخيه تقي الدين عمر اضافة الى مصر التي كانت تحت ولايته وذلك عام ٥٧٤هـ .

وبعد عزل تقي الدين عمر عن مصر ابقى صلاح الدين له حماة وبعض المواقع التي حددها ابو الفداء بقوله «زاده على حماة منبج والمعرة وكفر طاب وميا فارقين وجبل جور بجميع اعمالها»[1] اضاف صلاح الدين لتقي الدين عمر مدينة اللاذقية بعد فتحها .[2] ثم اضاف إليها اقطاعات اخرى وقام تقي الدين ايضاً بالتوسع في بعض المواقع الجزرية فكان تحت يده عند وفاته كل من «حران والرها وسمساط والموزر، وميافارقين. ومن الشام حماة والمعرة وسلمية ومنبج وقلعة نجم وجبلة واللاذقية وبلاطنس وبكسرائيل» .[3] واثر وفاة تقي الدين عمر واستيلاء ابنه الملك المنصور على الحكم اقر

---

(١) الروضتين ج١ : ٢٥٠

(٢) المختصر ج٣ : ٧٠

(٣) المختصر ج٣ : ٧٤

السلطان صلاح الدين للملك المنصور : «حماة وسلمية والمعرة ومنبج وقلعة نجم واسترجع البلاد الشرقية وما معها .»[1] وذلك بعد ان توسط للصلح بينها الملك العادل وبقيت حدود حماة على وضعها حتى زمن الملك الناصر قلج ارسلان الذي استولى على العرش متجاوزاً ولي العهد اخاه الملك المظفر ومستفيداً من صراع ورثة السلطان صلاح الدين : الملك العادل والملك الاشرف .

وجرى تعديل لحدود حماة اثر اتفاق الملك العادل والملك الاشرف على اخذ سلمية من الملك الناصر واعطائها للملك المظفر .

ثم جرى تعديل لهذا الاتفاق باتفاق لاحق جرى بموجبه اعطاء الملك المظفر : حماه والمعرة وبعرين بعد استردادهم من الملك الناصر قلج ارسلان .

وبعد حصار حماة واستسلام الملك الناصر الذي رفض الاتفاق السابق الذكر عوض عن مملكة حماة بمنحه (بارين) ترضية له .

وبعد فترة اعيدت بارين لحماة ثانية .

ثم اعيدت سلمية لحماة زمن الملك المنصور الثاني محمد .

واثر هجوم عسكر حلب على مملكة حماة زمن الملك المظفر بقيادة الملك المعظم توران شاه في اواخر سنة ٦٣٥هـ/١٢٣٧م خسرت حماة المعرة .

وبقيت حدود حماة دون تعديل حتى هجوم المغول بقيادة هولاكو . فبعد معركة عين جالوت وانسحاب المغول اعاد المظفر قطز الملك المنصور على حماة وبارين واعاد اليه المعرة .»[2]

واستقرت حدود مملكة حماة على هذا الشكل حتى زمن ابي الفداء اذ جرى تعديل عليها بان ضمت المعرة الى حلب اقطاعا للامراء الموجودين فيها كما سبق الحديث وقد ، جاء تحديد حدود مملكة حماة في مرسوم تاكيد تعيين ابي الفداء على حماة بعد فصل المعرة كما يلي : «رسم بالامر الشريف العالي المولوي السلطاني الملكي الناصري ان يستقر بيده (يد ابي الفداء) حماة وبارين بجميع حدودها وما هو منسوب اليها من بلاد وضياع وقرايا وجهات واموال ومعاملات وغير ذلك من كل ما ينسب الى هذين الاقليمين ويدخل في حكمها»[3] .

وبقيت حدود مملكة حماة هكذا الى ان سقط الحكم الايوبي فيها ، وعليه يمكن اعتماد رواية القلقشندي التي بين فيها حدود حماة واقسامها الادارية.يقول «وحدها من القبلة مدينة الرستن وما سامتها

---

(١) المختصر ج٣ : ٨٠
(٢) المختصر ج٣ : ٢٠٦-٢٠٧
(٣) المختصر ج٤ : ٧١-٧٢

أخذاً بين سلمية وقبة (ابن) ملاعب الى حيث مجرى النهر والآثار القديمة ، وحدها من الشرق البر أخذاً على سلمية الى ما استقل عن قبة ابن ملاعب ، وحدها من الشمال آخر حد المعرة من العرايا (البادية) ، وحدها من الغرب مضافات مصياف وقلاع الدعوة ، . . . . ولها ثلاثة اعمال : الاول (عمل بلدها) وهو ظاهرها وما حولها .

والثاني (عمل بارين) . . .

والثالث . . . (عمل المعرة) . . . »[1]

وبالرجوع للمصادر والمراجع امكنني حصر بعض المناطق التابعة لحماة فكانت كما يلي : دير نقيرة / شحشبو ، بسرين سلمية / منبج / رفنية / عقيربا (عقيربات) ، حوران / (حر بنفس) بارين (بعرين) جَدَر ، المعرة

## ٢ ـ الادارة :

عاشت حماة في ظل البيت التقوي كمملكة من الممالك الايوبية التي اسست في زمن صلاح الدين واولاده من بعده . / لذلك كان الملك على رأس الجهاز الاداري فيها . واستمرت الملكية في كل مراحل الفترة التقوية باستثناء فترة الانقطاع ما بين عامي ٦٩٨هـ/ ١٢٩٨م - ٧١٠هـ/ ١٣١٠م حيث حولت الى ولاية، واعيدت الى ابي الفداء بصفته وال عليها ثم اصبح ملكاً وكان في آخر فترة حكمه قد لقب بالسلطان. واصبح مقدماً على سائر ولاة بلاد الشام اما ابنه فقد حكم حماة بصفة ملك لها حتى تم عزله عام ٧٤٢هـ/ ١٣٤١م وبذلك عادت حماة ولاية مملوكية وسقط الحكم التقوي فيها . وقام السلطان بالمصادقة على تعيين الملك في حماة . والمصادقة هذه التي كانت تتم بمرسوم التولية كانت ضرورية لشرعية التعيين فمع ان نظام تعيين الخلف في حكم المملكة يستند على ولاية العهد . وان ولي العهد يتم تسميته من قبل الملك الذي يختار ابنه الذكر الاكبر (على الغالب) ويأخذ لولي العهد هذا البيعة من اهل حماة ويستحلفهم اليمين على صدقهم واخلاصهم لهذه البيعة . عند ذلك يطلب من السلطان تأييد هذه البيعة ، وقد جرت العادة ان يقر السلطان ولاية العهد هذه دون معارضة وكثيراً ما كان الجواب يتضمن عبارة «والرأي ما تراه مناسباً» . وبعد وفاة الملك يُبَلَّغ السلطان هذه الوفاة وبدوره يرسل تأكيداً على بيعة ولي العهد .

واعتباراً من العصر المملوكي اصبح السلطان في مصر يرسل مرسوم المصادقة على تولية ولي العهد للملك ، متضمناً صلاحيات الملك الجديد وحدود مملكته .

فقد ورد مرسوم تعيين ابي الفداء (على سبيل المثال) متضمناً الاشارة الى حدود حماة التي سيحكمها ابو الفداء والى طبيعة حكم ابي الفداء لحماة بصفته ملكاً لها الى نهاية عمره ، فبعد مقدمة طويلة من خصائص الانشاء في العصر المملوكي نقرأ في المرسوم :

---

(١) صبح الاعشى ج٤ : ١٤١ ـ ١٤٢ / دمشق بين عصر المماليك والعثمانيين : ٣٣ .

«ان يستقر في يد المقام العالي العمادي المشار اليه جميع المملكة الحموية وبلادها واعمالها وما هو منسوب اليها ومباشرها التي يعرضها قلمه وقسمه ومنابرها التي يذكر فيها اسم الله تعالى واسمه ، وكثيرها وقليلها وحقيرها وجليلها ، على عادة الشهيد الملك المظفر تقي الدين محمود الى حين وفاته ومنه وقلدناه ذلك تقليداً . . . .»[1] ونجد بهذا النص ان المرسوم حدد حدود الدولة وطريقة الحكم وهي ملكية حسب عادة مؤسس مملكة حماة الأيوبية الملك المظفر تقي الدين عمر . ثم حدد المرسوم ان التعيين لحين وفاة المعين .

ونجد تفصيلات اكثر في مرسوم تأكيد تعيين ابي الفداء على حماة بعد فصل المعرة عنها كما يلي :

«رسم بالامر الشريف العالي المولوي السلطاني الملكي الناصري ان يستقر بيده (ابو الفداء) حماة وبارين بجميع حدودها وما هو منسوب اليها من بلاد وضياع وقرايا وجهات واموال ومعاملات وغير ذلك من كل ما ينسب الى هذين الاقليمين ويدخل في حكمهما . يتصرف في الجميع كيف شاء من تولية واقطاع اقطاعات الامراء والجند وغيرهم . من المستخدمين من ارباب الوظائف وترتيب القضاة والخطباء وغيرهما ويكتب بذلك مناشير وتواقيع من جهته ويجري ذلك على عادة الملك المظفر تقي الدين عمر صاحب حماة ويقيم على هاتين الجهتين خمسمائة فارس بالعدة الكاملة من غير نقص ويبطل حكم ما عليهما من المناشير والتواقيع الشريفة والمسامحات . والمحسوب وكل ما هو مرتب عليهما للامراء والجند والعرب والتركمان وغيرهم بحكم الانعام بهما على المشار اليه على قاعدة الملك المظفر صاحب حماة وتعويض الجميع عن ذلك بالمعرة[2] وافرادها عن حماة وبارين ، فليستقر جميع ما ذكر بيده العالية استقرار الدرر في اسلاكها والدراري في افلاكها ، يتصرف في احوالها بين العالمين بنهيه وامره ، ويجري احوالها بين المستوجبين بانعامه وبره ، ولا يمضي فيها امر بغير منشوره الكريم ، ولا يجري معلوم الا بمرسومه الجاري على سنن سلفه القديم وليفعل في ذلك لجميع ما أراد كيف أراد ، ويتصرف على ما يختار فيما تحت حكمه الكريم وبحكمه من مصالح العباد والبلاد . . . .»[3] ومع ان هذا المرسوم حدد تفصيلاً صلاحيات الملك في حماة الادارية والمالية والعسكرية :

فقد جرت العادة ان يرسل ملك حماة في طلب الحل والربط للامور الكبيرة الى السلطان في مصر مثل اعطاء إمرة أو وظيفة كبيرة التي لا تتم الا بعد مشاورة صاحب مصر الذي يجيبه عادة بتعبير وما تراه مناسباً او ان الرأي ماتراه» . ورغم ذلك فصاحب مصر السلطان ظل هو المتصرف بالمملكة اعتباراً من الملك وحتى اصغر الأمور .

---

(١) راجع الملحق وراجع ايضاً المختصر ج٤ : ٦٧ ـ ٦٨ ، تاريخ المماليك : ١٢٥ ـ ١٢٦ مصر والشام : ١٣٤ ـ ١٣٥ و ٢٨٠ ـ ٢٨١ .

(٢) وذلك بسبب اعطاء المعرة للامراء المقيمين في حلب تعويضاً عن اقطاعاتهم في حماة ولمنع تدخلهم بها كما رأينا .

(٣) راجع الملحق المتعلق بالمرسوم وراجع المختصر ج٤ : ٧١ ـ ٨٢ ، مهرجان ابي الفداء : ١٧١ .

ويحدد القلقشندي في صبح الاعشى حقوق صاحب حماة كما يلي :

وان صاحبها كان يستقل فيها باعطاء الامرة والاقطاعات وتولية القضاة والوزراء وكتاب السر وسائر الوظائف بها وتكتب المناشير والتواقيع من جهته ولكنه لا يمض امراً كبيراً في مثل اعطاء إمرة أو وظيفة كبيرة حتى يشاور صاحب مصر ، وهو لا يجيبه إلاّ بأن الرأي ما تراه ومن هذا ومثله ، وربما كتب له مرسوم شريف بالتصرف في مملكته .

قال في «مسالك الابصار» ومع ذلك فصاحب مصر متصرف في ولاية صاحبها وعزله ، من شاء ولاّه ومن شاء عزله»[1]. وقد كان التدخل في شؤون حماة وشؤون واختصاصات ملكها سمة مميزة ، ففي عهد الايوبيين كان صلاح الدين يحدد الاطار العام دون التفاصيل ، لذلك رأيناه يتذمر من طمع تقي الدين عمر عند قيامه بتوسيع مملكته في الاراضي الجزرية وبعد صلاح الدين اصبح التدخل للطرف الاقوى من اولاد وخلفاء صلاح الدين ورجال الدولة الايوبية. اما في عهد المماليك فاصبح السلطان في مصر هو المتدخل ، إلا انه اصبح هناك تدخل آخر يعود للامير الاقوى في بلاد الشام فتارة صاحب طرابلس[2] . واغلب الاحيان كان صاحب دمشق رغم ان ابا الفداء اصبح في عهده هو المتقدم على امراء الشام . بينما نجد في عهد ابنه ان صاحب دمشق رفض استلام الشكاوى ضد صاحب حماة مما يؤكد سلطته عليه لان صاحب الشام هو نائب السلطان في بلاد الشام ونجد ان الامير قوصون يقوم بعزل صاحب حماة الملك الافضل محمد منهياً بذلك حكم الايوبيين التقويين فيها .

وقد كان الملك في حماة ينتظر سنوياً (التشريف) وهو خلعة تصله من السلطان فيلبسها في مراسم مرعية ويخرج بها على اهل حماة وهذا يعني تأكيد السلطان لسلطته على حماة . وتأكيد استمرار الملك في حماة .

كذلك جرت العادة ان يحلف السلطان على تعيين ملك حماة (كغيره من الامراء والولاة) وذلك تأكيد على حسن نواياه وصدق عزمه على هذا التعيين .

علماً بأن تحركات ملك حماة (كغيره من الولاة والامراء والحكام) . كانت لا تتم الا بأخذ المرسوم وهو الموافقة المسبقة من السلطان فلا بد من (المرسوم) واذا طالت اقامة الملك يمكن ان يعطي السلطان مرسوماً بعودة ملك حماة اليها كما حدث مع ابي الفداء بعد زيارة طويلة لمصر .

ويمكن للسلطان ان يطلب في اي وقت ملك حماة إليه او يرسله في مهمات . وقد حدث ان طلب من ملوك حماة (المنصور والمظفر وابي الفداء) القدوم الى مصر لحضور حفلة صيد اوللحج . ويمكن ان يكون الطلب سريعاً فيذهب ملك حماة على البريد ويحدد مرسوم طلبه من يأتي معه ومن يرافقه (امراء،

(١) صبح الاعشى ج٤ : ٢٣٧ ، مهرجان ابي الفداء : ١٦٨

(٢) انظر في ذلك صبح الاعشى ج٤ : ٢٣٨

عسكر ، مماليك وسواهم) . ويحدد المرسوم طريق الملك ومناطق مبيتة . وهناك يحدد جرايته من طعام وعلف للدواب ومصروف له ولمرافقته .

وعند وصوله للسلطان كان يتم تحديد مكان اقامته (في قلعة الجبل او في بيت احد القضاة او سوى ذلك) . وفي الزيارة تقتضي المراسم المرعية ان يقدم الملك هدية قد تسبقه أو تقدم قبل وصوله بين يدي السلطان . ويرد السلطان عليها بالخلع والهدايا ؛ وللملك خلال زيارته بدل نقدي وخلع له ولمن معه واطعمة وسائر المتطلبات.

كان هناك زيارة سنوية يقدم فيها الملك هدايا (خيل التقدمة) التي اصبحت اعتباراً من خلفاء الملك المظفر عادة مرعية.مع مبلغ نقدي هو على ما يبدو ما يستحق للسلطان عن مملكة حماة.مع هدايا اخرى . وجرت العادة أن يرد السلطان بتقديم مبلغ نقدي قدره ثلاثون الف درهم زادها السلطان محمد ابن قلاوون الى خمسين عند اصابة حماة بقحط مع اعطاء ابي الفداء كمية من القمح كما رأينا) . في عام ٧٢٢هـ/ ١٣٢٢م ويقدم خمسين قطعة قماش خلعاً للملك والحاشية ويقدم فرسين بكامل اهبتهما . كذلك كانت العادة ان يقدم ملك حماة لرسول السلطان الذي يحضر مرسوم تعيينه او تأييد تعيينه هدايا وخلعاً ومبلغاً نقدياً (رأينا أن أبا الفداء قدم مائة الف درهم لمن احضر اليه مرسوم التعيين) .

وقضت عوائد العصر أن يذهب الملك لاستقبال الامراء من الرستن . والسلطان من دمشق والوفود من ظاهر حماة ويجري انزالهم في القلعة أو بيت الملك المظفر الذي تحول الى قصر للضيافة.مع خلع وهدايا واحياناً مبالغ نقدية تقدم للوفود . ووصف ابو الفداء ذلك عند سفره لمصر لزيارة السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون وعند وصوله لقلعة الجبل ومقابلته للسلطان بقوله : «وشملتني صدقاته بالتنزيل في الكبش وترتيب الرواتب الكثيرة بعد ما رتب لي في جميع المنازل من حماة الى الديار المصرية الرواتب الزائدة عن كفايتي وكفاية كل من هو في صحبتي من الاغنام والخبز والسكر وحوائج الطعام والشعير والتبن وتشريفاً في حال قدومي من الاطلس بطرز الزركش والكلوتة على العادة واركبني حصاناً بسرج على بالذهب» [1]

كان سكن الملك في القلعة وليس للقلعة نائب كما هو جار في عادة ملوك وامراء (العصر المملوكي) اذ كان يجري تعيين نائب القلعة بشكل مستقل من قبل السلطان ليكون هناك توازن (وصراع) بين الامير اوالملك ونائب قلعته الذي كان عادة يعتقل الامير أو الوالي اذا صدر أمر من السلطان بذلك .

وكان يسكن مع الملك في القلعة أهله (وقد ولد في قلعة حماة كثير من ملوكها وامرائها) ويسكن ايضاً في القلعة كبار رجلات الدولة ـ ومماليك الملك [2] .

---

(١) المختصر ج٤ : ٨٣

(٢) تاريخ المماليك : ١٢٧

كان للقلعة جامعها وسجنها ومستوصفها وأطباؤ ها الذين كانوا عادة اعظم اطباء المملكة . كما كان في القلعة مكتبة وحرس القلعة ومستودعات الغذاء والميرة وصهاريج الماء وغير ذلك . كما كان للملك املاك وقصور خارج القلعة داخل حماة وداخل المملكة الحموية وخارجها فقد كان لاهل ابي الفداء منزل بدمشق كذلك للملك اقطاعاته وارداته كما سنبين في النظام المالي .

وقد كان الملك (تابع نواب حماة عادة ملوكها بعد سقوط الملكية التقوية فيها) يخصص يومي الخميس والاثنين من كل اسبوع للجلوس للقضايا العامة ، وللعامة وللشؤ ون الداخلية من مملكته ، وهو ما يسمى بمصطلح العصر الايوبي بالموكب . وقد وصف القلقشندي الموكب في حماة فقال :

«وترتيب الموكب بها أن النائب بها يركب من دار النيابة في يومي الخميس والاثنين وصحبته العسكر من الامراء واجناد الحلقة ، ويخرج إلى خارج المدينة من قبليها ويسير في الموكب الى ضيعة تسمى بسيرين[1] على القرب من حماة ، ثم يعود في موكبه حتى يقف بسوق الخيل بمكان خارج المدينة يعرف بالموقف وينادي بينهم على الخيول ، وربما نودي على بعض العقارات ، ثم تصيح الجاويشية ، وينصرف عن ذلك المكان ويدخل المدينة ، ويأتي دار النيابة ، ويدخل أول المعسكر من داخل باب يعرف بباب العسرة (أو العزة) ثم يترجل الناس على الترتيب على قدر منازلهم حتى لا يبقى راكب سوى النائب بمفرده ، ولا يزال راكباً حتى يترجل بشباك بدار النيابة معد للحكم فيجلس فيه ويجلس عنده داخل الشباك القضاة الأربعة : الشافعي والحنفي عن يمينه ، والمالكي عن يساره والحنبلي يليه ، ويجلس الامراء على قدر منازلهم ، وكاتب السر وناظر الجيش امام النائب خارج الشباك ، ويقف هناك الحاجبان والمهمندار ونقيب النقباء ، وترفع القصص (الشكاوى) فيقرؤ ها كاتب السر عليه ويرسم فيها ما يراه ، ثم يقوم من مجلسه ذلك وينصرف القضاة ويدخل الى قبة معدة لجلوسه ومعه كاتب السر وناظر الجيش والامراء فيفصل بقية اموره مما يتعلق بالجيش وغيره ، ثم يمد السماط بعد ذلك فيأكلون وينصرفون» .[2]

ويبين هذا النص لنا طريقة تصريف الملك أو النائب في حماه للقضايا العامة ويحدد عدد الوظائف واهميتها فبحسب اهميتها يكون قرب مجلس صاحبها أو بعده عن مجلس الملك او النائب .

ويبين النص ان قعود الملك عند الشباك للنظر في قضايا العامة والقضاء وقد يكون علنياً . بينما قعوده في القبة لتصريف الامور الاكثر اهمية وخطورة . وسرية بما يتعلق بأمور الجيش والادارة والحكم والحضور فيها اكثر خصوصية وربما اقل علنية ايضاً .

---

(١) بسيرين قرية قرب حماة باتجاه الجنوب وتقع على بعد ١٣ كم منها وقد وردت في النسخة المطبوعة لصبح الاعشى باسم بقرين وهو خطأ واضح فلا وجود لمثل هذا الاسم في حماة (انظر : معالم واعلام قاموس المنجد قسم الاعلام . جدول المسافات للقطر العربي السوري ومعجم القرى السورية

(٢) صبح الأعشى ج٤ ص٢٣٨ - ٢٣٩ ، وكان ترتيب الموكب هذا مراعى في سائر مناطق الشام ومصر باختلافات على حسب الموقع أوردها القلقشندي في كتابه صبح الأعشى .

ولم يكن للملك نائب بمعنى النيابة وليس لولاياته التابعة له نيابات كما يفهم من نص القلقشندي والملك هو الذي يعين ولاة في المناطق التابعة له (المعرة وبارين) ففي عهود المملكة الايوبية الاولى كان يختارهم من الاكراد وفي العهود المتأخرة اصبح اختيارهم من المماليك التابعين للملك صاحب حماة .

ويظهر في هذا النص النظام الاداري واضحاً . فحماة بحكم الملك المباشر ويقوم بتعيين وال على بارين والمعرة ومع ان الملك لم يكن يعين نائباً عنه في فترة حكمه الا اننا نرى من تتبع اخبار مملكة حماة ان المهمات الكبرى كانت توكل لاقرباء الملوك الايوبيين ويؤخذ بالاقرباء الاولين فادناهم فادناهم .

فنرى على سبيل المثال ان الملك المظفر الثاني كان قد ولى بارين اخاه قليج ارسلان ثم عاد فانتزعها منه . ونرى انه اثناء مرضه قد قام مملوكه (واستاذ داره) سيف الدين طغريل بتدبير ملكه بسبب ان ابنه كان له من العمر عشر سنين وبعد وفاته بقي طغريل يصرف الملك مع الشيخ الانصاري والطواشي مرشد ، تشرف عليهم والدة الملك غازية خاتون حتى بلوغ الابن سن الرشد .

بينما نرى ان الملك المظفر الثالث محمود تعاون مع عمه الملك الافضل علي حتى كاد يكون شريكه في الملك . اما ابو الفداء فقد ارسل أخاه بدر الدين حسن على رأس قيادة جيش وفيه ابن اخيه محمود ومملوكه اسبنغا الى الرحبة بأمر السلطان لطرد البدو من هناك (وهم الامير مهنا وعربه) .

بينما نجد ابا الفداء يبرز ابنه ويسند له بعض المهام تمهيداً لتسليمه العرش بعد وفاته .[1]

اما باقي الوظائف الادارية في حماة (عدا العسكرية التي سنفصلها فيما بعد) فهي كما يصفها القلقشندي : «وبها من الوظائف الدينية من أرباب الاقلام أربعة قضاة من المذاهب الاربعة (حنفي شافعي حنبلي مالكي) وولايتهم من الابواب السلطانية (مصر) بتواقيع شريفة (مراسيم) وقاضي عسكر حنفي وليس بها قضاة عسكر من المذاهب الثلاثة الأخرى ، وبها وكيل بيت المال (اكبر موظف مالي في حماة) ، وولايته من الابواب السلطانية (مصر) بتوقيع شريف (مرسوم) ووكالة شرعية (لأنه يحصل حصة السلطان في مصر من نواتج ومحصولات وضرائب حماة) ومحتسب بولاية من النائب بتوقيع كريم .»[2] (وكما هو معلوم فان وظيفة المحتسب هو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وضبط الموازين والمكاييل) .

---

(1) صبح الاعشى ج٤ : ٢٣٩ وانظر ايضاً عن النيابة في مصر : مصر والشام : ١٣٤ - ٢٣٥ و٢٨١ - ٢٨٢

(2) المختصر ج٤ : ٩٥ ، انظر قضية وراثة العرش عند المماليك في تاريخ المماليك : ١٢٤ - ١٢٥ وانظر مصر والشام : ١٣٦ - ١٣٧ و٢٨١ - ٢٨٤

لاحظ ان المرسوم السلطاني الذي يصدر عن السلطان في مصر يكون (بتوقيع شريف) بينما مرسوم الملك والنائب فيصدر (بتوقيع كريم) . وهذا تنظيم اداري يبين فيه ترتيب قوة المراسيم فمرسوم السلطان أقوى من مرسوم الملك والنائب .

وبعد ان ينهي القلقشندي الوظائف الدينية يذكر الوظائف الديوانية (الادارية) فيقول : «وبها من الوظائف الديوانية من ارباب الاقلام (أي كتاب) كاتب سر (وهو اعلى كاتب اداري في المملكة) ويعبر عنه بديوان الانشاء (في مصر ديوان السلطان) بصاحب ديوان المكاتبات بحماة المحروسة (وهو لقبه الرسمي في التحارير والمراسيم) ، وولايته من الابواب السلطانية بتوقيع شريف وله اتباع (أي في التسلسل الوظيفي) من كتّاب الدست (وهو الذي يجلس مع كاتب السر بدار العدل امام الملك أو النائب ويوقع القصص ـ الشكاوي ـ)وكتاب الدرج (وهو الذي يقوم بمكاتبة الولايات وغيرها في الغالب وربما يشاركه في ذلك كتاب الدست ويعبر عنه في الفترة المتأخرة بالموقع) . وولايتهم عن النائب بتواقيع كريمة . وبها ناظر المملكة القائم مقام الوزير (وهي الرتبة الثانية بعد الملك او النائب) وولايته من الابواب السلطانية بتوقيع شريف ، وله اتباع (في السلك الوظيفي) من كتاب وشهود ، وولايتهم عن النائب .[1] بتواقيع كريمة . الى غير ذلك من وظائف صغار يوليها النائب بتواقيع كريمة» .[2]

وقد ذكر ابن واصل عن وجود وظيفة متولي البر في القلعة وذكر ان احد متوليها كان شهاب الدين البلاعي .[3]

**٣ ـ الجيش :**

عاشت مملكة حماة الايوبية ضمن فترتين الاولى ايوبية والثانية مملوكية . ومع ان النظام العسكري لم يختلف كثيراً خلال الفترتين من عمر مملكة حماة التي كانت الفترة المملوكية فيها قصيرة بالنسبة للتطور العسكري المملوكي فان هناك سمة مميزة هي سمة الجهاد والاستعداد القتالي الدائم فالجهاد ضد قوتين كبيرتين هددتا العالم الاسلامي الاولى الصليبية والثانية المغول يضاف اليها مناوشات الارمن والخوارزمية . وان هذا التهديد المباشر الذي جعل الاعتماد على القوة العسكرية ضرورة ملحة اضيف لها ضرورة اخرى هي النزاعات الداخلية بين الملوك والامراء والنواب الايوبيين كذلك الحال بالنسبة للمماليك وكان التهديد المستمر للمماليك والامارات الصغيرة والتطاحن لابتلاعها والسيطرة عليها سمة العصر.وهناك ظروف خاصة لحماة تضاف الى ما ذكرناه ناتجة عن علاقتها مع الحشيشية من جهة وعلاقتها مع البدو من جهة اخرى وكلا العلاقتين محفوف بالاخطار وتوجب الاستعداد الدائم والكامل لمواجهة اي خطر مفاجىء .

---

(١) يقصد القلقشندي بتعبير النائب : الملك النائب لان ملك حماة وصاحبها هو نائب عن السلطان بها مثله مثل النائب اما لقبه بالملك فهو للتفضيل الاداري والسلطوي عن النائب العادي الا ان كليهما نواب للسلطان في حماة .

(٢) صبح الاعشى ج٤ : ٢٣٨ ، مهرجان ابي الفداء : ١٦٨ - ١٦٩ .

(٣) مفرج الكروب ج٣ : ١٦٣ ، : دولة المماليك : ص١٢٧ ـ ١٣٨ . كذلك عند محمد أحمد دهمان في كتابه دمشق في عهد المماليك : ١٩ - ٣٤ .
وانظر ايضاً مصر والشام : ١٣٦ - ١٣٧ و ٢٨١ - ٢٨٤

وهناك تميز بين تنظيمات الجيش في العصر الايوبي عنه في العصر المملوكي :

## الجيش في العصر الايوبي :

تعود تنظيمات الجيش في العصر الايوبي لعصر صلاح الدين الايوبي الذي اتخذ تنظيماته عن نور الدين :

فقد كان جيش صلاح الدين يتألف من الجيش المصري ومن العساكر الصلاحية والاسدية ويضاف الى الجيش المصري جيش بلاد الشام والجزيرة . ثم الجيوش الاحتياطية التي تزيد وتنقص حسب الحاجة وكانت تجند من التركمان والاكراد والعرب (العربان) .[1]

وقد اعتمد التنظيم العسكري خلال العصر الايوبي ومن بعده المملوكي نظام الاقطاع العسكري . وقد تطور هذا النظام،وتميز بين المرحلة الايوبية عن المرحلة المملوكية .

يعني الاقطاع في هذا المضمار توزيع دخل قطعة من الارض كأجر او معاش . والاقطاع هنا اقطاع استغلال من نوع اقطاع الخراج وهو انما يكون عوضاً وضماناً لما ينبغي ان يدفعه بيت المال للرعية والعساكر في مقابل اعطياتهم المقدرة وكان الجند المقطعين يأخذون ايجار اقطاعهم مقابل ارزاق وقد نشأت الاقطاعات الحربية منذ عهد بني بويه وطبقه السلاجقة ،والايوبيين ومن بعدهم المماليك واستمر هذا النظام في العهد العثماني وحتى منتصف القرن التاسع عشر .[2]

وقد اعتمد صلاح الدين نظام الاقطاعات ،فكان لكل من كبار الامراء وصغارهم اقطاع ، وكانت تصرف لمماليكهم جامكية اوعطاء معين او تجعل لهم حصص من احدى الاقطاعات ، ونفقات،اي مؤن وعليق ، وكان الجند ممن لم تثبت أسماؤهم في دواوين العطاء يعرفون باسم البطالين [3] وليس للمقطع ان يتصرف باقطاعه كاملاً الا بإذن خاص فهناك اقطاع لخاصة الامير واقطاع لامارته . وكان المقطع مسؤولاً عن فلح الارض وسقايتها على الوجه الاجمل ، وعن حفظ الجسور وعن جمع خراج الارض مالاً اوعيناً عن كل محصول وكان المقطع يشرف على الغلة بنفسه خلال الصيف حيث يتفرق الجند على اقطاعاتهم لتحصيل الغلة .[4]

وقد كان للاقطاع واجبات حربية منها حماية الامن في اقطاعيته اما ،الخدمة الهامة الاساسية التي كان يؤديها المقطع الايوبي ،فهي قيامه بتأدية خدمات حربية وتقديم عدد من الجند الى الجيش السلطاني زمن

---

(١) حسنين ربيع : ٣٠ . مقال جب : ٩٧ -١١١ .

(٢) دائرة المعارف الاسلامية الترجمة العربية : مادة اقطاع .

(٣) دراسات في حضارة الإسلام مقال جب عن جيوش صلاح الدين : ٩٨ -٩٩ Ashtor: الفصل السادس

(٤) مقال جب : ٩٩ ، Ashtor: 236-247

الحرب كامل العدة، اذ تعهد كل مقطع بان يكون معه عند خروجه لحرب عدد معين من الفرسان[1] فانعم السلطان الملك الصالح نجم الدين ايوب (على سبيل المثال) على الظاهر شادي باقطاع في مصر مداه (٢٠٠ فارس)[2]،كما اعطى اخاه الامجد اختيم اقطاعاً آخر برسم ١٥٠ فارساً[3] .

وبالمقابل فان واجبات المقطع : تأمين وتجهيز الفرسان المكلف بتجهيزهم مع اسلحتهم بشكل دائم.

وكان السلطان الايوبي يحرم المقطع من اقطاعه عند اخلاله بهذا الشرط (فقطع صلاح الدين اخباز (حرم المقطع من اقطاعه) جماعة من الاكراد لتسببهم بهزيمة الجيش الصلاحي في وقعة الرملة[4] وفي سنة ٥٨٧هـ - ١١٩١م عند حصار عكا قطع صلاح الدين اقطاعات جماعة من امراء الاجناد الهاربين .[5]

وكان الاقطاع عرضة للزيادة والنقصان بحسب احسان المقطع واستعداده ونشاطه في الاعمال القتالية او تهاونه بها .

لذلك اقطع السلطان الكامل بن العادل للملك المظفر صاحب حماة لقاء خدماته الحربية في معركة المنصورة اقطاعاً كبيراً في مصر .[6]

وكانت هذه الخدمات الحربية تزيد بزيادة الاقطاع الممنوح . فيزيد عدد الجند المكلف بتجهيزهم . وكانت سياسة الايوبيين الاحتياط من تمركز القوة الحربية للاقطاعات لذلك لجؤوا الى جعل الاقطاع مبعثراً حتى لا يكون قطعة واحدة قابلة للاستقلال وزيادة النفوذ[7] فكان لتقي الدين عمر اقطاعات في مصر والبلاد الجزرية والساحل الشامي اضافة الى حماة والمعرة وبارين .

ولم يعتمد الاقطاع الايوبي نظام الإرث الا بمناشير (توقيعات) ويمكن ان ينتقل الاقطاع من شخص لآخر ضمن شروط وصفها ابن مماتي[8] وسواه .

---

(١) حسنين ربيع : ٣٤ - ٣٥

(٢) مفرج المكروب ورقة ٣٢٢ظ حسنين ربيع : ٣٢

(٣) الكروب ورقة ٣٣٩ظ حسنين ربيع : ٣٢، مصر والشام ١٢٧ : Ashtor: 235-236

(٤) السلوك ج١ : ٦٤ - ٦٥ ، حسنين ربيع : ٣٥

(٥) الفتح القسي : ٣٥١ - ٣٥٣ / حسنين ربيع : ٣٥

(٦) Ashtor: 235-236 حسنين ربيع : ٣١

(٧) حسنين ربيع : ٣٦

(٨) ابن مماتي : ٣٤٤ و٣٦٦ - ٣٦٧

وقد قام صلاح الدين باعادة توزيع الاقطاعات عدة مرات وقام خلفاؤه ايضاً بذلك .

وكان توزيع الاقطاعات وضبطها وترتيبها يتمّ بديوان الجيش حيث يقوم الكتاب باثبات اسماء ارباب الاقطاعات على اختلاف طبقاتهم وجميع أفراد الجند في جريدة سميت باسم «الجريدة الجيشية» [1] وكان المقطع يقوم بتحصيل ما يغله الاقطاع من الاموال الخراجية وما يتبعها من اموال الزكاة والجوالي والعلالي ورسوم اخرى مقررة عن الاراضي للانفاق منها على امور تتعلق بالاقطاع . [2]

وكان لكل صنف من العساكر قيمة عطاء على اساس المبلغ (العبرة) المقدر لكل اقطاع وقد حسبها ابن مماتي بالدينار (الجيشي وهو دينار اعتباري) وهو دينار فرضي فكان يختلف حسب طبقات الجند فهو دينار ذهبي كامل للاتراك والاكراد والتركمان في عهد صلاح الدين ، وللعربان الكنانية من الجيش المصري يساوي نصف دينار اما الغزاة فدينارهم الجيشي ربع دينار اما العربان فدينارهم ثمن دينار [3]

## نظام الاقطاع العسكري في الدولة المملوكية :

اخذت فكرة توريث الاقطاعات تنتشر في المرحلة المملوكية واصبحت هي الاساس الذي يقوم عليه نظام الاقطاع .

وكانت مناشير الامراء تصدر عن السلطان ، اما الاجناد فمناشيرهم من امرائهم وكان منشور الامير يعين فيه لصاحبه ثلث الاقطاع ولاجناده الثلثان فلا يمكن للامير او مباشريه مشاركة الاجناد فيما يخصهم الا برضاهم . وكان الامير لا يخرج احداً من اجناده حتى يتبين للنائب الاسباب الموجبة لاخراجه من الاقطاع فان رأى موجباً استبدله بآخر يعينه الامير [4] .

وكان اقطاع المئتين في مصر مائتي الف دينار جيشيه ولا تقل عن ثمانين الف .

اما امراء الطبلخاناه ففي ثلاثين الف دينار الى ثلاثة وعشرين الف دينار

اما العشراوات فاعلاها سبعة آلاف دينار

واما اقطاعات اعيان اجناد الحلقة فاعلاها الف وخمسمائة دينار

اما الاجناد فاقطاعهم لايقل عن مائتين وخمسين دينار ا

اما في الشام وحماة ايضاً فقد جرت العادة ان يكون اقطاعهم ثلثي اقطاع امثالهم في مصر .

---

(1) حسنين ربيع : ٣٠ ـ ٣٢

(2) حسنين ربيع : ٢٢

(3) ابن مماتي : ٣٦٩/ مقال جب : ٩٩/ حسنين ربيع : ٦٤/ Ashtor:237

(4) الخطط المقريزية ج٢ : ٢١٦

وكان للامراء على السلطان كل سنة ملابس وعلى امراء المئين خيول مسرجة ملجمة ومن عداهم خيول عري على تمييز بينهم وكانت خيول السلطان تفرق مرتين في السنة وهو ما جرى في حماة وسبقت الاشارة اليه .

واقطاعات الامراء والجند اما ان تكون بلاداً وقرى يستغلها مقطعها كيف شاء ومنها ما هو نقد على جهات يتناولها منها.وبقي الحال هكذا حتى الروك الناصري حيث صارت الاقطاعات كلها اراض وقرى.[1]

وقد بدأت ظاهرة بيع الاقطاعات واستبدالها ومقايضتها بالظهور وذلك بعد العصر الذي ندرسه وبقيت حقوق والتزامات المقطع كما كانت عليه في العصر الايوبي .

يقسم الجيش المملوكي الى الجيش المملوكي في مصر وهو المسمى بالجيش السلطاني وجيوش بلاد الشام والجزيرة وسكان البادية وهم من العرب والتركمان وجركس وروم واكراد وغالبيتهم من المماليك المبتاعين .[2]

وتنظيم الجيش ضمن التسلسل الوظيفي كما يلي :

الطبقة الاولى : امراء الالوف من له مائة فارس وتقدمة الف فارس ومن هؤلاء يكون امراء الجيش وقادته . وربما زاد انعام السلطان على بعضهم بإضافة عشرة فوارس او عشرين .

وهؤلاء يكون لهم عساكر مماليك خاصة بهم وعددهم يتراوح بين مائة الى مائة وعشرين فارساً وفي المعارك تكون له قيادة (مقدم) الف فارس .[3]

ولا يوجد في حماة أمير الف كما اورد القلقشندي لأن عدد عساكرها خمسمائة فارس[4] .

الثانية : امراء الطبلخاناه : ومعظمهم ممن تكون له إمرة اربعين فارساً وربما انعم عليه بزيادة الى سبعين ولكن لا يقل العدد عن اربعين[5] .

والمراد بالطبلخاناه ما نسميه في عصرنا (موسيقى) وامير الطبلخاناه هو الذي يرقى الى درجة يستحق

---

(١) الخطط المقريزية ج٢ : ٢١٦ : Ashtor: 236—237

(٢) الخطط المقريزية ج٢ : ٢١٧

(٣) الخطط المقريزية ج٢ : ٢١٥

(٤) صبح الاعشى ج٤ : ٢٣٨

(٥) الخطط المقريزية ج٢ : ٢١٥

بها ان تضرب الموسيقى على بابه . . . ويعد في الدرجة الثانية من الامراء [1]. وقد كان أبو الفداء أمير طبلخاناه

الثالثة : امراء العشرات : وربما كان لهم عشرون فارساً [2] وكان اول منصب عسكري لابي الفداء تسميته امير عشرة خلال معركة عكا

الرابعة : جند الحلقة[3] وهم جند الامراء

اما تنظيم وحدات الجيش فقد كانت ضمن الطوائف التالية :

١ ـ الاولى طائفة المماليك السلطانية وصفهم القلقشندي بأنهم اعظم الاجناد شأناً وارفعهم قدراً واشدهم قرباً واوفرهم اقطاعاً ومنهم تؤمر الامراء رتبة بعد رتبة .

٢ ـ الفرقة الثانية : مماليك الامراء أي الذين اشتراهم الأمراء التابعون للسلطان ويشتركون في الحرب مع السلطان ولكل امير عدد من المماليك حسب درجته ورتبته ، وجيش حماة هو من هذه الفرق .

٣ ـ الفرقة الثالثة : أجناد الحلقة : وهم مماليك السلاطين والامراء السابقون واولادهم وقد اصبحوا بمثابة جيش نظامي ثابت لا يتغير بتغير السلطان.ويشرف على كل الف منهم وقت الحرب امير مائة مقدم الف . اي مقدم له الحق في شراء مائة مملوك لنفسه ويقود وقت الحرب الف جندي من أجناد الحلقة[4] . ويوجد في حماة بعض أجناد الحلقة كما سلفت الاشارة .

وقد يضاف الى هذا الجيش عند الحاجة عدد غير محدد من العسكريين الاحتياطيين إنما يحدد وفق الحاجة وذلك من التركمان والاكراد والعرب (البدو) وهم جند غير نظاميين يعملون بالاجور . أما الجيش فكان ينقسم الى اطلاب كل طلب يضم ما بين ٧٠ ـ ٢٠٠ وعلى راس كل طلب امير وكانت الاسلحة توضع في الزردخانة ولا توزع وتلبس الا قبل القتال مباشرة . واستخدام الجيش المجانيق والعرادات واستخدام الحجارين والنقابين والخراسانية الذين يحاربون في الدبابات والجاندرية (المشرفون على النار) والزراقين والنفاطين . كذلك استخدام الجيش في تبادل الرسائل ، الطيور وشجعها(حتى ان في قلعة دمشق برج للحمام) واستخدم الجيش الراصدين والجواسيس . وكانت عناصر الجيش تتكون من الفرسان والرجالة والرامح والنابل[5] .

اما السلاح الفردي فكان السيف يشد على الوسط . وكان الدبوس يوضع على الساق وكانت

(١) ولاة دمشق في عهد المماليك : ٢٤

(٢) الخطط المقريزية ج٢ : ٢١٥

(٣) الخطط المقريزية ج٢ : ٢١٥

(٤) دولة المماليك : ٢٠٣ ، الحروب الصليبية للتميمي : ١٤٧

(٥) الروضتين ج٢ : ٧٦ ، تاريخ العصر الايوبي : امينة بيطار : ٢٥٢ ، مصر والشام : ١٤٠ ـ ١٤١

الرماح تستعمل ايضاً عند بدء المعركة وتحمل باليد[1] .

وكان على الجندي إن يستحضر معه ما يلزمه من مؤ ن ويحدد القائد المدة المتوقعة حتى يأخذ الجنود مؤنهم على قدرها لذلك تقام الاسواق قبل التحرك بعد ان يعطى الجنود رواتب الاقامات الاقطاعية لشراء حاجياتهم منها[2] .

وكان جيش حماة يقاتل مع السلطان ضمن نظام التشكيل الخماسي وكان مركزه في الميمنة اعتباراً من عهد تقي الدين عمر واصبح مركزه الدائم في الفترة الايوبية والمملوكية اذ اصبح من الفأل الحسن بقاء جيش حماة في الميمنة نظراً للانتصارات التي كانت تتحقق في كل معركة يشترك فيها جيش حماة .

وقد جاء تحديد عدد عساكر مملكة حماة في مرسوم تعيين ابي الفداء على حماة وبارين بعد انتزاع المعرة منه كما يلي :

«ويقيم على هاتين الجهتين (حماة وبارين) خمسمائة فارس بالعدة الكاملة من غير نقص» فقد حدد المرسوم عدد الجنود (الفرسان) الذين له حق بتعبئتهم وعليه واجب تامينهم بخمسمائة فارس اذ كان الرجالة(المشاة) يستحضرون تطوعاً عند الحاجة[3] لان ظروف المعارك التي كانت تتطلب سرعة الحركة فرضت الاستغناء عن الرجالة

ويبدو أن عدد المماليك العسكر للامراء لم يكن كبيراً في حماة فقد أورد ابو الفداء نصاً تحدث فيه عن تكريم السلطان محمد قلاوون على ابن ابي الفداء بهدايا ومن جملتها :

«وأمرّ له بأمرية وستين فارساً لخدمته وطبلخاناه»[4] .

وقد حدد القلقشندي ملاك ووظائف الجيش في مملكة حماة في عهده كما يلي :

«اما جيوشها فمن الترك ومن في معناهم وبها عدة من امراء الطلبخاناه والعشرات والخمسات ومقدمي الحلقة واجنادها ، وليس مقدم ألف»

فهو يصف لنا ان الجيش من الترك أي من المماليك الاتراك لانه لم يكن يسمح للسكان العرب المحليين بدخول الجيش كذلك لا يسمح للاكراد الا عند الضرورة (خلال فترة الحكم المملوكي وعوما عناه بتعبير «ومن في معناهم» .

---

(1) السلوك ج١ ق٣ : ٨٨٢ ـ ٨٩٥ ، المختصر ج١ : ٤٢ ـ ٤٣

(2) مقال جب : ١٠٤ ، تاريخ العصر الايوبي : ٢٥٠

الروضتين ج١ : ٢٧١ ، مصر والشام : ١٤١ ـ ١٤٢

(3) المختصر ج٤ : ٧٢

(4) المختصر ج٤ : ٨٩

وفي حماة عدة من امراء الطبلخاناة وعدة كل واحد منهم اربعين فارساً . وعدد من امراء العشرات فامير العشرة هو قائد عشرة من الاجناد الفرسان وامراء الخمسة يعينون عادة من اولاد الامراء وهم اكابر الجند . أما مقدمي الالوف فلا يوجد في حماة لأن عدد جندها مع بارين كما رأينا خمسمائة فارس فقط . يضاف اليهم مقدمي الحلقة واجنادها كما شرحنا سابقاً عن الحلقة واجنادها وعادة كان عدد جنود امير الحلقة اربعين جندياً[1] . ولم اجد نصاً يذكر وجود جنود (بطالين) في حماة .

مراتب الجيش ووظائفه : وقد اورد القلقشندي في صبح الاعشى نصاً يمكننا اعتماده حول مراتب جيش حماة ووظائفه «وبها (حماة) من ارباب السيوف الحجوبية ، وبها حاجبان : الكبير منهما طبلخانه (مرتبته) والثاني عشرة ، والمهمندارية ، وبها اثنان وهما جنديان ، وشد مراكز البريد وبه جندي (أي يتبع الجند في ادارته) وامير آخورية البريد ، ومتوليها جندي (مهمته السهر على حظائر افراس البريد) . وولاية المدينة ، وواليها جندي .

ونقابة العساكر ، وبها اثنان هما جنديان أحدهما اكبر من الاخر .

وجميع ارباب الوظائف يوليهم النائب بها بتواقيع كريمة ، وليس بها قلعة لها نائب» كما بينا سابقاً لأن النائب ذو صفة عسكرية .»[2] .

أما قائد الجيش فكان ملك حماة الذي كان يتحرك مع عسكره حسب الدستور المرسوم له.وكان صاحب السلطة العليا على جيش حماة السلطان الذي لا يتم امر كبير كان أو صغير دون اذنه.فله ان يسير جيش حماة بدستور ولا يعود الا بدستور.وله ان يسير الجيش مع ملك حماة (كما رأينا) أو دونه.وقد يعين من هوالقائد او ان يعينه صاحب حماة. فقد رأينا أباالفداء يعين قاضياً أخاه أو ابنه أو عمه في قيادةالجيش لمهمات خاصة كمهمة الاشتراك في الهجوم على بلاد الروم أو حماية غلال الرحبة .

ويكون تصرف الجيش حسب الدستور فان كان فيه فتح حصن فتحه او كانت حملة تأديبية فقط قام بها . ولا يحق له القتل والسبي والاسر الا بالدستور مع ان هذه القاعدة لم تكن مرعية دائماً بسبب طمع الجند في سبي ونهب المعسكرات المعادية والمدن المفتوحة .[3]

وعموماً فقد كان دخل الجند في العصر الايوبي اعلى مما كان عليه في العصر البويهي والسلجوقي وان ايرادات الجيش كانت جيدة وبزيادة مضطردة فقد كان الجزء الأعظم من دخل الدولة كان يحول لرواتب الجند[4].

---

(١) الحروب الصليبية للتميمي :١٤٧

(٢) صبح الاعشى ج٤ : ٢٣٨

(٣) صبح الاعشى ج٤ :٢٣٨

(٤)ashtor : 237

## مراكز الادارة في مملكة حماة الايوبية :

كانت حماة صورة مصغرة عن السلطنة فضمت اكثر الدواوين : من ديوان الزكاة وديوان الاقطاع وديوان البر وديوان الانشاء وديوان المكاتبات وديوان الولاية حيث فيه كاتب الدست وكتاب الدرج .

وبها وكيل بيت مال والمحتسب . وفيها ولاية الجند وأمير اخور (متولي أمر خيل الملك وابله .)

وفيها دار عدل حيث يتواجد فيها كما سبق الذكر اربعة قضاة عن المذاهب الاربعة الحنفي والشافعي والمالكي والحنبلي . اما قاضي العسكر فهو حنفي لان العساكر اكثرها اتراك مماليك أو أكراد وهم من المذهب الحنفي .

وفيها رجال افتاء دار العدل والمحاكم ،

وفي حماة كما رأينا دار للضيافة . واهم مراكز الادارة في حماة قلعتها حيث أقام الملك وحاشيته وفيها السجن ومكتبة وجامع ومستوصف وعساكر شحنة القلعة [1] .

اما ديوان الجيش فهو الذي يشرف على جيش حماة ويقوم بتوزيع الاقطاعات وترتيب الجوامك الخاصة بالمماليك ومن المعروف انه تم مسح جديد لاراضي الشام سنة ١٣١٣م وذلك للمرة الثانية وقد شمل حماة . وسمي (بالروك الناصري) زمن السلطان الناصر محمد بن قلاوون [2] .

كذلك يذكر القلقشندي ان في حماةمركزاً للبريد (شد مركز البريد وبه جندي) وهو المسؤول عن البريد ثم هناك (أمير أخورية البريد ومتوليها جندي) وهو المسؤول عن خيل البريد وحاجاتهم . [3]



(١) صبح الاعشى ج٤ : ٢٣٧ ـ٢٣٨ ، ومهرجان ابي الفداء : ١٦٨ -١٦٩

(٢) تاريخ المماليك : ٢٢٩

(٣) صبح الاعشى ج٤ : ٢٣٧ ـ٢٣٨ وقد سبق وفصلنا في الوظائف نقلاً عن صبح الاعشى . وانظر ايضاً ولاة دمشق في عصر المماليك لمحمد احمد دهمان : ٢٣ -٣٦ وانظر حتى ج٢ : ٢٧٤ -٢٧٥

# الفصل الثامن

## الحياة الاجتماعية

### ١ ـ السمة العامة للحياة الاجتماعية :

اتسمت الفترة الايوبية بسمة عامة اتصفت بالاقتصاد والحذر والاستعداد الدائم للقتال بسبب ظروف الحروب الصليبية التي كانت في اوجها.وتلتها فترة ظهر فيها خطر المغول اضافة للاخطار الداخلية .

كما ويضاف عوامل اخرى مهمة لهذه الفترة هي الاتجاه الديني الذي نشأ اثر التغلب على المذهب الفاطمي واحلال المذهب السني.لذلك أخذت المدارس بالانتشار وكثر المصلون والمتعلمون.وقد ساعد على هذا الاتجاه ظروف الحرب التي جعلت حب الجهاد والسعي له من أهم مظاهر العصر . فنشأت الرباطات التي هي مركز ديني وعسكري يأتيه المتدينون متعبدين ومنقطعين للصلاة والعبادة وللدفاع ومقارعة الصليبيين حتى انه نشأت بعض الرباطات للنساء .

وربما اخذ هذا من سياسة ملوك ايوب وعلى رأسهم صلاح الدين الذي وصف سياسته واهتماماته ابن شداد ضمن اطار حب الخير والصلاح والتدين والجهاد [١]

ورغم ذلك فان الحياة لم تكن مجدبة كل الجدب بل كان هنالك احتفالات ورحلات وحركة دائبة . وقد امتازت الفترة الايوبية باحياء الاعياد الدينية والاحتفالات بها بهدف احياء روح السنة وروح الجهاد والنضال فكان يُراعى الاحتفال بعيد الهجرة النبوية والمولد وعاشوراء وكانت مواسم الحج والعمرة تترافق باحتفالات كبرى وكان لحماة قافلة حج خاصة بها ولها أمير حاج خاص وكان في بعض الاحيان يذهب ملك حماة وصاحبها على رأس قافلة الحج كما فعل ابو الفداء عند ذهابه للحج اول مرة [٢]

---

(١) تاريخ العصر الايوبي : ٢٢٨ ـ ٢٣١ مصر والشام ١٣٢ ـ ١٣٣ ، النوادر السلطانية : ٢١

(٢) دمشق بين عصر المماليك والعثمانيين : ١٥١ ، وانظر ايضاً بحث المجتمع في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية للدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور المنشور في كتاب اعمال المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام لعام ٩٧٤ : ٢١٩ ـ ٢٤١ ، وانظر حتى ج٢ : ٢٥٧ ـ ٢٥٨

وقد احدث صلاح الدين في حمص وحماة خميس المشايخ او الدعسه .

ورغم ذلك فان الفترة المملوكية في مملكة حماة الايوبية قصيرة كما قلنا وهي استمرار لفترة الايوبيين في بقاء الكفاح ضد الصليبيين والمغول والصراعات الداخلية مع ان الامور أخذت تنفرج نوعاً ما ، بعد ان انحسرت موجة الصليبيين الا ان موجة المغول حلت محلها واخذت بالاشتداد .

## ٢ ـ التشكيل العرقي في حماة :

كان سكان حماة اعتباراً من بدء الفتح الاسلامي لبلاد الشام يعودون لقبيلة قيس من المضرية ولم يساكنها او يجاورها أي قبيلة يمنية لذلك انعدمت فيها المشاحنات والصراعات التي كانت تجري في المدن الاخرى .

وبقي العنصر العربي هو صاحب الاغلبية في حماة مع انه فقد مركزه السياسي بعد ان حل الاكراد في الزعامة السياسية والعسكرية في حماة .

وسكن حماة أيضاً طائفة من المماليك الاتراك الذين استخدمهم ملوك حماة وامراؤ ها. يضاف الى ذلك وجود طائفة من الافرنج البنادقة التي كانت على صلات تجارية طيبة مع المسلمين رغم وجود الحروب الصليبية.اذ بقيت هذه الطائفة من التجار بعيدة عن الصراع الصليبي وبقيت في مراكزها واعمالها ونجد في حماة زقاقاً خاصاً يسمى زقاق الافرنج .(١)

## ٣ ـ الطبقات في المجتمع :

طبقاً لطبيعة العلاقات القائمة والتشكيل الطبقي والظروف الحياتية والسياسية لفترة ظهور مملكة حماة الايوبية فقد تشكلت عدة طبقات في المجتمع متمايزة فيما بينها في كل شيء .

١ ـ طبقة الحكام : وقد كانوا اولاً من الايوبيين وعلى راسهم الملك الايوبي وهم من اصل كردي كما قلنا وكان الملك في حماة يعتمد على اهله الاقربين ثم على جماعته . وكان يتم من الاكراد تشكل القسم الاكبر من الجيش ولا يسمح للسكان المحليين من الانضمام اليه . وفي فترة المماليك اخذ الملك الايوبي يعتمد على المماليك وخصوصاً مماليكه وذلك حسب طبيعة وعادة العصر .

٢ ـ طبقة اصحاب الاقطاعات : وهم من الأمراء والملوك والاجناد واصحاب الامتياز وهم سادة وتعاملهم مع السلطة يستند لنفوذ كل واحد منهم على حدة وقدرته ، اما مع الشعب الحموي العادي فهم بمثابة طبقة عليا واسياد وقد عانى الشعب منهم الكثير من عنتهم وجورهم وتسلطهم . ورأينا ان ابا الفداء قبل انتزاع المعرة ليتخلص من الامراء المقيمين بحلب خوفاً من تسلطهم أو من أن يوقعوا بينه وبين

---

١) مهرجان ابي الفداء مقال احسان العظم ١٧٠ ـ ١٧١ .

السلطان محمد بن قلاوون رغم علو شانه ومنزلته عند السلطان .[1]

٣ ـ طبقة رجال العلم والدين والصوفية :

وقد كان لهذه الطبقة مكانتها وكان لبعض رجالاتها اقطاعات كبيرة . وكان جمع اكبر عدد من رجال الدين والعلم والصوفية في بلاط الملك يعني عظمة الملك وعلو منزلته لذلك قيل عن بلاط المنصور انه كان في خدمته مثا متعمم وهو: الزي الخاص بهذه الطبقة .[2]

وكان لبعض رجالات هذه الطبقة منزلة خاصة لدى الملوك فكان اعلى درجات تكريمهم في ان يفرش للعالم للنوم مع الملك في غرفته .[3]

٤ ـ طبقة التجار : وقد تشكلت هذه الطبقة طبقاً لظروف موقع حماة فهي محطة البدو الاولى والأهم ، وتجارة حماة معهم ازلية أبدية . وحماة موقع مهم للتجارة مع الحشيشية الذين فقدوا الاتصال بالجميع عدا حماة .

وكان للتجار الفرنج من البنادقة علاقات هامة مع حماة[4] حتى كان لهم في حماة حي خاص بهم ولعبوا دوراً مهماً خلال فترة الحروب الصليبية . كذلك نشأت تجارة الرقيق اثر الحروب وعمليات الأسر الكبيرة . ويضاف الى ذلك موقع حماة القريب من طرابلس ومن الساحل . وموقعها على طريق دمشق حلب .

٥ ـ طبقة اصحاب الحرف والصناعات والعوام

وهم اقل مرتبة من التجار واعلى مرتبة من الفلاحين وتضم هذه الطبقة سائر اصحاب الحرف والصناعات وكان لهذه الطبقة تنظيمات نقابية متوارثة تحمي حقوق اصحابها وتنظم العلاقات فيما بينها وتنظم شروط واجراءات الانتساب الى كل حرفة وصناعة

وكان على رأس كل حرفة شيخ للحرفة وله نواب وللمتدرب استاذ يقوم بتعليمه وتدريبه ، وقد كانت هنالك تكتلات نقابية (أصناف) .

وكان اصحاب الحرف والصناعات المتشابهة يتجمعون في اسواقهم ومناطق سكناهم .[5]

٦ ـ طبقة الفلاحين : وهم يشكلون الطبقة الكبرى اذ تعتمد حماة في وجودها واستمرارها على العاصي

(١) انظر النظام الاقطاعي عند حتي ج٢ : ٢٦٢ -٢٦٣

(٢) المختصر ج٣ : ١٢٥ -١٢٦

(٣) السلوك ج١ ص١ : ٢٥٨

(٤) العلاقة بين البندقية والشرق التدفق الاسلامي في العصر الايوبي ——— : ٢٥٧

(٥) النقابات في الاسلام : برنارد لويس ترجمة عبد العزيز الدوري مجلة ا لرسالة اعداد السنة الثامنة.

وعلى الزراعة.وكان الفلاحون الذين يشكلون السواد الاعظم في المجتمع الحموي لمملكة حماة الايوبية. وكانت هذه الطبقة مسحوقة بطبيعة الامر وذلك لكثرة التكاليف المفروضة عليها. ولوجود نظام الاقطاعات الذي انتشر وتوسع وكاد يقضي على كل شيء.

ولم تذكر المصادر عن توتر في العلاقات بين المدينة والريف او عن وجود اضطرابات في تلك العلاقات او مع السلطة الحاكمة.

اما معلوماتنا عن الحياة الاجتماعية العادية فهي نادرة جداً وترد في المؤلفات التاريخية بشكل هامشي ويكاد يصدق ما يقال ان المؤرخين إنما كتبوا تاريخ الملوك فقط إذ ان المعلومات الاجتماعية العادية وردت بما يخص الملوك ايضاً ولسبب يتعلق بهم.

فقد عرفنا ان حماة كانت مضطرة لحلف يمين الولاء للملك الايوبي ثم لابنه الذي سيرث العرش. وان في اغتصاب سلطة الابن من قبل اخيه أو عمه يعني بقاء الولاء في اليمين او اعتبار اليمين لاغياً لأنه تم اكراهاً وذلك بعد افتاء من قبل قاض. ورأينا أن المنصور قام بتحليف اهل حماة لولده الملك المظفر تقي الدين محمود ولكن قلج ارسلان اغتصب الملك. وعاد الملك المظفر تقي الدين محمود بقوة السلطان استناداً لتحليف اهل حماة اليمين له.[1]

اما مشاركة الشعب في السياسة فقد كانت محدودة ولا تظهر في كتب المؤرخين الا حينما تتخذ مظهراً من مظاهر العنف أو الثورة.

ففي عام ٥٧٧هـ/ ١١٨١م ثار اهل حماة ورفعوا راية عز الدين صاحب حلب فقاومهم تقي الدين عمر.

بينما نجد اهل حماة يستقبلون بحماس صلاح الدين الايوبي عند مروره منها في نفس العام بعد سقوط حلب بيده.

ونرى الملك الظاهر بيبرس يعاقب صاحب حماة الملك المنصور بسبب انشغاله عن مصالح المسلمين باللهو.[2]

ثم نجد ان اهل حماة قد اشتكوا على عثمان نائب قراسنقر بعد عودة قراسنقر اليها بسبب نهبه لاموالهم وهتك الحريم وقد منع قراسنقر نائب حماةأهل حماةمن الوصول إليه بعد ان قام عثمان برشوته باعطائه اموال حماة ليحميه. الا اننا نجد فيما بعد أن أبا الفداء تتبعه حتى امسك به وضرب عنقه في سوق خيل حماة.[3] كذلك نجد حماة تلبس السواد حداداً على وفاة ملكة خاتون.[4] كما ونجد ان حماة

---

(١) المختصر ج٣ : ١٢٥ -١٢٦

(٢) المختصر ج٣ : ٢١٩

(٣) المختصر ج٤ : ٤٤

(٤) مفرج الكروب ج٤ : ٧٧ -٧٨

وتحتفل به في كل مناسبة .
تفاعل جيداً مع ابي الفداء وتبادله حباً بحب وعاد لحماة حيث دخلها ليلاً
ويذكر ابو الفداء انه بعد زيارته لمصر سنة خمس عشرة وسبعمائة الا انه تخفيفاً
وقصد من ذلك عدم التثقيل على الناس اللذين كانوا قد زينوا حماة واحتفلوا بالبسط لقدومه
عنهم دخلها بغتة ليلاً .[1] بالا يقف احد
ونرى الامير تنكز نائب الشام المتوجه الى بلاد سيس يمر على حماة فينادي فيها المنادون
ومن كانت له حاجة فعليه بصاحب حماة .[2]
لملك الامراء تنكز بقصة (شكوى) السلطان الملك المؤيد ابي الفداء
الا ان ظلم اهل حماة الذي اشتد من قبل الملك الافضل محمد بن عن حماة ونقله
لم يذهب دون عقاب فقد بلغ حكام القاهرة فقام الامير توصون بعزل الملك الافضل محمد على حماة واسقط
الى دمشق ليكون اميراً من جملة الامراء وبذلك انهى حكم الايوبيين من البيت التقوى فقد كان الملك
بذلك مملكة حماة الايوبية[3] . ولم تكن الصورة عاتمة دائماً بين الشعب والملك الايوبي والصوفية وقد
والامراء في كل مناسبة يقيمون الاحتفالات للشعب ويقدموا السماط (الطعام) للفقراء
غالى بعضهم في تقديم السماط[4]
كذلك تميزت الفترة بنشاط اجتماعي من نوع آخر وهو كثرة الاوقاف الموقوفة على المنشآت الدينية
والتعليمية والمنشآت الاجتماعية . كذلك كثرت المؤسسات الاجتماعية مثل السقايات (موضع السقي) أي
السبيل وقد رأينا انشاء سبيل في المعرة من قبل نائب ابي بالفداء .
كذلك كثرة الحمامات العامة التي كانت تستقطب النشاط الاجتماعي .
ونشاط اصحاب الرباطات والمتصوفة كان يمثل مظهراً اجتماعياً مهماً سواء في احتفالاتهم الخاصة أو
دروسهم او مراسم صلاتهم بنظام يتوجهون به للمسجد ويعودون الى الرباط والخانقاة .
ولعبت المراة دوراً هاماً في الحياة الخاصة والعامة فكانت شيخة ومتصوفة وكانت بعض الرباطات
خاصة بالنساء حتى ان بعضها كان لها مهمة اجتماعية في ايواء المطلقات واللاتي ليس لهن اهل ومأوى[5] .
وقد تجمعت الطبقة الحاكمة في حي خاص بها.شكل هذا الحي فيما بعد حارة الكيلانية الذي يعرف
حتى الآن بهذا الاسم وبان الايوبيين قد سكنوا به انشأوا قصورهم .
واخيراً فكم كان عدد سكان حماة ؟ ورد تعداد لعدد سكان حماة في مطلع الفترة الأيوبية فقد زارها بنيامين

---

(1) المختصر ج٤ : ٧٩
(2) السلوك ج٢ ق٢ : ٤٦٧ وكان لقب ملك الامراء يعطى لنائب الشام لكونه المتقدم على سائر امراء الشام .
(3) المختصر ج٤ : ١٣٤ ، السلوك ج٢ ق٢ : ٥٢٣
(4) مصر والشام : ١٣٣
(5) تاريخ العصر الايوبي : ٢٢٨ - ٢٣٦ ، كتاب الاعتبار لاسامة بن منقذ : ١٧٥ - ١٧٦

التطيلي مابين اعوام (٥٦١-٥٦٩)هـ (١١٦١-١١٦٩)م وهي المدة التي استغرقتها رحلته من الاندلس الى الشرق الاقصى والعودة الى الاندلس . وقال في تعداد سكان حماة ان الزلزال العظيم سنة ٥٥٢هـ/١١٥٧م (وكان قريب العهد من زيارة بنيامين) قد اهلك من اهلها خمسة عشر الفاً ولم يبق منهم الا سبعون»[1].

ومع ان المبالغة في عدد من بقي من حماة ظاهرة الا ان هذا الزلزال ازال من الوجود مدناً كاملة بكل من فيها كما رأينا في شيزر .

مما يعني ان عدد سكان حماة في تلك الفترة كان يقارب الخمسة عشر الفاً .

٤ ـ الزي :

يقول القلقشندي : «واعلم ان الدولة الايوبية لما طرأت على الدولة الفاطمية وخلفتها في الديار المصرية خالفتهم في كثير من ترتيب المملكة او غيرت غالب معالمها وجرت على ما كانت عليه الدولة الاتابكية عماد الدين زنكي بالموصل ، ثم ولده الملك العادل نور الدين محمود بالشام وما معه ، وكان من شأنهم ، فمنهم يلبسون الكلوتات الصفر على رؤ وسهم مكشوفة بغير عمائم وذوائب شعورهم مرخاة تحتها سواء في ذلك المماليك والامراء وغيرهم .... وكان سيف الدين غازي بن عماد الدين زنكي حين ملك الموصل بعد أبيه أحدث حمل السنجق على رأسه ، فتبعه الملوك على ذلك والزم الاجناد ان يشدو السيوف في اوساطهم ، ويجعلوا الدبابيس تحت مركبهم عند الركوب كما حكاه عماد الدين صاحب حماه» .

فلما ملك السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله الديار المصرية جرى على هذا المنهج أو ما قاربه ، وجاءت الدولة التركية (يقصد المماليك) ، وقد تنقحت المملكة وترتبت ، فاخذت في الزيادة في تحسين الترتيب وتنصيب الملك وقيام ابهته ، ونقلت عن كل مملكة احسن ما فيها ، فسلكت سبيله ، ونسجت على منواله حتى تهذبت وترتبت ، وفاقت سائر الممالك ، وفخر ملكها على سائر الملوك .

ولم يزل السلطان والجند يلبسون الكلوتة الصفراء بغير عمامة الى ان ولي السلطان «الملك الاشرف خليل» بن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاو(ن السلطنة ، فاحدث الشاش عليها فجاءت في نهاية الحسن ، وصاروا يلبسونها فوق الذوائب الشعر المرخاة على ما كان عليه الامر اولاً الى ان نجح السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون في سلطنته الثالثة ، فحلق رأسه وحلق الناس رؤ وسهم واستداموا حلق رؤ وسهم وتركت ذوائب الشعر الى الآن»[2] .

وكان للملوك داراً للطراز لتجهيز الالبسة وخياطتها وتأمين الاشكال والانماط لكل مناسبة وزمان ومكان .

(١) رحلة بنيامين التطيلي : ١٢٠ -١٢١
(٢) صبح الاعشى : ج٤ : ٥ -٦ وانظر ايضاً في المختصر ج٤ : ٢٢٠ ركوب المظفر بشعار السلطنة

وكان لها موظفوها وناظرها وعمالها ومشرفوها وشاهد[1]

ولم اعثر على نص يصف ثياب الشعب الحموي .

٥ ـ الاحتفالات والاعياد بحماة :

كانت الاحتفالات والاعياد مواسم اجتماعية ناشطة فيتم الاحتفال باقامة الزينات والافراح والخروج باحلى الثياب.وتعطل الاعمال . ومن الاحتفالات ما يكون رسمياً سواء خاصاً بمملكة حماة وبملكها فهنالك احتفال مرّ ذكره معناً كثيراً هو لبس التشريفات السلطانية . كذلك هنالك احتفالات استقبال الوفود الواردة الى حماة من سلطان أو ملك او نائب أو رسول.وتجري الاستقبالات من خارج حماة حسب رتبة المحتفى به.فاستقبال السلطان من دمشق ، والنائب والملك من الرستن ومـا دون ذلك من ضواحي حماة . ويتم الاحتفال بمرسوم يصدر عن السلطة وباوامر بالتزيين والاحتفال . لذلك هنالك احتفالات سلطانية وهي ما يتعلق بالسلطان من اعياد.واحتفالات خاصة به كزواج له او لابنه او (بنته) أو لاولاده . أو احتفال لطهور أو تنصيب،أو مرض أو وفاة .

ومنها ما يتعلق بالشؤ ون العامة مثل فتوحات أو نصر عسكري . وهناك احتفالات عامة منها الديني ومنها المحلي : مثل عيد رأس السنة الهجرية وعاشوراء وعيد المولد النبوي الشريف ودوران المحمل وذهاب وعودة الحاج وليالي الاحياء إذ يقدون الشموع والقناديل بالجوامع حيث يتم الاجتماع للذكر والقراءة مثل ليلة اول رجب وليلة المعراج وليلة نصف شعبان وخميس المشايخ وهو الخميس الذي يوافق الخميس الكبير. كذلك هناك العيد الصغير (عيد الفطر)والعيد الكبير (عيد الأضحى)[2] . وقد نقل شيخ الربوة عن احتفالات كبرى تجري بحماة في هذه الفترة منها عيد الفصح ومدته في حماة ستة ايام يُعطل فيه اهل حماة ويلبسون احلى الثياب ويأكلون اطيب الطعام.ويرد الناس الى حماة لمشاهدة الاحتفال من سائر البلاد المجاورة حيث يطلعون الى العاصي يغنون ويرقصون وينامون بالخيام . كذلك يحتفل بعيد اول صوم النصارى.ويوم نزول الشمس برج الحمل.وخميس الاربعين (خميس الصعود).وعيد الخميس (الصغرة) .وعيد الميلاد وعيد الختان والغطاس وعيد دخول الهيكل (خميس العهد).وعيد النور وعيد التجلي وعيد الصليب . [3] وهذا فيه دلالة على مكانة المسيحيين في حماة وطبيعة العلاقات بينهم وبين المسلمين تلك الطبيعة التي اتصفت بالود والمشاركة في الافراح والاحزان رغم ظروف الحروب الصليبية القاسية.ويضاف الى ذلك الاحتفالات العادية الشخصية من حفلات الحمامات والحج والطهور وغيرها .

وقد عرف عن حماة وجود دار الفرح فيها في محلة باب الجسر وهي من العصر الايوبي ومن البيوتات الايوبية . وكانت وقفاً للافراح . فمن اراد ان يتزوج مثلاً يأخذ مفتاحها من متوليها ثلاثة ايام

---

(١) قوانين الدواوين : ٣٣٠

(٢) تاريخ المماليك : ١٤٥ ـ١٦٠ ، مصر والشام : ١٣٣ ـ١٣٤

(٣) نخبة الدهر : ٢٨٠ ـ٢٨٢ . وانظر الملحق المتعلق بالاحتفالات والاعياد بحماة

يفعل ما يشاء وكان فيها خمس وثلاثون بيتاً (أي غرفة) وقد زالت معالمها الآن بعد أن هدمت وبيعت حجارتها للحجارين [1] .

٦ ـ رحلات الصيد : من النشاطات الاجتماعية المهمة ، ورأينا حضور ابي الفداء لبعضها سواء مع عمه في صيده النسور بالبندق ومع السلطان محمد بن قلاوون في مصر . وقد كانت حفلات ورحلات الصيد احياناً تؤدي الى اعباء كبيرة على الفلاحين سكان المناطق التي تحدث فيها رحلات وحفلات الصيد.ورأينا ان من أسباب سقوط مملكة حماة الأيوبية الثقل الذي سببه صاحبها والارهاق الذي حدث للفلاحين في المنطقة من رحلة صيده مع الامراء والنواب ، وكان لبعض الأشخاص تفوق كبير في رمي البندق ولهذه اللعبة اصولها ومسابقاتها كما سبق القول .



(١) الاعتبار : ٢٤٥ ـ ٢٩٠ / العمران عدد حماة (٢٩ ـ ٣٠ : ٧٧)

# الفصل التاسع

## الحياة الاقتصادية

كانت الحياة الاقتصادية في عصر الايوبيين والمماليك في مملكة حماة تخضع (نظرياً على الاقل) لتنظيم دقيق كان اساس دواوين الايوبيين والمماليك ، ونجد في كتاب قوانين الدواوين للاسعد بن مماتي بما يخص العصر الايوبي من هذا التنظيم ونجد لدى النويري في المجلد الثامن من كتابه نهاية الأرب في فنون العرب تنظيمات ودواوين العصر المملوكي .

وفي نظرة الى واردات دولة حماة نأخذ فكرة عن سلامة اقتصادها فهذا الملك الناصر تعهد للملك المعظم عيسى بدفع مبلغ قدره اربعمائة الف درهم مقابل سماحه له بالذهاب الى حماة لاستلام العرش بعد أن حجزه مدة في دمشق.وعندما رفض الملك الناصر الدفع سار الملك المعظم عيسى الى حماة في شهر ذي الحجة من عام ٦١٩هـ[1] مما يعني ان دخل حماة كان كبيراً وان اقتصادها مزدهراً في تلك الفترة . وقد تبين لنا ان ابا الفداء وهب الامير سيف الدين قجلس الذي دخل معه حماة بعد عودتها للبيت الايوبي مبلغ اربعين الف درهم عدا الهدايا والخيول والاعطيات والخلع[2]

وجرت العادة ان يهب سنوياً للامير ايبك خلعاً وحصاناً وخمسة الاف درهم وذلك عند احضاره الى حماة خلع السلطان محمد .[3]

وتلتزم حماة ايضاً باقامة كل زوارها الرسميين وخصوصاً السلطان الذي تكلف اقامته الكثير .

ونجد ان على مملكة حماة دفع مبالغ سنوية للسلطان تسمى (قودة) فقد ورد في المختصر انه في عام ٧٢٤هـ حصل جفاف ومحل شديد في بلاد الشام لذلك ارسل السلطان محمدبن قلاوون إلى ابي الفداء مرسوماً باعفائه من ارسال(القودة) وذلك لمساعدة حماة في محنتها. إلا ان ابا الفداء اكتفى كما يقول بارسال عدة يسيرة من الخيل التي كان قد حصلها للسلطان ،ولقاء ذلك تصدق السلطان عليه بتشريف كامل

---

(١) المختصر ج٣ : ١٣١

(٢) المختصر ج٤ : ٥٩ ـ ٦٠

(٣) المختصر ج٤ : ٧٤ ـ ٧٧

حسب العادة وستين قطعة اسكندري (قماش) وخمسين الف درهم . بينما كانت العادة قبل الازمة هذه أن يحصل ملك حماة على خمسين قطعة قماش وثلاثين الف درهم سنوياً فقط .

كان النظام المميز لاقتصاد مملكة حماة مثلها مثل مصر وبلاد الشام يغلب عليه الاقطاع فالاقطاع اساس الملكية وقد وصل لدرجة ان ابا الفداء تخلى عن المعرة بكاملها لتسد اقطاعات الامراء الذين استطاع التخلص منهم وابعادهم الى حلب خوفاً من حركاتهم ودسّهم عليه لدى السلطان .

وكان الاقطاع يمنح للامراء والجيش على مختلف فئاته كل بحسب درجته كما رأينا وكان للعلماء والاطباء وسائر المقربين اقطاعات أيضاً .

وكانت للدولة موارد كثيرة جاءت تفصيلاتها في كثير من الكتب التي دونت في تلك الفترة وكان هناك تمييز بين مال السلطان وحقوقه والتزاماته عن الملوك وحقوقهم والتزاماتهم . وكانت السلطة المركزية تقوم بتقديم المساعدة عند الضرورة كما رأينا في مساعدة مملكة حماة في سنة الجفاف ٧٢٤هـ واعفائها من (القودة السنوية) .

اما موارد حماة فانها تحصل : من خراج الارض فهناك على الاقطاع ضرائب منها ما هو نقدي ومنها ما هو مكيل (عيني) حسب الامر السلطاني وتحصل مرة في السنة ، وهناك الجوالي (ما يؤخذ من اهل الذمة بالسنة) . ثم من المواريث الحشرية (من يموت ولا وارث له فيعود للدولة كامل ارثه ويسمى المواريث الحشرية) .

١ ـ ومن اموال الدولة ما يسمى الهلالي وهو عبارة عما يتحصل اجوره مشاهرة كأجر الاملاك المسقفة من الدور والحوانيت والحمامات والأفران وأرحية الطواحين الدائرة بالحواصل والراكبة على المياه المستمرة الجريان لا الطواحين التي تدور بالمياه الشتوية في بعض نواحي الشام فانها تجري مجرى الخراجي.ومن الهلالي اعدا د الاغنام والمواشي.واجارات الاملاك العامة مع حذف ايام الشهور الناقصة ضمن شروط للتسجيل والجباية بينها ابن مماتي في قوانين الدواوين ، والنويري في نهاية الارب[1] .

٢ ـ أما الخراجي وهو ما يستحق سنوياً فهو مما قدر على الاراضي المرصدة للزراعة والنخل والبساتين الطواحين الموسمية والكروم والطواحينة السنوية (التي بمياه السيول) وما يتادى من خدم الفلاحين والمسمى في بد الشام : رسم الأعياد والخميس ، وهو اغنام ودجاج وكشك وبيض . ويحصل من النواحي الاقطاعية غالباً[2] ومن ابواب الخراجي بالشام ما يتحصل في خدمة رؤساء الضياع في مقابلة ما لهم من المطلق والوكلاء والنقباء والصيارفة والكيالين والضوئية (من يحملون المصابيح ويمشون بها ليلاً للانارة) في مقابلة ما يستادونه من الرسم .

ويبدو أن هناك اختلاف في النظم والاصول والنسب بين الشام ومصر اذ يقول النويري :

---

(١) نهاية الارب ج٨ : ٢٢٨

(٢) نفس المصدر : ٢٤٥

«والخراجي تختلف احكامه وقواعده بمصر والشام»[1] .

٣ ـ اما الخراج الراتب :

فهو لايكون الا بالنقد عينا او فضة وهو خراج السواقي والبساتين والنخيل وذلك ان اربابه يقاطعون الديوان على مساحة معينة بمبلغ عن كل فدان في كل سنة يقومون به في اوقات معلومة رويت الارض أو شرقت.ويؤخذ في ذلك ان في حماة نواعير تدور بالماء ويزرعون عليها تلك الاراضي ما احبوه واختاروه من اصناف المزروعات والأغراس ولا يطالبون عليها الا بالخراج المقرر وهذا الخراج يؤخذ ممن هو عليه سواء زرع أم لا وسواء كان حياً أو مات وعندها يحصل من ورثته[2] .

وقانون الخراجي بالشام مبني على نزول الغيث ووقوع الامطار في اوانها واوقات الحاجة اليها ولهم في ذلك تفصيل:فأول مطر يسمى الوسمي حيث يتم الزرع.والثاني الاحوى ثم يصبح غثاء.واخيراً يسمى المطر الفاطم.وغالباً ما يكون في نيسان.ويراعي ايضاً ما يسمى بزراعة الحب عفيراً (اي يباغت المطر قبل اوانه فيزرع الحب قبل اوانه) وله احكامه[3] .

وهناك تفريق بين خراج الارض التي تسقي بالمياه السارحة (بالراحة) ورسومها اعلى من تلك التي تستقي بالامطار .

ومباشر الخراج ببلاد الشام عموماً يبدأ بالزام رؤساء البلاد بمباشرة زراعة الأراضي وحفظ التربة ولهم بذلك مصطلحات (احمر واخضر) ويميز بين زرع الشتوي والصيفي ولكل نوع رسم واوان لقبض الرسم.وعادة تكون بالنسبة للغلال على البيدر وبعد التذرية فتكون مناصفة في اراضي السقي ومثالثة ومرابعة وهو في غالب البلاد . ثم خامسة ومسادسة في المزارع والنواحي الخالية من السكان ومسابعة ومثامنة للنواحي المجاورة للبحر او المجاورة لاراضي العدو[4]

ويتابع النويري في تفصيل الضرائب على كل نوع من الزرع والمصنوعات الزراعية (مثل دبس التمر) ....

ثم يبين ضرائب المراعي والمصائد (على صيد العاصي بحماة) واقصاب السكر وكان للموظفين طرق خاصة في التقدير وطرق خاصة في مسك الحسابات وتدقيقها ، وهناك طرق للطعن بالتقدير والاشتكاء الى المحتسب لا مجال للتفصيل هنا فيها .[5]

---

(١) نفس المصدر : ٢٤٦

(٢) نهاية الارب ج٨ : ٢٥٤

(٣) نهاية الارب ج٨ : ٢٥٦

(٤) نهاية الارب ج٨ : ٢٥٨ ـ٢٥٩

(٥) :ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ٣٠٧ ـ٣٠٨ النويري ، نهاية الارب ، ج٨ : ٢٥٨ ـ٢٥٩ محمد حسنين ربيع النظم المالية في مصر زمن الايوبيين .

يضاف الى ذلك الاموال الواردة من المعارك وغنائم الحرب واستبدال الاسرى والغرامات القضائية والحجوزات التي تفرض على بعض الاغنياء والامراء او الملوك ، وكل ذلك في تفصيلات نجدها في الكتب المتخصصة التي ذكرناها وفي كتب التواريخ التي جاءت على ذكر بعضها .

أما الزكاةفقد كانت في اول الأمر لمن تجب عليه وله الخيار في تفريقها او إعطائها للديوان ليفرقها، الا انه فيا بعد اصبح الواجب اعطائها للديوان واصبحت من مالية الولايات .

وقد كانت السلطة تقوم بالاجراءات اللازمة لحفظ المنتجات وحفظ حقوقها وحقوق اصحاب الغلال . من ذلك نجد ان ابا الفداء يأخذ العساكر لتنظيف القناة الآتية من السلمية بعد ان امتلات بالحجارة والطين وكادت تتلف .

كذلك نجد السلطان يرسل مرسوماً لأبي الفداء لارسال عساكر حماة الى الرحبة لحفظ الغلال من هجمات البدو وجماعة مهنا وبالفعل قامت القوات الحموية بحفظ الامن وصيانة الغلال حتى تم توزيعها بالكامل وعادت القوات الى حماة بعد الانتهاء .

وكانت الواردات التي ذكرناها تشكل مبالغ كبيرة تصرف في خدمة المصالح العامة والابنية العامة والطرقات وتحصين المدن والقلاع وفي العساكر ، ومهماتهم ومهمات الامراء والموظفين وفي الاستقبالات والرسوم المقدرة للسلطان ومصروفات ملك حماة ومصروفات قصره .

وقد اورد المقريزي ما يؤ يد ذلك فقال ان السلطان ولى اقسنقر لاشادة العمائر في مصر والذي احضر المتالين من سائر البلاد الشامية وافرد للعمائر ديواناً خاصاً ، كان مصروفه اليومي من اثني عشر الف درهم الى ثمانية الآف . كذلك انتقل حب العمارة للملوك والناس «وكأنما نودي في الناس الا يبقى أحد حتى يعمر» ويعقب على عبارته هذه «وذلك أن الناس على دين ملكهم»[1]

وفي الختام فقد أورد ابن مماتي ملخصاً عن واردات الدولة في زمانه ونفقاتها وذلك حسب تعابير عصره ومع ان النص لم يرد بخصوص حماة، الا ان الضرائب المفروضة كانت متشابهة في كل انحاء الدولةالايوبية في عصره مما يمكننا استخلاص فكرة عن مطارح الضريبة في حماة فقال : «المعاملات التي استمرت (واردات بيت المال) والجهات التي استقرت (مطارح الضريبة) : الزكاة ، الجوالي المواريث ، الثغور المحروسة ، المتجر ، الشب ، النطرون (أو الاطرون) الجبس الجيوشي، الجاموس ، ابقار الخيس الأغنام ، الغروس ، البساتين ، الاحكار ، الرباع ، المراكب ، ما يستأدي من الذمة ، في ديوان الابواب ، خليج الاسكندرية ، البيوت ، ساحل السنط ، الخراج ، القرظ ، مقرر الجسور ، موظف الاتبان ، صندوق النفقات (أي مصارف ميزانية الدولة) : الاهراء ، المناخ ، خزائن السلاح ، البيوت ، ساحل السنط ، الخراج القرظ ، مقرر الجسور ، موظف الاتبان ، الاساطيل ، عمائر الاسوار ، صناعة

---

(1) السلوك ج٢ ق١ : ١٣٠ ـ ١٣١

العيار ، الطراز ، دار الضرب دار العيار ، العشر ، التفاوت ، العيانات ، الفواصل ، عجز العدة ، عجز الاموال .»[1]

فقد اراد في تعبير المعاملات حصر مجمل الضرائب التي ترد ميزانية الدولة ويبين مطارح الضريبة ، ثم يبين بعد ذلك مصاريف الميزانية على ابواب الميزانية وعلى دواوين الدولة التي كثيراً ما يكون لكل ديوان وارد او ان يكون الديوان بحد ذاته عصلاً للضرائب او عصلاً لنوع معين من هذه الضرائب .

واخيراً لا بد من ذكر مورد آخر وقد أخذت اهميته تتزايد مع الايام وهو ما يسمى بالمتجر والمقصود به استغلال الحاكم او السلطان لماله (علماً انه لم يكن هناك تمييز بين مالية الحاكم أو السلطان أو الملك وبين مالية الدولة او النيابة أو المملكة ، ، سواء في شراء المحاصيل الزراعية والحبوب وخزنها ثم بيعها عند ارتفاع اسعارها وهو امر تحول الحكام عنه فيما بعد الى تجارة الاخشاب والحديد والصابون والرخام والعسل وغيرها . وقد أخذ هذا النمط من التجارة اهمية كبرى وكان احياناً يسبب مظالم كبيرة للناس والرعية . وكان لهذه التجارة ديواناً باسم «ديوان المتجر» .[2]

## النظام النقدي :

لم يكن لحماة خلال حكم البيت التقوي فيها نظام نقدي خاص بها بل كانت تتبع نظام السلطان الايوبي في مصر ثم السلطان المملوكي في فترة المماليك .

وقد قال القلقشندي «أما معاملاتها (نقدها) فعلى ما تقدم في غيرها من المماليك الشامية من المعاملة بالدنانير والدراهم» .[3]

وكانت دور الصك (دار الضرب) في القاهرة والاسكندرية ويضرب الدرهم والدينار لقاء رسم اورده ابن مماتي في بحثه عن دور الضرب[4] وبين طريقة الضرب ايضاً وكان اول ضرب للنقود جاء من قبل صلاح الدين زمن سيده نور الدين ثم ضرب باسمه شخصياً وكلاهما مع اسم الخليفة العباسي .

واثناء الحروب الصليبية واجهت السلطة مشكلة هروب الذهب ، فاتخذ صلاح الدين اجراءات لرفع قيمة العملة فأمر سنة ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م بسك دراهم تكون نسبة الفضة ٥٠٪ والباقي نحاس فاصبح الدينار يساوي تسع دراهم (الدينار من الذهب) واستمر استخدام هذه العملة في عام ٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م .

(١) قوانين الدواوين : ٣٠٧ ـ٣٠٨ ، النظم المالية : ٥٨ وما بعدها ، مصر والشام : ١٣٧ ـ١٤٠ ، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ج٢ لفيليب حتى : ٢٧٧

(٢) تاريخ المماليك : ١٩٨

(٣) صبح الاعشى ج٤ : ٢٣٦

(٤) قوانين الدواوين : ٣٣١ ـ٣٣٣ ،لم يعثر في حماة او بلاد الشام عموماً على نقد من ضرب حماة او يختص بها .

وسك السلطان الكامل ديناراً نقياً نسبة الذهب فيه ١٠٠٪ وصك درهماً نسبة الفضة فيه ٦٦٪ كما اصدر فلوساً نحاسية وكانت قيمتها متغيرة ففي سنة ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م كان الدينار يساوي ٤٥ فلساً ووصلت قيمته بنفس السنة الى ٨٠ ثم ٩٠ ثم ١٢٠ فلساً . . لذلك اضطر الملك الكامل لاصدار مرسوم يحظر فيه التعامل بالفلوس النحاسية ، وأكد ذلك خليفته الملك العادل الثاني سنة ٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م .(١)

وقد جاء في كتاب النقود العربية وعلم النميات للاب انستانس ماري الكرملي ان الملك المنصور الايوبي بحماة قد اصدر ديناراً وان المماليك البحرية قد ضربوا فيها ديناراً دون ان يحدد السنة .(٢)

## الزراعة :

كانت حماة تعتمد على الزراعة في اقتصادها ، فهي اولاً واخيراً بلد زراعي وهي تعتمد على السهول التي تضمها اراضيها . وزراعتها : اما سقي تعتمد على العاصي أو موسمية تعتمد على الامطار .

ونظراً لانخفاض حوض العاصي عن الاراضي المحيطة به ، فقد اعتمدت حماة على النواعير وذكر ابو الفداء ايضاً نواعير بارين لسقاية الأراضي الزراعية .

وكانت الزراعة والمواسم والغلال من اهم الحواصل في المملكة ، ولها ديوان خاص وكانت الرسوم تفرض عليها بتفصيلات اوردناها .

ورغم ان توزيع الاراضي الزراعية يعتمد اسلوب الاقطاعات ، الا ان هذا الاسلوب نظراً لوجود ضوابط لمنع التعدي على الفلاح وعلى غلاله ادت الى حفظ حقوقه الى درجة ما ، إلا أنه لم يخل الأمر من مرور فترات يحصل فيها الكثير من التعدي .(٣)

وقد اهتمت السلطة سواء السلطان في مصر او الملك في حماة بالزراعة واحوالها ورأينا ان ابا الفداء يذهب مع عسكره لتنظيف قناة السلمية . ويرسل جنداً بأمر من السلطان لحماية غلال الرحبة .

وكانت الاخطار التي تهدد الزراعة اضافة للاخطار الناتجة عن الطبيعة من نقص الامطار او الصقيع او الحر الشديد أو سواها، هنالك خطر الغزو الذي كان يسرق المنتجات أو يحرقها أو يدمرها وكانت الحروب احياناً تمنع أو تقلص المساحات المزروعة .(٤)

وقد وردت بعض الجائحات التي ضربت المناطق الزراعية ولو ان اثرها على مصر كان اشد .(٥)

---

(١) تاريخ العصر الايوبي : ٢٢٧ ـ٢٢٨ ، مصر والشام ١٤٠ والمقريزي ج١ ق٢ : ٦، ٤٥ ، Ashtor 235-236
(٢) النقود العربية وعلم النميات الاب انستاس ماري الكرملي : ١٣٣ ، ٦١ ، ١٤٥
(٣) تاريخ العصر الايوبي : ٢١٨
(٤) نفس المصدر : ٢١٦ وانظر ايضاً : مصر والشام : ١٢٥ ـ١٢٨ ، تاريخ المماليك : ١٨٢ ـ١٨٤
(٥) انظر التفاصيل في كتاب الافادة والاعتبار لعبد اللطيف البغدادي تحقيق : احمد غسان سبانو

واشتهرت بلاد الشام بتقليم وتطعيم الاشجار والمزروعات وهم الذين نقلوها الى مصر حسبما جاء عند المقريزي .

واهم ما اشتهرت به حماة في الزراعة ما ورد في اوصاف مزروعاتها عند ابن بطوطة اذ يقول «وبحماة الفواكه الكثيرة ومنها المشمش اللوزي»[1] . والقمح والشعير والفول والحمص والعدس والثوم والبصل والكروم . وكذلك اعتنت حماة بالماعز والغنم بحسب صلاتها القوية مع البادية .

**الصناعة :**

مع ان حماة لم تشتهر بالصناعة كاشتهارها بالزراعة الا ان هناك مصنوعات تقليدية اشتهرت فيها حماة منذ القديم ويمكننا ان نفترض قياساً فنورد بعض الصناعات في حماة : التي تعتمد على الزراعة او على منتجات البادية من الغنم والماعز والجمال :

١ ـ المصنوعات التي اساسها زراعي : مثل الفواكه المجففة كالتين (المبول المجفف ببخار الماء أو الزبيب) والحرير الطبيعي ـ وصناعات القش والعيدان .

٢ ـ المصنوعات التي اساسها حيواني : مثل الاجبان والقشدة والالبان وغيرها . ويتبع ذلك الدباغة وصناعة الجلود . (خف ، شاروخ ، صرماية ، صندل) .

ويتبع ذلك صناعات الصوف وغزله وصناعات غزل شعر الماعز

ويتبع هذه الصناعات :

صناعة المنسوجات وقد اشتهرت حماة بمنسوجات القنباز (الحموي) والقلابية وصناعة الشراشف والاغطية[2] .

ثم هناك الصناعات والمهن المتعلقة بالبناء مثل شغل الخشب وحفره وفي حماة اعظم منبر في الاسلام في جامع ابي الفداء كما ذكرت في وصف جامع ابي الفداء .

كذلك تزيين ارضيات القصور والجوامع .

---

(١) ابن بطوطة الرحلة : ٦٦

(٢) الصناعات التقليدية في حماة ، العمران عدد حماة ٢٩ ـ ٣٠ : ١٣٦ ـ ١٣٧

التجارة :

ازدهرت التجارة في حماة نتيجة ظروف موقعها وظروف الفترة التي عاشتها مملكة حماة الايوبية . فحماة مركز تجارة دائم مع البادية . وفي الحروب الصليبية كانت مركز تجارة مع الصليبيين ايضاً في فترات السلام . اضافة الى ذلك وقوع حماة في منتصف الطريق ما بين الشمال (حلب) والجنوب (دمشق) طريق تجارة البحر الاحمر مع الشمال.وقربها من الساحل (مرفأ طرابلس) ، اذ كانت تجارة مرفأ طرابلس تمر عبر حماة مع ان حمص اقرب اليه.وكان مرفأ طرابلس اكثر حركة من بيروت لارتفاع رسوم مرفأ بيروت . وقد عرفت حماة التجارة العالمية وكان فيها اسواق نشطة وفيها جالية من البنادقة لهم حيهم (وما زال في حماة زقاق الافرنج يحمل اسمهم) وخاناتهم وفنادقهم الخاصة وعرفت حماة الصرافة وتبديل العملات والحوالات العالمية وسعر الصرف والبورصة .

وقد اورد ابن بطوطة نصاً مهماً يعطينا صورة عن الحياة الاقتصادية والتجارية في حماة وفي النص يتحدث ابن بطوطة عن تاجر يسمى علي بن منصور وهو من كربلاء صحبة من مدينة السرا الى خوارزم فحكى عن نفسه هذه القصة :

«وكان قد حكى لي عن نفسه انه أخذ مرة من بعض تجار دمشق ستة آلاف درهم قراضاً ، فلقيه ذلك التاجر بمدينة حماة من أرض الشام فطالبه بالمال ، وكان قد باع ما اشترى به من المتاع بالدين) فاستحيا من صاحب المال ، ودخل الى بيته وربط عمامته بسقف البيت ، واراد أن يخنق نفسه . وكان في اجله تأخير ، فتذكر صاحباً له من الصيارفة ، فقصده وذكر له القضية ، فسلفه مالاً دفعه للتاجر» ويذكر ابن بطوطة ان هذا التاجر كان ينوي السفر معه الى الهند ثم ان جماعة من اهل بلده وصلوا الى خوارزم برسم السفر الى الصين فاخذ في السفر معهم.[1] فهو يبين لناأن هناك بيع نقدي او بيع مؤجل وهناك حركة تجارة واسعة مع الشرق الاقصى وهناك صيارفة . وان للتجار منازل خاصة بهم . ويبين الثقة بين التجار والصيارفة واحترام التاجر لتعهداته . ووصف ابن جبير دخوله مع التجار عبر الاراضي التي احتلها الصليبيون ونزوله في عكا في خان معد لنزول القوافل الاسلامية[2] .

وقد صدرت عن السلاطين مراسيم كثيرة تحث على حسن معاملة التجار الاجانب (الفرنج) والاحسان اليهم [3] .

---

(١) ابن بطوطة الرحلة : ٣٦٤ ـ ٣٦٥

(٢) رحلة ابن جبير : ٢٤٦ وما بعدها

(٣) تاريخ المماليك : ١٨٩ ـ ١٩٣ ، تاريخ العصر الايوبي : ٢٢١ ـ ٢٢٧ وانظر ايضاً بحث التجارة العالمية عند حتي ج٢ : ٢٥٦ ـ ٢٥٧

ولم تنفع المراسيم البابوية في منع التجار الايطاليين (بنادقة ومن بيزا وجنوه) من التجارة مع الشرق (مصر والشام) . اذ كان شعار البنادقة (نحن اولاً بنادقة وبعد ذلك مسيحيون[1]) .

وكان للتجار قوافل تجارية بحرية وبرية وكانت بضائع الفرنج (البنادقة) تصل عن طريق بيروت ونظراً لفرض رسوم باهظة من بعض النواب كانت تنقل الى طرابلس ومنها تتجه نحو حماة .[2]

وقد كثرت خانات وفنادق الاجانب والتجار وجاء وصفها في الكتب التي بحثت في هذه الفترة .[3]

ومن اهم اسواق حماة التي تعود الى هذه الفترة يأتي في المقام الاول سوق المنصورية الذي اقامه ملك حماة المنصور محمد والمسمى الآن بسوق الطويل ورتب فيها الباعة كل حسب حرفته . وفيه قوس نصر اذ المنصور قد ابطل المكوس والبدع من خراج السمن والعسل والقطن والعصفر ولعن من يبدّل ذلك وهذا النص يفيدنا ايضاً في معرفة بعض البضائع التجارية في ذلك الوقت .

وفي سجلات المحكمة الشرعية بحماة اسماء لكثير من الاسواق منها سوق البندورة وسوق الحطب في محلة الجعابره وسوق الدق ، وسوق ابن قريع قرب جامع السحور ، وسوق العدل وسوق المتولي قرب جامع السلطان وسوق حيد قرب الجامع الاعلى ، وسوق الحدادين قرب جامع الافضل وسوق الاقواسية وسوق الاساكفة وسوق القطن وسوق الطحين الى اخره .[4]

وفي هذه الاسواق تمييز بين اسواق للتجارة الداخلية وهي نوعان عامة واسواق للحياة اليومية . ثم هناك اسواق للتجارة الخارجية .

اضافة الى ذلك هنالك اسواق متخصصة مثل سوق الحبل للريف وحاجياته من كل نوع واخر للبدو وحاجياتهم من كل نوع . وقد وصف القلقشندي الاسواق في صبح الاعشى سنبينه مفصلاً في الملحق المتعلق به .

وكانت للاسواق مراقبة دقيقة من قبل المحتسب ، وللمحتسب والحسبة شروط وقوانين دقيقة مفصلة في كتب الحسبة.اهمها نهاية الرتبة في طلب الحسبة.كما واورد القلقشندي في صبح الاعشى وصفا وتبياناً للاوزان والصنوج المستعملة في حماة والتي لها مراقبة خاصة لها محتسب وديوان واسمه ديوان .

---

(١) مصر والشام : ١٣٠ ـ ١٣١ ، العلاقة بين البندقية والشرق الادنى الاسلامي : ٩٣ وما بعدها ، العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب : ١٥٤ وما بعدها

(٢) المشرق العدد ٣٤ : ١٩٦١ ، دمشق بين العصر المملوكي والعثماني : ٢٨٢ ـ ٢٨٣

(٣) انظر مصر والشام : ١٣٠ ـ ١٣٢ ، العلاقات بين البندقية والشرق : ٢٥٢ وما بعدها ، العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب : ١٥٤ وما بعدها وفي حماة زقاق الافرنج الذي لا زال يحمل اسمهم وهو يعود في تأسيسه الى فترة حماة الايوبية .

(٤) مجلة العمران عدد حماة ٢٩ ـ ٣٠ ؛ ١٠٦ ـ ١٠٧

العيار[1] وقد بين ابن مماتي شروط المحتسب وشروط العمل وطريقته في هذا الديوان . وفي مقاييس واوزان حماة يقول القلقشندي :

«وصنجتها كصنجة دمشق وحلب وطرابلس ، تنقص عن الصنجة المصرية كل مائة مثقال مثقالاً وربع وكل مائة درهم درهمٌ وربع ، ورطلها سبعمائة وعشرون درهماً بصنجتها ، ومكيلاتها معتبرة بالمكوك كما في حلب وبلادها ، ومكوكها مقدر كل مكوكين وربع مكوك غرارة بالدمشقي ، وقياس قماشها بالذراع . وقياس ارضها بذراع العمل المعروف»[2]

اما اهم صادراتها : المنتجات الزراعية . ومنتجات الثروة الحيوانية والمواد المصنعة من كليهما الاقمشة والثياب والجلود . فقد وردت في نقش بالسوق المنصوري ذُكَر بعض المنتجات منها السمن والعسل والقطن والعصفر

واهم وارداتها : تلك المستوردات عموماً سواء من جهة الغرب عن طريق البنادقة والفرنسج ، واهمها الخشب والحديد والمعادن الاخرى والاسلحة والقطران . وهناك تجارة هامة تأتي عن طريق الغرب هي الرقيق . أما من جهة الشرق فيصلها من الهند والصين عن طريق البحر الاحمر واهمها البخور والمسك والحرير وسواها .

وليس اصدق تعبيراً حول العلاقات التجارية بين المسلمين والفرنج اثناء الحروب الصليبية من قول محي الدين عبد الظاهر المتوفى عام ٦٩٢هـ / ١٢٩٢م صاحب الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر اذ يقول :

«وكان العسكر قد توجه للغارة على بلادهم من جهة بعلبك (على البلاد المحتلة من قبل الفرنجة) فسالوا في رجوعه . واتفق غلاء الاسعار بالشام ، وان كثرة الجلب ان يكون من بلاد الفرنج ، فتقرر الصلح على ما كان الامر عليه في آخر الأيام الناصرية ، واطلاق الأسارى من حين انفصال الأيام المذكورة الى وقت المدنة ، وتوجهت الرسل معهم لأخذ العهود عليهم . وكذلك تقررت المدنة لصاحب يافا ، وتملك بيروت على حكم الايام الناصرية الى آخرها . وأمنت السبل وكثر الجلب . »[3]

اذ ارتفعت الاسعار لمجرد تحرك القوات على الفرنجة وغلت الاسعار . لان كثرة الجلب (الاستيراد) من بلاد الفرنج فكان من اسباب قبول المدنة ذلك.وبعد تقرير المدنة أمنت السبل وكثر الجلب وبالتالي عادت الاسعار الى حالها .

---

(١) قوانين الدواوين : ٣٣٣ ـ ٣٣٤

(٢) صبح الاعشى ج٤ : ٢٣٦ ـ ٢٣٧ ولا زالت بعض الاوزان في حماة تختلف عنها في دمشق فالوقية عندهم ٢٥٠غ والكيلو اربع واق .

(٣) الروض الزاهر : ١١٨ .

وقد تحدث ابن جبير في رحلته عن مسيرة قوافل التجار المسلمين الى الفرنجة وعن بعض الخانات الخاصة بهم في بلاد الفرنجة وعن نسب الضرائب المقررة عليهم وانواعها وجهاتها .[٣]

(٣) راجع رحلة ابن جبير : ٢٤٦ وما بعدها

# الفصل العاشر

## الحياة الثقافية

الثقافة والعلم اساس التقدم والازدهار . وقد ادرك هذا المبدأ ساسة العصور الاسلامية في فترة حكم الايوبيين والمماليك . وادرك الناس والساسة اهمية العلم في تقدم الامم وفي توجيه سياستها لذلك نجد في بعض البلاطات صراعاً بين السلاطين والامراء ونوابهم والمتسلطين عليهم في سبيل نشر الثقافة .

وشهادة من معاصر لتلك الفترة تصور الوضع في احسن صورة نأخذها من ابن طباطبا المولود نحو ٦٦٠هـ / ١٢٦٢م من كتابه الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية : «والعلم يزين الملوك اكثر مما يزين السوقة ، واذا كان الملك عالماً صار العالم ملكاً . واصلح ما نظر فيه الملوك ما اشتمل على الآداب السلطانية والسير التاريخية المطوية على طرائف الاخبار ، وعجائب الآثار ، على ان الوزراء كانوا قديماً يكرهون ان الملوك يقفون على شيء من السير والتواريخ خوفاً أن يتفطن الملوك الى اشياء لا يحب الوزراء ان يتفطن لها الملوك .»[1]

اشتهر الايوبيون بحبهم للعلم والعلماء وكان صلاح الدين يحضر مجالس العلم ويناقش العلماء فيها ويشاركهم في ابحاثهم .

وجاء بعده الملك العزيز عثمان الذي كان عالماً فاضلاً محصلاً ، سمع الحديث من الحافظ السلفي وتفقه في الدين والنحو .

كان السلطان الكامل يحب اهل العلم ويؤثر مجالستهم يحب سماع حلقات الحديث النبوي الشريف ويناظر العلماء في علم الحديث وفي الفقه والنحو وكان يمتحن العلماء بمسائل وكان يبيت عنده بالقلعة جماعة من اهل العلم فينصب لهم اسرة ينامون عليها بجانب سريره ليسامروه .[2] وقد اشتهر من بني ايوب اعلام في الثقافة والعلوم منهم بهرام شاه بن فرخشاه صاحب بعلبك المتوفى سنة ٦٢٨هـ/ ١٢٣١م وكان شاعراً أديباً . والملك الناصر بن الملك المعظم عيسى المتوفى ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م وكان مشتغلاً بتحصيل الكتب النفيسة ويجيز الادباء . والملك المؤيد الايوبي صاحب اليمن المتوفى سنة ٧٢١هـ/ ١٣٢١م وكان من اهل العلم حتى قيل واشتملت خزانته على مائة الف مجلد . والملك المعظم عيسى بن الملك العادل

---

(١) الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية : ٧ ـ ٨

(٢) السلوك ج١ ق١ : ٢٥٨ .

صاحب دمشق المتوفى سنة ٦٢٤هـ/ ١٢٢٧م وكان راغباً الادب وأهله حتى شرط لكل من يحفظ المفصل للزمخشري مائة دينار وخلعة .(١) وعلى نفس القاعدة :

اشتهر البيت التقوي في حماة بالعلم والعلماء والادباء وذلك في سائر المراحل التي مرت بها حماة في ظل البيت التقوي :

فمؤسس مملكة حماة الايوبية عمر بن شاهنشاه بن ايوب بن شاذي كان شاعراً مجيداً جمع له تاج الدين الكندي مائتي بيت مختارة نقل عنه العماد الاصفهاني الكاتب في خريدة القصر وجريدة العصر ، وقد وصفه الكندي بقوله كان «يساجل العظماء ويجالس العلماء ، ويثافن الالباء ، وينافث الادباء ، ولكثرة امتزاجه بهم ، نظم الشعر طبعاً» .(٢)

كذلك كان خليفته الملك المنصور محمد عالماً محباً للعلم ومعتنياً بعمارة بلده والنظر في مصالحه وبنى جسراً بظاهر حماة خارج باب حمص صنف عدة كتب منها في التاريخ مضمار الحقائق في عشرين مجلد . وخدمه عدة من أكابر الشعراء المشهورين منهم الامير شمس الدين قلج والامراء من بني برطاس .

وولي قضاءه الشهر زوري صاحب مذهب الاشراق في التصوف الاسلامي ، وولي قضاءه ايضاً القاضي الامام المشهور ابن ابي عصرون .

وكان في خدمته مائتا متعمم من الفقهاء والنحاة واهل اللغة والمشتغلين بالعلوم الحكمية والمهندسين المنجمين والشعراء والكتاب والأماثل .

«وجمع في خزانته من كتب العلوم ما لا مزيد عليه واعتنى بها جداً وكان يكثر مطالعة الكتب ومراجعتها واستحضار العلماء والبحث معهم .

وبنى بظاهر حماة من شمالها مدرسة عند قبر والده تقي الدين رحمه الله ووقف عليها وقفاً جليلاً».(٣)

وكان «الملك المظفر الثاني الذي توفي سنة اثنتين واربعين وستمائة شجاعاً فطناً وكان يحب اهل الفضائل والعلوم ، واستخدم الشيخ علم الدين قيصر المعروف بتعاسيف وكان مهندساً فاضلاً في العلوم فبنى للمظفر ابراجاً بحماة ، وطاحوناً على العاصي وعمل له كرة من الخشب مدهونة رسم فيها الكواكب المرصدة . قال ابن واصل وساعدت الشيخ علم الدين على عملها . وكان المظفر يحضر ونحن نرسمها ، ويسألنا عن مواضع دقيقة فيها .»(٤)

اما السلطان الملك أبو الفداء فقد كان قمة في العلم والادب وله الكثير من النشاطات الفكرية وتاثيره على الحركة العلمية في حماة واضح المعالم .

---

(١) مصر والشام : ١١٧ ـ ١١٨

(٢) خريدة القصر : شعراء الشام : ٨١ وما بعدها

(٣) مفرج الكروب ج٤ : ٧٨ ـ ٨٠ المختصر ج٣ : ١٢٥ ، شفاء القلوب : ٣٣٧ ـ ٣٣٨

(٤) المختصر ج٣ : ١٧٣ ، شفاء القلوب ٤٠٦

«وكان العصر الايوبي استمراراً للعصر الزنكي وبالتالي كان العصر المملوكي استمراراً للعصر الايوبي فالدفعة الثقافية التي دفع بها صلاح الدين الايوبي دولته وخلفاءه من بعده وتلك النقلة التي نقلها اليها بعد حكم الفاطميين كان لها أثرها الهام البارز في الحياة العقلية في ذلك العصر وقد استمر هذا الاثر واطرد في العصر المملوكي لتوافق الأهواء والاهداف في كلا العصرين .»[1] وقد كانت الظروف التي عاشها العصر الايوبي والمملوكي هي التي املت على الحركة العلمية اتجاهاتها وسماتها .

فالقتال والحرب كانا اساس الحياة في ظروف فرضتها المعارك ضد الصليبيين والمغول وكلاهما شكلا اخطر الهجمات على الامة العربية والاسلامية . فكانت اغراض العلوم والفنون والادب موجهة للجهاد لذلك نرى تقدماً واسعاً في العلوم الهندسية التي لها علاقة بالجهاد من بناء الحصون والقلاع والاسوار ومن استخدام للعدد والاسلحة ومنها النفط والزراقة.ونجد حركة دائبة في التأليف التاريخي لاعطاء الجهاد والحرب بعداً تاريخياً . كذلك نجد نشاطاً في الجغرافيا وكتبها بما فيه خدمة الجهاد . ونشاطاً في كتب الزيارات والفضائل التي هدفت كما يقول كراتشكوفسكي لحث الناس على سكنى مناطق الحدود (و اغلبها مقدس دينياً) وهي مناطق كادت تكون خالية سواء لترك الصليبيين لها او لعزوف السكان المدنيين عنها بسبب كونها مناطق قتال . والسبب الآخر الحث على الجهاد . واما الطب فقد كانت الحاجة له كبيرة جداً فاقيمت المستشفيات وهي مراكز تعليم الطب ايضاً وكثر عدد الاطباء والمتطببين . واتجه الادب نثراً وشعراً لخدمة المعركة وتقوية الروح المعنوية .

واتجه العلماء والمتصوفة الى تبيان اهمية الجهاد والحث عليه بل وممارسته فعلياً .

والعامل الآخر بعد عامل الجهاد كان نتيجة القضاء على الخلافة الفاطمية وما تبع ذلك من صراعات مذهبية وفكرية . وكان هذا سبباً اساسياً في اقامة المدارس وفي نشوء حركة التصوف والاشراق وفي نشوء الرباطات والخانقانات .

وقد استقطبت مصر والشام الحركة العلمية للامة العربية والاسلامية بعد ان تم تحقيق وحدتها السياسية والاقتصادية بظل صلاح الدين . وذلك نتيجة سقوط بغداد بيد المغول.ونتيجة الصراعات بين الاسبان والمسلمين في الاندلس وانتهاء دور بغداد والاندلس في الريادة الفكرية للعروبة والاسلام .

ساعد ذلك في ازدهار الحركة التجارية وازدهار الحركة المالية وتكدس الثروات لدى السلاطين والامراء والناس عامة . اضافة الى ميل آل ايوب الى العلم والعلماء .[2]

وقد وصف حتي الحركة العلمية في العصرين الايوبي والمملوكي قائلاً «كان عصر تجميع وتقليد اكثر

---

(١) محمد رزق سليم سلسلة نوابغ الفكر العربي رقم (٢٠) تقي الدين بن حجة : (٨)

(٢) مهرجان ابي الفداء وفيه عدة بحوث تتعلق بالعلم في زمن ابي الفداء . الحياة العلمية في كتاب «في رحاب دمشق لمحمد احمد دهمان» : ٢٥٩ ـ ٢٦٣ ، من سلسلة النوابغ : البهاء زهير : ١٥ ـ ١٨ ، ضياء الدين بن الأثير : ١٨ ـ ٢٢ ، تقي الدين بن حجة الحموي : ٨ ـ ١٤ ، تاريخ العصر الايوبي : ٢٠١ ـ ٢٠٣

منه عصر توليد وابداع . ومع هذا فقد بقيت دمشق والقاهرة لاسيا بعد خراب بغداد وانهيار الحكم الاسلامي في اسبانيا المركزين المتقدمين في شؤ ون التعليم والفكر في العالم العربي»[1]

وكانت للعلوم والآداب في هذا العصر افاق جديدة نتجت عن الاحتكاك الواسع بين الشرق والغرب في الحرب والسلم اذ غدت الحروب الصليبية وحركات المغول مظهراً من مظاهر هذا الاحتكاك .[2]

وقد اثر هذا الاحتكاك بشكل عميق في الفلسفة والتصوف فدخلت فيها بعض التأثيرات الافلاطونية الحديثة .[3]

ويصف (كارل بروكلمان) هذه الفترة فيقول : «غير ان هذه العصور عصور الانحطاط التي لم تبلغ مداها الا بالاكتساح المغولي للمنطقة فيا بعد ، قد شهدت انتفاضة خصبة ، وان لم تكن ممتعة في كل حال . ففي قصور الامراء الصغيرة الكثيرة ، ولا سيا في غرب المنطقة العربية انتشر جيل كبير من الشعراء الحذاق بالصنعة وارواحهم العلية بحق ، تحت سماء عطف هؤ لاء الامراء .»[4]

وكانت الاهتمامات العلمية والادبية في مملكة حماة الايوبية متنوعة ومتشعبة ولا تخرج عن الاطار العام الذي ذكرناه

## الحركة العلمية في حماة :

عرفت بلاد الشام في القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي نهضة فكرية وثقافية رائعة وانتجت رجالات واعلاماً في الثقافة والعلوم والادب جديرين بالخلود. وكانت معرة النعمان من أبرز مراكز النشاط الفكري في بلاد الشام حيث انجبت الكثيرين من مفكري العرب والاسلام وعلى رأسهم أبو العلاء و أبو غالب هيام بن الفضل بن جعفر بن المهذب ، وابن زريق يحي بن علي التنوخي .

واحاط بالمعرة مراكز مهمة للثقافة من اشهرها كفر طاب حيث عاش في هذه البلدة وحكمها الاسرة المنقذية . وفي القرن الخامس الهجري (اواخر القرن الحادي عشر الميلادي) ملكت هذه الاسرة حصن شيزر وقد انجبت هذه الاسرة الكثيرين من رجال الفكر منهم اسامة بن منقذ وعلي بن مرشد ومنقذ ابن مرشد

وبعد ما دخل الصليبيون بلاد الشام لاول مرة احتلوا معرة النعمان ، وهدموها وشردوا اهلها واستولوا على كفر طاب وقد هاجر الكثيرون من أهالي البلدتين إلى حماة. يضاف إلى ذلك اثر الزلازل قبيل

(١) حتي ج٢ : ٢٨٩ .
(٢) مهرجان ابي الفداء بحث مصطفى الحاج ابراهيم : ١٣٤ .
(٣) حتي ج٢ : ٢٩٠ .
(٤) بروكلمان ج٥ : ٢

قيام الدولة الايوبية التي هدمت شيزر وغادر من بقي من اهلها الى حماة وهكذا تجمع في حماة زمن الايوبيين عدد كبير من العلماء في مختلف ميادين العلوم وتجمع لديها بعض المكتبات الغنية .

وكان هذا من بوادر نهضتها العلمية التي احتضنتها ملوك حماة الايوبيون وساعدوا على دفعها فكانت ذروتها في عصر ابي الفداء .

لعل مارون عبود قد اصاب كبد الحقيقة بوصفه حالة حماة التعليمية إذ قال :

ولم يجتمع في بلاط حاكم من الحكام من العلماء والادباء والشعراء بعد سيف الدولة كمثل ما اجتمع في بلاط ابي الفداء [١].

فبعد ان ذكرنا بعض علماء المعرة وكفر طاب وشيزر الذين انتقلوا الى حماة.فقد ذُكِرَ ان ابن مالك صاحب الالفية المشهورة شرقاً غرباً قد نظمها في حماة للشيخ شرف الدين البارزي . وقد نظمها في جامع القان الذي يطلق عليه الآن جامع القاق .

وورد حماة ايضاً ابن نباتة المصري وقد رتب له ابو الفداء مرتباً يكفيه مقداره ستمائة درهم

ويذكر من شعر ابن نباتة المصري عن حماة :

قهرت حماة لي العدا ... فحماة عندي القاهرة

وورد اليها ايضاً من مصر محمد بن علي بن محمد المعروف بابن طرطور الشاعر المشهور الذي سكن دمشق وحماة وخدم الملك الافضل صاحب حماة الذي قربه وادناه وحنا عليه ورتب له الدراهم والخبز واللحم ورحل الى الشام ثم استوطن حماة الى ان مات فيها سنة ٧٦٢هـ .

ومن وفد حماة من العراق محمد بن عرب الهيتي الحسيني الحنفي العراقي وكان رجلاً فصيح اللسان عزيز الاخلاق.جاءبه الى حماةقاضي القضاةشرف الدين هبةالله البارزي وقرره مشتغلاً في علوم العربية بالجامع الكبير والنوري بحماة.واستمر على ذلك وانتفع به جماعة من الطلبة في علم العربية وتوفي سنة ٧١٤هـ .

ووفد الى حماة من العراق ايضاً بنو الأبرز الذين هجروا بغداد في جفلة التتر واتخذوا فيما بعد اسم البارزي ومن اشهرهم هبة الله البارزي الذي ولد في حماة سنة ٦٤٥هـ وله من المؤلفات الكثير.وله شروح للادب منها شرح سقط الزند.ولعل اهم مؤلفاته «شرح نظم الحاوي» الذي نظمه لابي الفداء في اربع مجلدات .

ومن رحل الى حماة من العراق : صفي الدين الحلي الشاعر المشهور[٢]

(١) مهرجان ابي الفداء : مقال سهيل زكار : ٥٢ ـ ٥٣
(٢) مهرجان ابي الفداء مقال احسان العظم : ١٧٧ ـ ١٨٤

ومن الاطباء جاءها من دمشق مهذب بن الحاجب الذي خدم تقي الدين عمر وسديد الدين بن رقيقة من ديار بكر وخدم الملك المنصور بن تقي الدين عمر وموفق الدين المنفاخ من دمشق ايضاً .[1]

وكانت حماة مسقط الفقيه المشهور ابن تيمية واصداره الفتوى الحموية الصغرى والكبرى زمن ابي الفداء سبباً لما جرى له من امور ومحن معروفة[2] .

## ٦ ـ التعليم والمدارس في حماة زمن الحكم الايوبي التقوي :

المدارس في العهد الايوبي والمملوكي :

بذل صلاح الدين ورجال دولته جهوداً كبيرة في إنشاء المدارس ودور الحديث في بلاد الشام ومصر . وقد استقطب صلاح الدين العلماء والفقهاء واغراهم بالحضور الى دولته في هذا السبيل . امتد الامر لكامل الفترة الايوبية والمملوكية.وتسابق في إنشائها الملوك والامراء والوزراء ورجالات الدولة والاغنياء والمدرسون . كما ساهم اغنياء التجار في اقامة دور العلم . وساهمت سيدات الاسرة الايوبية مساهمة مثمرة في تشييد المدارس والوقف عليها . بل ان بعض الخدم قد ساروا على نهج سادتهم في بناء المدارس .

وقد كان لكل مدرسة جهاز اداري كامل . وكانت كثير من المدارس تؤمن الاقامة والنوم والطعام لطلابها ويتبع المدرسة ايضاً مكتبة قد تكون عامرة وضخمة في كثير من المدارس . ويتبع المدرسة ايضاً اوقاف مرصودة لها تكون مصروفات المدرسة من ريع هذه الاوقاف . وكان الاعتناء ببناء المدارس كبيراً من ناحية عمرانها وتزيينها ، علماً أن بعض المدارس كان لها مآذن خاصة بها مع انها لم تكن مساجد في يوم من الأيام[3] .

ولم يكن تحصيل العلم محصوراً بالمدارس فقط بل كان يتبع طرقاً تقليدية ايضاً وهي الجوامع وحلقات التعليم فيها . كذلك كانت ربط وخانقانات الصوفية تقوم بالتدريس ايضاً وكانت المستشفيات بمثابة وفي مدارس للطب .

وكان عدد المدارس في بلاد الشام كبيراً جداً لدرجة ان ابن جبير حين زار بلاد الشام سنة ٥٨٠هـ تعجب من كثرة مدارسها وكثرة دور العلم والمساجد وكثرة طلبة العلم من اهل البلد والغرباء فنصح اهل المغرب بتحصيل العلم الوافر فيها وفضلها على غيرها من بلاد المشرق .[4]

---

(١) طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة راجع ترجمة كل من الاطباء المذكورين .

(٢) المختصر ج٣ : ١٧٣

(٣) تاريخ العصر الايوبي : ٢٠١ ، تاريخ المماليك : ١٧٤ ، سلسلة النوابغ البهاء زهير : ١٦ ـ ١٧ ، مصر والشام ١١٧ ـ١١٨ حتي ج٢ : ٢٨٤ ـ٢٨٦

(٤) رحلة ابن جبير: ٢٠٠ ، تاريخ العصر الايوبي : ٢٠١ ، مهرجان ابن عساكر مقال بيطار : ٢٤٤

وتعود اسباب كثرة المدارس الى الأسباب العامة التي ذكرناها والتي اعطت سمات الحركة الفكرية في زمن الايوبيين والمماليك .

وللمدارس نظامها وتقاليدها وكان للمدرسين والعلماء فيها مراتب والقاب جاء على ذكرها القلقشندي في كتابه صبح الاعشى [1]

وكانت المدارس تعطي (اجازة) حفظت لنا المصادر التاريخية صورة عنها . وكان العلماء والمتعلمون يتبارون في الرحلة لطلب العلم وفي عدد الاجازات التي حصلوا عليها . واسماء مجيزيهم . ولكل علم وفن بل لكل كتاب اجازة .

ولا بد ان حماة،وقد شهدت نهضة علمية،قد حوت الكثير من المدارس التي تعود الى العصر الايوبي فيها . الا ان عوامل الزمن والمحن والزلازل والخطوب قد أتت على الكثير من تلك المدارس ، ورغم ذلك فقد حفظت لنا كتب التاريخ بعض اخبارها وبقيت آثار بعض هذه المدارس . فمنها :

١ ـ المدرسة النورية الحنفية : وقد ذكرها ابن واصل في مفرج الكروب فقال : «في حماة لنور الدين مدرستان احداهما للحنفية والاخرى للشافعية . وهاتان المدرستان هما من المدارس التي كانت في حماة حين مر بها الرحالة ابن جبير سنة ثمانين وخمسمائة وذكرها في رحلته»[2] وكانت هذه المدرسة قائمة في بستان النوريات الواقع غرب الجامع ، وممن دَرّس فيها العالم الشهير المعروف باسم (تعاسيف)

٢ ـ المدرسة النورية الشافعية المعروفة بالعصرونية :

بناها نور الدين الشهيد وسميت باسم ابن ابي عصرون الذي تولى التدريس فيها وموقعها في باب حمص من محلة الباشورة .

٣ ـ المدرسة المظفرية :

التي شادها الملك المظفر تقي الدين عمر وكان لها مكانة كبيرة تتناسب مع عظم شأن منشئها .

٤ ـ المدرسة المظفرية المحمودية :

انشاها الملك المظفر الثاني محمود وموقعها قرب الجامع الاعلى (الجامع الكبير) .

٥ ـ المدرسة المنصورية (مدرسة التربة)

انشاها الملك المنصور الاول محمد فوق قبر والده[3] ومكانها هو مكان جامع ابي الفداء في الطرف الشمالي الغربي من محلة باب الجسر .

---

(١) صبح الاعشى ج٦ وقد حوى هذا الجزء الكثير مما يتعلق بهذا المعنى . تاريخ العصر الايوبي : ٢٠١ ـ ٢٠٣ مهرجان ابن عساكر مقال بيطار : ٢٣٥ ـ ٢٩٩ .

(٢) ذكر ابن جبير ان في حماة ثلاث مدارس على العاصي انظر الرحلة صفحة ٢٠٦

(٣) مفرج الكروب ج٤ : ٧٧ ـ ٨٦ ، المختصر ج٣ : ١٢٥ ـ ١٢٦

٦ ـ المدرسة الجلدكية :

تنسب إلى الأمير شجاع الدين جلدك الذي كان مملوكاً واعتقه الملك المظفر تقي الدين عمر .

٧ ـ مدرسة ابن المشطوب :

وتنسب للامير سيف الدين علي بن المشطوب الذي كان مع الامير سيف الدين بن المقدم في خدمة تقي الدين عمر وله دور كبير في احداث عهد تقي الدين عمر كما بينا .

ومن دَرَّسَ في هذه المدرسة الفتح الجزري وكان نحوياً فقيهاً نظم السيرة لابن هشام والمفصل للزمخشري .

٨ ـ المدرسة الصهيونية :

نسبة للشيخ محمد بن محمد الخطيب الشهير بابن صهيون نسبة الى مسقط راسه في قلعة صهيون . وموقعها كان في جوار بستان الصهيونية المعروف بحماة .

٩ ـ المدرسة المعزية :

بناها محمد ابن حمزة المعزي بجوار جامع المعزي من جهة الشرق في محلة باب الجسر وكانت متسعة جداً ولم يبق منها سوى ما هو مرسوم على جدار الجامع يذكر تاريخ بنائها سنة سبع وعشرين وستمائة .

١٠ ـ المدرسة الطواشية :

نسبة الى مرشد الطواشي الذي اعتقه الملك المظفر الثاني محمود ومكانها بالقرب من تربته التي هي بالقرب من الجامع الاعلى (الجامع الكبير) من جهة الشمال وهي متسعة جداً وبقيت لما بعد عام الف للهجرة .

١١ ـ المدرسة الخاتونية :

نسبة لمؤسستها مؤنسة خاتون بنت الملك المظفر الثاني محمود وعمة ابي الفداء ومكانها البستان المعروف ببستان الخاتونية الكائن في اول مدخل محلة الجراجمة من الشرق . وكانت من كبريات مدارس بلاد الشام . وقد تحولت هذه المدرسة من دار الوزير الى الاكرام ثم الى دار مؤنسة خاتون التي جعلتها مدرسة واوقفت لها اوقافاً كبيرة وكتباً . وذلك في زمن ابي الفداء .

١٢ ـ المدرسة المؤيدية المشهورة بالخطيبية :

وذلك نسبة الى الملك عماد الدين ابي الفداء اسماعيل وموقعها مكان شركة البراد حالياً . . وقد اورد قدري الكيلاني ذكر الروشن في الجامع النوري، الجناح الشرقي، وقد انشاه ابو الفداء ليكون معهداً علمياً ودينياً وبقيت الدراسة فيه لعهد قريب وكانت له اوقاف تكفيه وذكرت احدى نقوش الروشن ان اوقافه كانت كل سنة خمسة عشر الف درهم [1]

(١) مهرجان ابي الفداء : قدري الكيلاني : ٢٦٤ ـ ٢٦٦

١٣ ـ المدرسة المخلصية المشهورة بالقرناصية :

وتنسب الى مخلص الدين اسماعيل بن قرناص المتوفى سنة تسع وخمسين وستمائة . وبانيها اديب شاعر فقيه عالم . وموقعها بالقرب من جامع الشيخ ابراهيم في حي الحاضر .

١٤ ـ مدرسة دار القرآن :

وتنسب الى محمد بن ابي بكر الشافعي ومكانها في محلة باب حمص من حي الباشورة وقد شرط واقفها على جعلها مقتصرة على العزاب دون المتزوجين ، وقد كانت هذه من بعض شروط واقفي الربط والخانقانات لان العازب يتفرغ للدراسة والعلم والعبادة . ومن مدارس حماة التي اندرست آثارها وانطمست معالمها مدرسة دار الحديث والمدرسة الافتخارية والمدرسة النجمية .[١]

كان في حماة الكثير من المكتبات بعضها خاصة بالعلماء والادباء الذين ارتحلوا إليها من المعرة وكفر طاب وسواهما .

وقد اولع ملوك الايوبيين عموماً بجمع الكتب والمكتبات الاهتمام والعناية بها . فللمقصر مكتبة كبيرة جمعت الكثير من الكتب والمؤلفات.وقد نمت عبر الايام الى ان بعثرها الملك الاشرف الذي كان حليفاً لهولاكو اثناء هجومه على حماة واحتلال المدينة لهولاكو عام ٦٥٨هـ [٢]

وكان للمدارس كتب ومكاتب خاصة بها.ذكر أن لروشن (مدرسة) ابي الفداء في الجناح الشرقي من الجامع النوري مكتبة عامرة فيها سبعة الاف كتاب اوقفت على القراء .

وان للمدرسة الخاتونية التي اوقفتهامؤنسة خاتون مكتبة عامرة لها اوقاف خاصة بها .

وقد ذكر الكثير عن مكتبة قاضي حماة ابن البارزي الذي كانت له مكتبة عامرة وقد قدر ثمنها بمائة الف درهم .[٣]

وذكرت كتب التاريخ مركزين للطب في حماة : الاول في قلعة حماة وفيها خدمة طبية تخص الملك واسرته ويتبع ذلك اهل البيت التقوي والحاشية ومماليك الملك والامراء والمقربين .

وكان الملك يستقدم افضل الاطباء لهذا المركز ويوليه اعتناء خاصاً .

اما المركز الثاني وهو المركز الكبير والشعبي فهو البيمارستان النوري الذي انشأه نور الدين في عام ٥٥٠هـ/ ١١٦٤م الى جوار جامعه في جهة الجنوب فضلاً عن مدرسته الشافعية . كان البيمارستان يشتمل على غرف عديدة تحيط بباحة سماوية.وقد فقد قسمه الشرقي الذي كان مطلاً على العاصي ، الذي يجري

---

(١) العمران عدد حماة : ٢٩ ـ ٣٠،مقال تطور التعليم في حماة ومراحله شوقي الكيلاني : ١٦٧ ـ ١٦٩ ومهرجان ابي الفداء مقال احسان العظم : ١٦٧ ـ ١٦٨ .

(٢) المختصر ج٣ : ٢٠٣

(٣) المختصر ج٤ : ١٢٤ ، المكتبات في مهرجان ابي الفداء احسان العظم : ١٦٦

تحته على امتداد الجناح الشرقي من الجامع النوري لأن البناءين اقيما معاً فوق ساباط طويل يمتد موازياً للنهر . ويحوي الجانب الغربي من البيمارستان على ثلاث غرف قديمة ذات مداخل متجهة نحو الجنوب ، تاريخها سنة ٧٥٤هـ/ ١٣٥٣م . وثمة ثلاث كتابات اخرى في القسم الجنوبي ، مختلفة التاريخ اثنتان منها تتعلق بما يصرف للضعفاء المقيمين فيه من مال وطعام ودواء ، والثالثة الأخيرة تؤرخ بناء غرفتين في هذا القسم . وللبيمارستان صحن مربع مكشوف في وسطه بركة مثمنة الشكل ، في أربع زوايا منها بحيرات صغيرة جداً» .[1] وكان البيمارستان مزوداً بالمياه وبمكتبة خاصة .[2]

وقد ذكرنا عند استعراض حياة ابي الفداء انه كان عارفاً بالطب.وقد اورد ابن ابي اصيبعة ذكر اربعة اطباء ممن خدموا ملوك حماة وهم :

١ ـ مهلب الدين بن الحاجب :

«كان طبيباً مشهوراً فاضلاً في الصناعة الطبية ، متقناً في العلوم الرياضية ، معتنياً بالادب وعلم النحو ولد بدمشق . وسافر الى اربل ثم الموصل وعاد لدمشق فأكرمه صلاح الدين والفاضل.واجرى له ثلاثين ديناراً كل شهر.وكان متعبداً ورعاً ولاجله عملت المقصورة التي بالكلاسة.وله تصانيف كثيرة منها: الزيج المشهور الذي له وهو جيد صحيح ، ومنها المنبر في الفرائض وهو مشهور وكتاب في غريب الحديث عشر مجلدات وكتاب في الخلاف بجدول على وضع تقويم الصحة ، وكان دائم الاشتغال وله شعر كثير وقصد الحج ولما رجع الى بغداد توفي بها .

وكان مهلب الدين بن الحاجب كثير الاشتغال.محبا للعلم قوي النظر في صناعة الهندسة وكان قبل اشتهاره بصناعة الطب قد خدم في الساعات التي عند الجامع بدمشق ، خدم تقي الدين عمر صاحب حماة ولم يزل في خدمته بحماة الى ان توفي تقي الدين ثم عاد ابن الحاجب الى دمشق وتوجه الى الديار المصرية .»[3]

٢ ـ سديد الدين بن رقيقة :

هو ابو الثناء محمود بن عمر بن محمد بن ابراهيم بن شجاع الشيباني الحانوي ويعرف بابن رقيقة وكان طبيباً وشاعراً رقيقاًوصفه ابن ابي اصيبعة بقوله «مارأيت في وقته من الاطباء أحداً اسرع عملاً له (للرجز) منه» وكانت له معرفةبصناعة الكحل والجراح ، وحاول كثيراً من أعمال الحديد في مداواة امراض العين . وقدح ايضاً الماء النازل في العين الجماعة . وانجب قدحه وأبصروا . وكان المقدح الذي يعانيه مجوفاً وله عطفة ليتمكن في وقت القدح من امتصاص الماء ، ويكون العلاج به ابلغ .

واشتغل بعلم النجوم . وكان فاضلاً في النحو واللغة .

---

(١) وصف البيمارستان يعود للاستاذ كامل شحادة : مجلة العمران عدد حماة ٢٩ ـ ٣٠ و ١٠٢ ـ ١٠٣

(٢) حتي ج٢ : ) ٢٨٢

(٣) طبقات الاطباء : ٦٥٩ ـ ٦٦٠

وكان مولده في سنة اربع وستين وخمسمائة بمدينة (حيني)[1] ونشأ بها.وصدف ان عالج نور الدين ابن أرتق وكان دون العشرين فاطلق له جامكية وجراية في صناعة الطب واستمر في خدمته.ثم خدم بعد ذلك الملك المنصور محمد صاحب حماة ابن تقي الدين عمر وبقي معه مدة ثم سافر الى خلاط . واقام مدة بميافارقين ثم وصل الى دمشق وعمل فيها في المارستان النوري وفي الدور السلطانية في القلعة وتوفي بدمشق سنة خمس وثلاثين وستمائة .[2]

ومن كتبه «لطف السائل وتحف السائل» و «كتاب موضحة الاشتباه في ادوية الباه» وكتاب الفريدة الشاهية والقصيدة الباهية وغيرها .

٣ ـ موفق الدين عبد السلام :

وصفه ابن ابي اصيبعة قائلاً : لقد جمع الصناعة الطبية والعلوم الحكمية والاخلاق الحميدة والأراء السديدة والفضائل التامة والفواضل العامة ، اصله من بلدة حماة واقام بدمشق تميز بصناعة الطب ثم سافر الى حلب وتزيد في العلم . وخدم صاحب حلب ثم عاد لدمشق مع الملك الناصر يوسف بن محمد ثم توجه الى مصر واقام بها مدة ثم خدم بعد ذلك الملك المنصور صاحب حماة . واقام عنده بحماة وله منه الاحسان الكثير ، والفضل الغزير ، والأراء الجزيلة والمنزلة الجليلة .[3]

٤ ـ موفق الدين المنفاخ :

هو ابو الفضل اسعد بن حلوان ، أصله من المزة ، واشتغل بصناعة الطب فيها وتميز في اعمالها . وخدم الملك الاشرف موسى بن ابي بكر بن ايوب في الشرق وبقي في خدمته سنين وانفصل عنه وكانت وفاته في حماة سنة اثنتين وأربعين وستمائة .[4]

٥ ـ صلاح الدين بن يوسف

وقد مارس الطب في حماة حوالي عام ١٢٩٦م زمن المظفر الثالث تقي الدين وكان يمارس الكحالة (طب العيون) وله مؤلف مشهور جداً وهو «نور العيون وجامع الفنون» ومؤلفه يعتبر احد مؤلفين هما اهم ما ظهر من المؤلفات في طب العيون في القرن الثالث عشر الميلادي[5]

في الهندسة والعلوم والرياضيات :

ولعل اهم علماء فترة العصر الايوبي هو علم الدين قيصر المعروف بتعاسيف الذي أجاب على

---

(١) حيني بلد من دهار بكر يوجد فيها معدن الحديد (معجم البلدان لياقوت الحموي

(٢) طبقات الاطباء : ٧٠٣ - ٧١٧ .

(٣) طبقات الاطباء : ٧٥٥ - ٧٥٧ - (٤) طبقـات الاطباء : ٧٥٧ .

(٥) حتي ج٢ : ٢٨٣ اما المؤلف الثاني في الكحل فهو الكافي في الكحل لخليفة بن ابي المحاسن .

الاسئلة التي ارسلها امبراطور الفرنجة في عكا وكان عالماً متبحراً في علم الهندسة والحساب والرياضيات فيرسل اسئلته الى الملك العادل لاحراجه فكان يجمع العلماء ليجيبوه عنها.وعمل تعاسيف في حماة وقد وصفه ابو الفداء بقوله وكان مهندساً فاضلاً في العلوم الرياضية فبنى للملك المظفر المذكور ابراجاً بحماة وطاحوناً على النهر العاصي وعمل له كرة من الخشب مدهونة رسم فيها جميع الكواكب المرصودة.وعملت هذه الكرة بحماة.قال القاضي جمال الدين بن واصل وساعدت الشيخ علم الدين على عملها»[1] ويبدو ان الملك المظفر صاحب حماة ايضاً من العارفين بالعلوم والهندسة والرياضيات والفلك بدليل قول قاضي القضاة ابن واصل الذي نقل عنه ابو الفداء : «وكان الملك المظفر يحضر ونحن نرسمها ويسألنا عن مواضع دقيقة فيها»[2] ويتضح من النص ايضاً ان ابن واصل على دراية في هذه العلوم .

## في الفقه والحديث

كان الفقه من اهم العلوم التي جرى الاعتناء بها في زمن الايوبيين والمماليك وقد ورد في حماة ذكر فقيهها الكبير قاضي القضاة نجم الدين ابي محمد ومن علماء حماه :

**١ ـ شرف الدين ابو القاسم هبة الله نجم الدين :**

عبد الرحيم بن ابراهيم المعروف بابن البارزي الجهني الحموي فقد عين قاضي القضاة بحماة فقبل الوظيفة وتورع عن اخذ اي راتب . وكان قاضياً ممتازاً وحازماً يراعي جانب الحق دون تعدٍ او محاباة . وكان عالماً فاضلاً قضى شيخوخته في تحقيق العلوم والتاليف . وقد دعي عدة مرات لقضاء مصر الا انه اعتذر وفضل البقاء في حماة.وكف بصره في آخر عمره فولى حفيده مكانه.وتفرغ للتاليف وقد ذكر ابو الفداء من كتب البارزي في التفسير : (كتاب البستان في تفسير القرآن مجلدان ، وكتاب روضات جنات المحبين اثنا عشر مجلداً ، ومنها في الحديث كتاب المجرد من المسند ، وكتاب المنضد شرح المجرد أربع مجلدات ، ومنها في الفقه كتاب شرح الحاوي المسمى باظهار الفتاوي من اعوار الحاوي ، وكتاب تيسير الفتاوي من تحرير الحاوي ، وهما اشهر تصانيفه . وكتاب شرح نظم الحادي أربع مجلدات ، وكتاب المغني مختصر التنبيه وكتاب تمييز التعجيز ، ومنها في غير ذلك كتاب توفيق عرى الايمان في تفصيل حبيب الرحمن ، والسرعة في قراءات السبعة ، والدراية لاحكام الرعاية للمحاسبي وغير ذلك»

وكان استاذ أبي الفداء . وقد توفي سنة ٧٣٨هـ في حماة[3]

وقد تحدثنا عن مكتبته في بحث المكتبات في حماة

---

(١) المختصر ج٣ : ١٧٣ ، شفاء القلوب : ٤٠٦ ، سلسلة النوابغ البهاء زهير : ١٦

(٢) نفس المصادر والصفحات .

(٣) المختصر ج٤ : ١٢٤ ـ ١٢٧

٢ ـ صفية القريشية (٦٤٦هـ)

التي تفردت في زمانها باجازة جماعة من اهل العلم [1]

وقد اشتهر بالحديث في حماة ايضاً :

٣ ـ خديجة بنت عمر بن احمد بن ابي جرادة (ام عمر) وتوفيت بحماة سنة ثمان وسبعمائة عن بضع وثمانين سنة [2] .

٤ ـ شرف الدين عبد المؤمن بن خلف الدمياطي الحافظ النساب المولودسنة ٦١٣هـ بجوار دمياط ودرس بدمياط والاسكندرية والقاهرة واتقن الحديث دراية ورواية وسمع منه خلائق بمصر ومكة وحلب وحماة ودمشق والعراق . وقالوا فيه : «إنه آخر من بقي من الحفاظ وأهل الحديث» . من كتبه «الصلاة الوسطى» و «كتاب الخيل» . و «قبائل الخزرج وقبائل الاوس» . و «العقد المثمن فيمن اسمه عبد المؤمن» و «مختصر السيرة النبوية» و «الاربعون المتباينة الاسناد في حديث أهل بغداد» وتوفي بعد أن عمر بدمشق سنة ٧٠٥هـ . [3]

٥ ـ موفق الدين أبو المعالي محمد بن محمد بن الفضل بن حبيش النهراني الحموي الذي وصفه الامام الذهبي بتذكرته انه «الخطيب الكبير» . وقد توفي في سنة تسع وتسعون وستمائة عن عمر يقارب الثمانين [4] .

## في الجغرافيا :

١ ـ ابو الفداء

وهو علم اعلامها صاحب تقويم البلدان ، الذي تحدثنا عنه الكثير وكتب عنه الكثير (فهو وحده يستحق أن يكون موضوع اطروحة منفصلة) ويقول عنه كراتشكوفسكي مؤلف تاريخ الادب الجغرافي العربي انه «احتل في ميدان العلم مكانة ارفع من مكانته (والحديث عن معاصره شمس الدين محمدابن ابي خالد الدمشقي) والذي يقول (رينو) عن مصنفه الجغرافي وذلك قبل قرن من الزمان انه يمثل «الى جانب الادريسي مؤلفاً ضخماً في مجاله» ويؤكد في ذات الوقت «ان العصور الوسطى الاوربية لم تعرف كتاباً يمكن مقارنته به» ولا يزال هذا الحكم صحيحاً في جوهره حتى ايامنا هذه» [5]

وقد اتم ابو الفداء مسودة كتابه في عام ٧٢١هـ/ ١٣٢١م .

---

(١) الحركة الفكرية في حماة عدنان قيطاز . العمران عدد حماة (٢٩ ـ ٣٠) : ١٧٥

(٢) تذكرة الحفاظ ج٤ : ١٤٨٥ ،

(٣) النجوم الزاهرة : ج٨ : ٢١٨ ، الادب في العصر المملوكي ج١ : ١٢٥ ـ ١٢٦

(٤) تذكرة الحفاظ ج٤ : ١٤٨٨ .

(٥) كراتشكوفسكي تاريخ الادب الجغرافي العربي ج١ : ٣٨٩ . مهرجان ابي الفداء : ٢٤٤ ـ ٢٤٩

ويتابع كراتشكوفسكي فيقول «وكتابه بوجه عام مصنف تام مكتمل يمتاز بأصالة التبويب وبالوضوح فضلاً عن انه تمتع برواج كبير سواء بين الأجيال القريبة من المؤلف او التالية له» [١]

وهو اوائل الكتب التي ترجمت الى أوربا عن اللغة العربية وذلك منذ عام (١٥٦١) وعمل فيه الكثير من المستشرقين في كل أنحاء العالم وفي مختلف العصور .

وله كتاب آخر باسم «العروض والاطوال» وفيه قياسات بعد البلدان عن خط الاستواء نحو الشمال .

٢ ـ نجم الدين عبد الرحيم بن ابراهيم بن البارزي الحموي الجهني ، وكان قاضي قضاة حماة

وقد ذكر بروكلمان ان ولادته كانت سنة ٦٠٨هـ/ ١٢١١م . وتوفي في ذي القعدة سنة ٦٨٣ كانون ثاني ـ شباط / ١٢٨٤م في تبوك وهو في طريقه للحج ودفن في المدينة المنورة وقد الف كتاب «مداولة الايام ومماثلة الاحكام » وارجوزة تاريخية تشمل حياة محمد وتاريخ الدول «الاسلامية والدول غير الاسلامية والدول السابقة للاسلام وتشمل ايضاً عرضاً جغرافياً للبلاد التي فتحها الاسلام .»[٢]

## في التاريخ

شهدت حماة في فترة الايوبيين من البيت التقوي عدداً لابأس به من كبار مؤرخي هذه الفترة من تاريخ الاسلام وكان بعضهم من البيت التقوي من ملوك حماة .

١ ـ محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه التقوي الايوبي (٥٦٧ ـ ٦١٧)هـ

وهو الملك المنصور محمد صاحب حماة كان مؤرخاً ترك كتاباً ضخماً هو «مضمار الحقائق وسر الخلائق» ويشار إليه في كتب التاريخ ايضاً باسم «المضمار» وقد وصفه ابو شامة بانه قد جمع فيه «جملة من التواريخ واسماء من ورد عليه وأقام عنده» ووصفه بانه من عشر مجلدات واشار إليه العماد الحنبلي إنه يقع بعدة مجلدات .

وقد اتبع فيه طريقة الحوليات . الا ان معظم مؤلفه بحكم المفقود ولم يبق منه سوى قطعة تضم حوادث سنوات (٥٧٥ ـ ٥٨٢)هـ نشرها الدكتور حسن حبشي في القاهرة عام ١٩٦٨ [٣].

٢ ـ ابراهيم بن ابي الدم (ت ٦٤٢هـ)

وقد اشار إليه ابو الفداء في مختصره فقال : توفي القاضي شهاب الدين ابراهيم بن عبد الله بن عبد المنعم علي بن محمد الشافعي عرف بابن ابي الدم قاضي حماة وكان قد توجه رسولاً الى بغداد فمرض في

---

(١) نفس المصدر : ٣٩٤ (كراتشكوفسكي) ج (٢) تاريخ الأدب العربي ج (٦): ١٤٨

(٣) انظر مقدمة القطعة المنشورة من «مضمار الحقائق وسر الخلائق» وانظر المختصر ج٣ : ١٢٦ وابو شامة ذيل الروضتين : ١٢٤ ، بروكلمان ج٦ : ٤٢ ـ ٤٣ ، التاريخ العربي والمؤرخون ج٢ : ٢٤٨ ـ ٢٥٠

المعرة وعاد الى حماة مريضاً فتوفي بها وهو الذي الف التاريخ الكبير المظفري[1]

ويذكر د. سهيل زكار انه وقف على عدة نسخ خطية منه وعلى ترجمة فارسية له .[2]

وقد عرف ابن ابي الدم بالنزاهة العلمية والف كتاب ادب القضاء وكتاب الدرر المنظومات في الفقه الاسلامي وتاريخ النبي محمد صلى الله عليه وسلم والخلفاء الى سنة ٦٢٨هـ/ ١٣٢١م وكتاب تدقيق العناية في تحقيق الرواية وكتاب الفرق الاسلامية وغيرهم[3]

٣ ـ ابو الفضائل محمد بن علي بن نظيف الحموي : ولا نعرف عن حياته الكثير ويفهم من نسبه الذي دونه هو عن تاريخه «العبد المملوك ابو الفضائل محمد بن علي بن عبد العزيز بن علي بن مزهر بن بركات بن علي بن نظيف الحموي الكاتب الملكي المجاهدي» فهو حموي ونسبه يعود للملك المجاهد صاحب حمص ودون على كتاب آخر له على انه كان يشغل منصباً رفيعاً عام ٦٢٥هـ/ ١٢٢٨م وهو كاتب الحافظ بن عادل صاحب قلعة جعبر ووزيره وانه كان يسند إليه المهام الجسيمة . ثم يقول عن نفسه انه اعتقل لفترة . ثم نجده يقيم بحمص ومن ثم يعود الى حماة لخدمة وزير صاحب حماة الامير الاسفهسلار سيف الدين علي بن ابي علي المذباني ولا نجد ما يشير الى حياته بعد ذلك . الا انه من المؤكد ان وفاة الوزير المذكور كان عام ٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م . ويستفاد من اشارات دونها معاصروه انه كان شاعراً ايضاً .

وترك ابن نظيف ثلاثة كتب في التاريخ لم يصلنا منها سوى اثنين الاول «مختصر الاوائل والملوك ووسيلة العبد المملوك» وقد قدمه للوزير المذكور في حماة وهو عبارة عن تاريخ مختصر من ابتداء التناسل الى الهجرة النبوية وما تهدد بعدها من الحوادث والوقائع والكوارث بشكل مختصر جداً .

كذلك له التاريخ المنصوري وهو ملخص لكتابه المفقود «الكشف والبيان في حوادث الزمان» .

والمهم من كتابه «والتاريخ المنصوري» الجزء الواقع مابين سنتي (٥٨٩ ـ ٦٣٠)هـ وقد نشره ابو العيد دودو عام ١٩٨٢ في مجمع اللغة العربية بدمشق وكان قد سبق ونشر في موسكو[4].

٤ ـ جمال الدين ابو عبد الله محمد بن سالم بن واصل (٦٠٤ ـ ٦٩٧)هـ (١٢٠٧ ـ ١٢٩٨)م

واصله من حماة مارس التدريس فيها فقد اشتهر بفقهه وبالفلسفة والرياضيات والفلك ثم استدعاه الظاهر بيبرس الى القاهرة (٦٥٩هـ) واوفد بمهمة رسمية الى ملك صقلية (منفرد) . وبعد عودته عين قاضياً للقضاة ومدرساً في حماة في المدرسة العادلية .

وقد اشتهر بكتابة «مفرج الكروب في اخبار بني ايوب» وتاريخه يعتبر من نوع تواريخ «فترة معينة» اذ حصره باخبار بني ايوب . والكتاب من نوع الحوليات ايضاً السير .

---

(1) المختصر ج٣ : ١٧٣ ، كتاب ادب القضاء :١٨

(2) مهرجان ابي الفداء :٥٣

(3) كتاب ادب القضاء: ٢١ ـ ٢٢

(4) انظر مقدمة التاريخ المنصوري نشر مجمع اللغة العربية ، بروكلمان ج٦ : ١٥٠ / التاريخ العربي والمؤرخون ج٢ : ٢٥٥ ـ ٢٥٨

ويصف الكتاب بروكلمان بانه من ثلاث مجلدات.وقد شُرِعَ بنشره في القاهرة منذ سنوات عديدة ولم يكمل حتى الآن على الرغم من ان اكثر من محقق قد عمل به . وان له ذيلاً يكمله حتى سنة ٦٩٥ / ١٢٩٦ وضعه علي عبد الرحيم بن احمد كاتب ومولى الملك المظفر وهو موجود في باريز وقد صدرت أربعة اجزاء من كتابه (تخالف ترتيب المجلدات) عن مصر . الثلاثة الأول بتحقيق المرحوم جمال الدين الشيال والرابع بتحقيق حسنين ربيع ....

ويذكر بروكلمان للكتاب مختصراً من وضع قره طاي الغزي الخزنداري .

كذلك يذكر بروكلمان لابن واصل كتاباً تاريخياً أخر هو «التاريخ الصالحي وذلك من بدء الخليقة الى موت الحسن . موجود في المتحف البريطاني وفي تركيا .

ويذكر بروكلمان له كتباً اخرى، منها «شرح المقصد الجليل لابن الحاجب» و «الامبرورية» وهي مختصر في المنطق الفه للملك ما نفريد ملك صقلية ونشره بالشرق بعنوان «نخبة الفكر في المنطق» كذلك «تجريد الاغاني» .[1]

٥ - علي بن عبد الرحيم بن احمد

قلنا إنه كاتب ومولى الملك المظفر صاحب حماة وذكر بروكلمان انه وضع ذيلاً لكتاب ابن واصل «مفرج الكروب في اخبار بني ايوب» وقد اورد الحوادث حتى سنة ٦٩٥هـ/ ١٢٩٦م ومخطوطته في باريز[2]

٦ - ابو الفداء

وهو علم اعلام مؤرخي هذه الفترة واعظم مؤرخي حماة على الاطلاق اشتهر بكتابه المختصر في اخبار البشر . الذي درس فيه تاريخ ما قبل الاسلام ثم تاريخ العرب المسلمين الى سنة ٧٢٨هـ والكتاب عبارة عن مختصر لكتاب ابن الاثير وغيره من كتب تقدمته ، وذيل لكتاب ابن الاثير اعتباراً من وفاته سنة ٦٣٠ وحتى عام ٧٢٨هـ ، والمهم في الكتاب الحوادث التي عاشها ابو الفداء وارخ لها . والكتاب ايضاً دون على طريقة الحوليات «[3] ويعتبر مصدراً هاماً عن الفترة الايوبية .

ولابي الفداء ايضاً كتاب «التبر المسبوك في تاريخ الملوك» وقد ورد في فهرس دار الكتب المصرية ، ونسختها ناقصة تبتدىء من سلطنة «شمس الملوك دقاق السلجوقي» المتوفى ٤٩٩هـ/ ١١٠٥م وفيها تواريخ المماليك الترك والجراكسة سلاطين مصر والشام وقد كتب عن كل منهم اهم اخباره .

كذلك لابي الفداء كتاب «مختصر اللطائف السنية في التواريخ الاسلامية» والكتاب بالاساس «لفخر الدين عثمان المعروف بالعدولي الحمصي» اختصره ابو الفداء في مجلد صغير وذكر انه اختصره

---

(١) بروكلمان ج٦ : ٣٢ -٣٣ ، مقدمة مفرج الكروب ، المدخل الى التاريخ : حاطوم ، عاقل ، طربين ، مدني : ٢٨٩
(٢) بروكلمان ج٦ : ٣٣ .
(٣) مهرجان ابي الفداء وفيه عدة مقالات تذكر كتابه واثره في التاريخ.المدخل الى التاريخ : ٢٨٠ وما بعدها .

استناداً لتاريخ الذهبي وابن عساكر وابن كثير وغيرهم وفيه حوادث من سنة ٧٢١هـ/ ١٣٢١م وقد ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون .[١]

وكما سلف القول يستحق أبو الفداء أن يفرد له رسالة خاصة ، وعليه اكتفي بالعرض الموجز .

## في الادب

### ـ في النثر وعلوم اللغة

١ ـ ولعل أهم علماء اللغة والنحو في بلاد الشام ابن مالك جمال الدين محمد بن عبد الله الشافعي الجياني الطائي وهو صاحب الالفية المشهورة واسمها «تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد التي نظمها في حماة وله الكثير من النظم والكتب منها «الكافية الشافية ، ومختصرها ، وتسهيل الفوائد ومختصره بالتسهيل وكتاب العمرة و«اكمال الاعلام بمثلث الكلام» و«فعل وافعل» وغير ذلك كثير

وقد اقام بحماة فترة وتوفي بدمشق سنة ٦٨٦هـ[٢]

وذكر القفطي من النحاة من وردوا حماة او ان اصلهم منها :

٢ ـ محمد بن ابي محمد بن محمد بن ظفر :

وهو مكي الاصل مغربي المنشأ اقام بحماة وأمّه طلاب العلم وصنف كتباً كثيرة وفسر القرآن في كتابه «الينبوع» . ودخل صقلية سنة اربع وخمسين وخمسمائة وصنف بها كتاب «سلوان المطاع في عدوان الاتباع» .

وقد اطلق له نور الدين محمود في كل شهر سبعين قرطاساً يكون عليها سبعة دراهم فضة في كل شهر . وقد اشتهر باسم «الحُجَّة» .

وقد توفي بحماة في سنة ٥٦٧ او ٥٦٨هـ[٣] .

٣ ـ الحسين بن حميد الحسين الحموي المعري النحوي :

وهو من اصل حموي نزيل مصر وكان ضريراً وكان له حلقة في جامع عمرو بن العاص بمصر لاقراء الحديث والنحو . وكان ثقة وله نظم من الشعر[٤] .

---

(١) كشف الظنون «حسب اسم الكتاب ابجدياً» ، مهرجان ابي الفداء : ٢٤٤ ـ ٢٤٩

(٢) النجوم الزاهرة ج٧ : ٢٤٤ / الادب في العصر المملوكي ج٢ : ١٥٥ ـ ١٥٦ ، بروكلمان ج٥، ٢٧٥ ـ ٢٩٦

(٣) انباه الرواة ج٣ : ٧٤ ـ ٧٦ ،

(٤) انباه الرواة ج١ : ٣٢٢

٤ ـ ابو حسان الضرير التدمري المقرىء النحوي :

من اهل تدمر من بني جرير بن عامر عمل في تدمر وحماة زمن صلاح الدين وله شعر مديح لصلاح الدين[1].

ويورد المرحوم احسان العظم بعض العلماء والمدرسين الذين عاصروا أبا الفداء في حماة :

٥ ـ «محمد بن قاضي بار بن بدر الدين الشافعي انفاضل المفتي ، كان عارفاً بالحاوي الصغير ويعرف نحواً واصولاً وعنده ديانة وتقشف توفي سنة ٧٣٨هـ .

٦ ـ الامام البارع بدر الدين ابو عبد الله الحموي المعروف بابن النحوية ، وكان رأساً في العربية والمعاني والبيان ، خيراً كيساً متواضعاً وقوراً . . .

مات في صفر سنة ٧١٨هـ . اختصر المصباح «تاليف ابن مالك» وله «اسفار الصباح عن ضوء المصباح» وشرح ايضاً الفية ابن المعطي باسم «حرز الفوائد وقيد الاوابد» .

٧ ـ موسى بن بصيص المجود الكاتب ، شيخ الكتابة بزمانه ولد بحماة سنة ٦٥١هـ وكان بارعاً في الخط وكتب الاقلام كلها ثم اخترع قلماً سماه «المعجز»[2]»

واخيراً فقد عرف عن ابي الفداء نشاطاته وتاليفه في النحو منها كتابه :

كتاب الكناش : وهو مجلدات كثيرة الاول منه مخطوط موجود في «دار الكتب المصرية» يشتمل على علم النحو والصرف الف سنة ٧٢٧هـ/ ١٣٢٦م .

وكتاب «شرح نظم الكافية» وهو شرح لكتاب «الكافية» في النحو للشيخ جمال الدين ابي عمرو عثمان المعروف بابن الحاجب المتوفى سنة ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م قام ابو الفداء بشرح الكافية عام ٧٢٢هـ/ ١٣٢٢م .

## ـ في الشعر :

شهدت حماة في ظل البيت التقوي الايوبي نهضة ادبية رائعة وكان للشعر منها النصيب الاكبر فكثر شعراء البلاط وندماؤه من أهل حماة أو ممن شدوا الرحال الى بلاط ملوكها يمدحون وينشدون متكسبين تارة . مستظلين بامنها تارة اخرى .

ويضيق المقام عن ذكر كل الشعراء الحمويين والوافدين الى حماة فنكتفي بالاشارة الى اهمهم :

---

(١) انباه الرواة ج٤ : ١١٠

(٢) مهرجان ابي الفداء مقال احسان العظم : ١٨١ ـ١٨٢ .

١ـ الملك تقي الدين عمر صاحب حماة :

وهو مؤسس مملكة حماة الايوبية والفارس الشجاع في الحروب وقد شبهه تاج الدين الكندي (جامع ديوانه ونديمه) «بسيف الدولة بن حمدان وبني عمه او عضد الدولة ابن بويه واقاربه» وذلك لجمعه الملك والسلطان مع الشعر والادب .

وسبب نظمه الشعر كما يقول العماد الاصفهاني كان «يجالس العلماء ويثافن الالباء وينافث الادباء ، ولكثرة امتزاجه بهم ، نظم الشعر طبعاً ، ولم يميزه نصباً ورفعاً» .

وقد جمع تاج الدين الكندي مائتي بيت من شعره وذلك بعد ان هذب الشعر وضبطه وقومه لتقي الدين عمر تقرباً منه . ثم قام العماد الاصفهاني بايراد الشعر في كتابه خريدة القصر وجريدة العصر في جزئه المتعلق بشعراء دمشق والشعراء الامراء من بني ايوب [١] .

وقد وصف العماد شعره قائلاً «اشعار الملوك ملوك الاشعار» .

٢ ـ بهاء الدين أسعد يحيى السنجاري [٢] :

كان ممن التحق بخدمة الملك المنصور محمد صاحب حماة ورافقه في حله وترحاله وقد نقل عنه صاحب مفرج الكروب بعضاً من شعره في مدح الملك المنصور بعد معركته مع الفرنج في أواخر القرن السادس الهجري ٥٥٩ هـ .

٣ ـ سالم بن سعادة الحمصي [٣] :

وهو ايضاً من حاشية صاحب حماة الملك المنصور محمد وقد نقل صاحب مفرج الكروب في اخبار بني ايوب بعضاً من شعره في مدح الملك المنصور بمناسبة ولادة ابنه في اواخرالقرن السادس الهجري (٥٩٩هـ) .

كذلك نقل قصيدة مدح فيها الملك المنصور بعد انتصاره على الفرسان الاسبارتيين في معركته معهم [٤] .

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر قسم شعراء دمشق والشعراء الامراء من بني ايوب : ٨٠ ـ ١١٢ .
(٢) مفرج الكروب : ١٤٣
(٣) مفرج الكروب : ١٤٧
(٤) مفرج الكروب : ١٤٩

٤ ـ ابو الحسين أحمد بن منير بن أحمد بن مفلح مهذب الدين (الملك) الطرابلسي[1]

ولد سنة ٤٧٣هـ/ ١٠٨٠م في طرابلس وكان شيعياً سجنه صاحب دمشق «بوري بن طغتكين» مدة بسبب هجائه ثم نفاه وسمح له بالعودة اسماعيل بن بوري.غير انه سرعان ما اغضبه.لذلك اضطر للهرب والاختفاء فعاش في حماة وشيزر وحلب مدة .

٥ ـ ابو محمد عبد العزيز بن عبد المحسن بن محمد بن منصور بن خلف الدمشقي المعروف بـ(ابن الرفاء) وهو شيخ شيوخ حماة.و الملقب شرف الدين (او الشريف) الانصاري ولد سنة ٥٨٦هـ/ ١١٩٠م.كان ابوه من سكان كفر طاب وبعد هجوم الفرنج والروم عليها هجرها ابوه الى دمشق ثم انتقل الى حماة.وولي اوقاف الملك المنصور محمد.وقد نشأ شرف الدين في ظل ملك حماة الملك المنصور محمد.عاش معظم عمره في حماة مادحاً المدينة وملكها الملك المنصور محمد.وبعد وفاة الملك المنصور انحاز شرف الدين الى ابنه صاحب الحق في الوراثة الملك المظفر الثاني من قلج ارسلان مغتصب العرش .

وبعد وفاة الملك المظفر الثاني عين شرف الدين على رأس مجلس اوصياء الحكم على ولي العهد الملك المنصور الثاني,الذي تولى الملك وهولم يتجاوز العاشرة من عمره.وبقي شرف الدين في منصبه هذا الى ان بلغ الملك سن الرشد وتسلم الملك .

ونجده ايضاً يتدخل في الخلاف الذي نشب بين الملك المنصور الثاني واخيه الافضل اثر وفاة ام المنصور غازية خاتون فيتوسط بينهما وينهي الخلاف .

وقد كان ملوك حماة يعتمدون وزيرهم شرف الدين.وبلغ ارفع المناصب.وحمل مهام السفارة في احلك الظروف بين ملوك الشام ومصر .

وقد توفي ايام الملك المظفر الثالث عام ٦٦٢هـ/ ١٢٩٦م ودفن بظاهر حماة . وقد اشار الاقدمون الى كثرة شعره قائلين «وشعره كثير لا يجمعه ديوان» وذكر ابن نباتة المصري الى وجود ديوان له اختار من جمله وكذلك فعل ابن حجة الحموي . وتوجد نسخة من ديوانه بخطه في مكتبة بايازيد في استنبول . واشار الصفدي الى وجود ديوان آخر في لزوم ما لا يلزم . واشار صاحب كشف الظنون لمؤلفات اخرى لشهاب الدين .[2]

٦ ـ التلعفري شهاب الدين ابو المكارم محمد بن يوسف بن مسعود بن بركة الشيباني :

ولد في الموصل سنة ٥٩٣هـ/ ١١٩٧م وكان كلما اكتسب شيئاً من المال من الملك الاشرف صاحب الموصل بعد ان يمده بشعره يذهب ليقامر به.حتى قيل انه قامر بقميصه ونعليه.وكان هذا دابه ايضاً في حلب ودمشق بعد ان طرِدَ وذهب اليهما . ووجد ملجاه الاخير في مقر صاحب حماة الملك المنصور الثاني

---

(١) بروكلمان ج٥ : ٤٧

(٢) محاضرات في الادب المملوكي والعثماني : عمر موسى باشا : ٤٥ ـ ٧٧

محمد . وقد لقي عنده الحفاوة والأكرام وحسن حاله بعد ان اغدق عليه العطاء وتوفي في حماة سنة ٦٧٥هـ/ ١٢٧٧م .

وله ديوان شعر قال عنه ابن تغري بردي «ديوان شعره لطيف في غاية الحسن وهو موجود بأيدي الناس» .[1]

ونذكر من الشعراء الذين هم من اصل حموي او من نزلا. حماة[2]

ابن قسيم الحموي المتوفي عام ٥٤٣هـ/ ١١٥٧م وابن رواحة ابو علي الحسين المتوفي عام ٥٨٥هـ/ ١١٨٩ م وابراهيم بن محمد قرناص المتوفى عام ٦٧١ هـ/ ١٢٧٣ م ومحي الدين بن قرناص المتوفى عام ٦٧٤ هـ/ ١٢٧٤ م والاثير الابهري عبد الرحمن بن عمر وقد كان طبيباً بارعاً أيضاً .

الشعراء المشهورون الذين زاروا حماة ومدحوا ملوكها :

١ ـ ابن نباتة المصري : وهو ابو بكر جمال الدين بن محمد.ولد في القاهرة عام ٦٨٦هـ/ ١٢٨٦م.ولد من اسرة عرفت بالعلم والدين والادب.وانكب على الدراسة والتحصيل ونبغ قبل ان يكمل العشرين من عمره. عاش عشر سنوات (حتى الثلاثين من عمره) في مصر دون ان يصادف حظاً ، لذلك ارتحل الى الشام واتصل بالملك المؤيد صاحب حماة حوالي عام ٧١٦هـ.وبعد وفاة المؤيد اتصل بابنه الملك الافضل وغيره من الامراء وعمل لديهم في بعض الوظائف الادارية ، ثم عاد للقاهرة عام ٧٦٠هـ/ ١٣٥٨م.وتوفي فيها عام ٧٦٨هـ ١٣٦٦م عن عمر يناهز الثمانين . ويعتبر من اكبر شعراء عصره.وله ديوان ضخم وعدة مؤلفات .[3]

٢ ـ صفي الدين الحلي :

وهو صفي الدين عبد العزيز بن سرايا الطائي ولد في العراق سنة ٦٧٧هـ/ ١٢٧٨م وقد نبغ في الادب والفكر وقال الشعر وعمره سبع سنوات . ارتحل من الحلة الى ماردين حيث استقر فيها فترة ثم ذهب للحجاز وزار القاهرة ثم عاد الى الشام حيث استقر في حماة عند الملك المؤيد ابي الفداء الذي كرمه كثيراً ، وشهد يوم وفاته فرثاه بعدة قصائد وهنأ ابنه الافضل بارتقائه العرش ثم غادر حماة الى بغداد ومات فيها عام ٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م

وقد ترك ديواناً ضخماً هو مختارات من شعره وليس جميعه وله عدة رسائل ومؤلفات ومجموعات شعرية[4]

---

(١) النجوم الزاهرة ج٧ : ٢٥٧ ، عمر موسى باشا : ٧٨ ـ ١٠٣ ، بروكلمان ج٥ : ٥٥ ـ ٥٦

(٢) مجلة العمران عدد حماة : ٢٩ ـ ٣٠ : ١٧٤ الحركة الفكرية في مدينة حماة قديماً وحديثاً:عدنان قيطاز .

(٣) مهرجان ابي الفداء مقال وليد قنباز : ١٩١ ومقال المعلم : ١٧٨ ـ ١٧٩

(٤) نفس المصدر : ١٩١ ـ ١٩٢ ومقال المعلم ايضاً : ١٧٩

**فنون البناء والابنية في مملكة حماة الايوبية :**

تأثرت حماة في فترة حكم الاسرة التقوية فيها بمظاهر ثلاثة تيارات فنية متوالية . كانت الاولى سلجوقية وقد بدأت قبيل انتقال السلطة للبيت التقوي في حماة ، وكانت ثاني التيارات التيار الفني الايوبي واخيراً المملوكي .

وقد كان الاطار العام لفترة الحكم السلجوقي والايوبي:بناء المدارس لاحياء المذهب السني، والعمارات العسكرية،وحروب الصليبيين :

وقد تميز فن البناء السلجوقي بخصائص عامة جمعت مابين العادات الموروثة في البلاد والتأثيرات الخراسانية والعراقية التي رافقت السلاجقة قبل وصولهم للشام ، وكانت التجديدات التي احدثها هذا التيار ظهور المدرسة كمؤسسة ثقافية ومعمارية جديدة . وظهرت الخانقاسات كمنازل للصوفية . والبيمارستانات لتقوم بدور المستشفيات ومدارس الطب، واخذ الاهتمام بالدفاعات والتحصينات وانشاء القلاع واسوار المدن القسط الاكبر من العناية .

واهم ما يميز عمائر هذه الفترةاحتواؤها على اواوين ذات عقود حجرية واسعة مفتوحة مع وجود بركة ماء في وسط الباحة . واصبحت القباب محمولة على حنايا ركنية في زوايا الغرف او على المقرصنات التي استخدمت لاول مرة في المباني كعنصر معماري وزخرفي بآن واحد .

وقد وصلت هندسة العمارة اوجها في هذا العصر في زمن نور الدين ، وكان له في حماة الجامع النوري والبيمارستان النوري وكلاهما وان كانا لا يدخلان مباشرة في اطار دراستنا الا ان لهما دوراً كبيراً في الحياة العامة للفترة التي ندرسها سواء من الناحية الفنية أو العلمية أو الحضارية .

فجامع نور الدين الذي بناه الملك العادل نور الدين سنة ٥٥٨هـ/ ١١٦٢م وفيه مئذنة مربعة الشكل وهو يحوي منبراً خشبياً يعتبر من روائع الفن الاسلامي في العالم . أما البيمارستان النوري : فهو مستشفى حماة ومدرسة الطب فيها وهو يقع الى جوار جامع نور الدين وقد تهدم وبقيت منه آثار ضئيلة[1]

اما التيار الايوبي وهو التيار الرئيسي في دراستنا فقد تميز اسلوبه بأستمرارية اسلوب التيار السلجوقي مع بعض التبديلات .

فقد شهدت حماة في العصر الايوبي حركةعمرانية لامثيل لها بسبب استقرار الحكم فيها بظل البيت التقوي وتوسعت المدينة باضافة مساحات جديدة لها وتم تجديد القلعة وتم تحويل طريق دمشق حلب عن شكله ومسراه القديم .

واحكمت اسوار المدينة والقلعة عدة مرات . واقيمت المدارس الكثيرة والخانقانات والدور الكبيرة والاضرحة ذات القباب والحمام المعروف بحمام السلطان ، ويغلب على العمارة الايوبية بشكل عام

(١) العمارة العربية الاسلامية خصائصها وآثارها في سورية . عبد القادر الريحاوي ص٩٩ -١٠٧

ثم تغلب على طرزها البـاسطة
استخدامها للعناصر المعمارية القديمة وبقايا الاثار العمرانية المتهدمة ، وهي تعتمد على الحجر
والتقشف وذلك بسبب حالة الحرب مع متانة وقوة واتقان في التخطيط والبناء . وفي العمارة العسكرية كان لها
المنحوت والمستخدم بمقاييس كبيرة ، وكثرة استخدام القباب في الابنية .
اعتناء بالابراج والاسوار .

وتتميز العمارة الايوبية بالاعتناء بالواجهات التي تكون حجرية والابواب قصيرة الطول عموماً يكاد
تقتصر الزخرفة فيها حيث نجد المقرنصات والحجارة الملونة ونجد في الابواب اشرطة كتابية مزينة بالخط
النسخي و (الثلث الجميل) تبين اسم صاحب البناء وتاريخ البناء[1] .

اما التيار الثالث فهو المملوكي الا ان تأثيره على الفترة التي ندرسها ضعيف بسبب ان الفترة
المملوكية عامة في سوريا امتدت عدة قرون ٦٥٨هـ/ ١٢٥٩م - ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م بينما كانت الفترة
المملوكية التي ندرسها في حماة هي اقل من قرن ٦٥٨ -٧٥٢ ، ومع ذلك فقد اتسمت العمارة المملوكية
بازدهار النهضة العمرانية التي بدأت منذ عهد نور الدين حتى العهد الايوبي مع تطور وغنى في العناصر
المعمارية والزخرفية بعد ان انتهت حياة التقشف الناتجة عن الحروب الصليبية وآثارها السلبية . لذلك
اخذت المباني تزخر بالزينة من الداخل والخارج واخذ حب المظهر يطغي على التخطيط والتنفيذ شكلاً
وقالباً ، وقد قلت الابنية الضخمة لتظهر الابنية الصغيرة ونجد تشابهاً في المنشآت في المدينة الواحدة مع
اختلافها بين مدينة واخرى . وقد زاد الاعتماد على الاقواس والقباب وكثرة المآذن حتى زودت بها بعض
المدارس التي لم تكن جوامع اماماً . كثرت العناصر الزخرفية سواء منها الحجرية أو الخشبية وظهر
عنصر التلوين سواء في نوع الحجر والوانه أو في الصباغات الداخلية لكسوة الابنية .

وان اهم المنشآت الايوبية المتبقية في حماة هي :

- بعض العناصر المضافة والمحدثة من الجامع الكبير ومنها المئذنة الشمالية والمنبر وعضائد الحرم .
وتربة تضم مذبحين هما تربة وقبر الملك المنصور محمد المتوفى ٦٨٣/ ١٢٨٤ وقبر الملك المظفر محمود
المتوفى ٦٩٨ / ١٢٩٨ .

٢ -مسجد ابي الفداء وتربته وقد شرحناه في الفصل المتعلق بابي الفداء[2] .
١ - دار الوزير أو دار الاكرام في باب المغاور وقد حولت الى مدرسة عرفت باسم الخاتونية
٢ - دار المبارز : انشاها مبارز الدين آقوش اذ جعلها لضيافة الملوك

(١) العمارة العربية الاسلامية : خصائصها وآثارها في سوريا : د عبد القادر الريحاوي : ١١٥ -١٢١
(٢) العمارة العربية الاسلامية : خصائصها وآثارها في سوريا : عبد القادر الريحاوي : ١٥٧ - ١٦٧ ، ١٩٤ -١٩٥
وانظر ايضاً مجلة العمران عدد حماة (٢٩ -٣٠) مقال كامل شحادة ٩٨ -١١٥ ومقال عدنان المفتي ١١٦ -١٣٤ ومقال عبد
الرحيم المصري ٧٢ -٨٧ . وانظر ايضاً مهرجان ابي الفداء مقال احسان المعظم : ١٦٥ -١٦٨ وانظر تاريخ العصر
الايوبي امينة بيطار : ٢٠١ -٢١٦ ، تاريخ المماليك عادل زيتون : ٢١٠ -٢١٣

٣ ـ دار السعادة : وقد انشأها الملك المظفر محمود غرب العاصي جانب حمام السلطان سكنها ابو الفداء في اول عهده .

٤ ـ حمام السلطان عند جامع نور الدين الشهيد وقد انشأه الملك المنصور محمد بن الملك المظفر تقي الدين عمر

٥ ـ القصر والقبة العليا وهما دار لأبي الفداء تم بناؤهما عام ٧٢١ هـ ذكرنا وقد بيعت انقاضها عام ١٦٧٩م

٦ ـ دار الضيافة المسماة بالطيارة الحمراء شرقي الجامع النوري وذكرها ابو الفداء في مختصره .

٧ ـ دار الفرح : في محلة باب الجسر وكانت وقفاً للافراح والاعراس .

٨ ـ دار السلطان حسن : شقيق ابي الفداء وتقع في محلة الحسينة التي تنسب إليها .

٩ ـ خمس قاعات لآل قرناص قرب مسجد ابي ذر .

كذلك يعود لهذه الفترة الكثير من المدارس سنأتي على ذكرها في بحث الحياة الثقافية في مملكة حماة الايوبية[1] . ولم تقتصر آثار ايوبي حماة على مدينة حماة فقط بل امتدت الى سائر انحاء المملكة الحموية ونذكر على سبيل المثال ما ينسب الى هذا العهد في المعرة .

١ ـ الجامع الكبير : وهو قديم إلا أن أهم ما فيه مئذنته الايوبية الجيدة البناء والتي تشبه بهندستها وزخرفها مئذنة الجامع الكبير بحلب وهي مربعة الشكل بالغة الارتفاع بنيت سنة ٥٩٥هـ/ ١١٩٨م في عهد الملك المنصور .

٢ ـ المدرسة الشافعية : وقد بنيت ايضاً من قبل المنصور نفسه وبنفس العام وهي جيدة البناء مزودة بالنقوش والكتابات . وفيها حرم تتوسطه قبة حجرية وتربة .[2]

١ ـ خان السبيل داخل قرية تسمى باسمه وتقع شمالي بلدة معرة النعمان بين عام ٧٣٣هـ/ ١٣٧٢م كما تشير الكتابة المنقوشة عند الباب ، وبوابته حصينة متقنة البناء يعلوها قوس وفوق الباب توجد آثار روشن دفاعي .[3]

بينما يذكر في ذيل تاريخ ابي الفداء (المختصر) بان صارم الدين ازبك المنصوري الحموي بنى خاناً للسبيل بمعرة النعمان شرقيها وعمل عنده مسجداً وسبيلاً للماء .[4]

---

(١) مهرجان ابي الفداء مقال احسان العظم : ١٦٥ ـ ١٦٦ ، مجلة العمران حماة (٢٩ ـ ٣٠) مقال عبد الرحيم المصري : ٧٢ ـ ٨٧

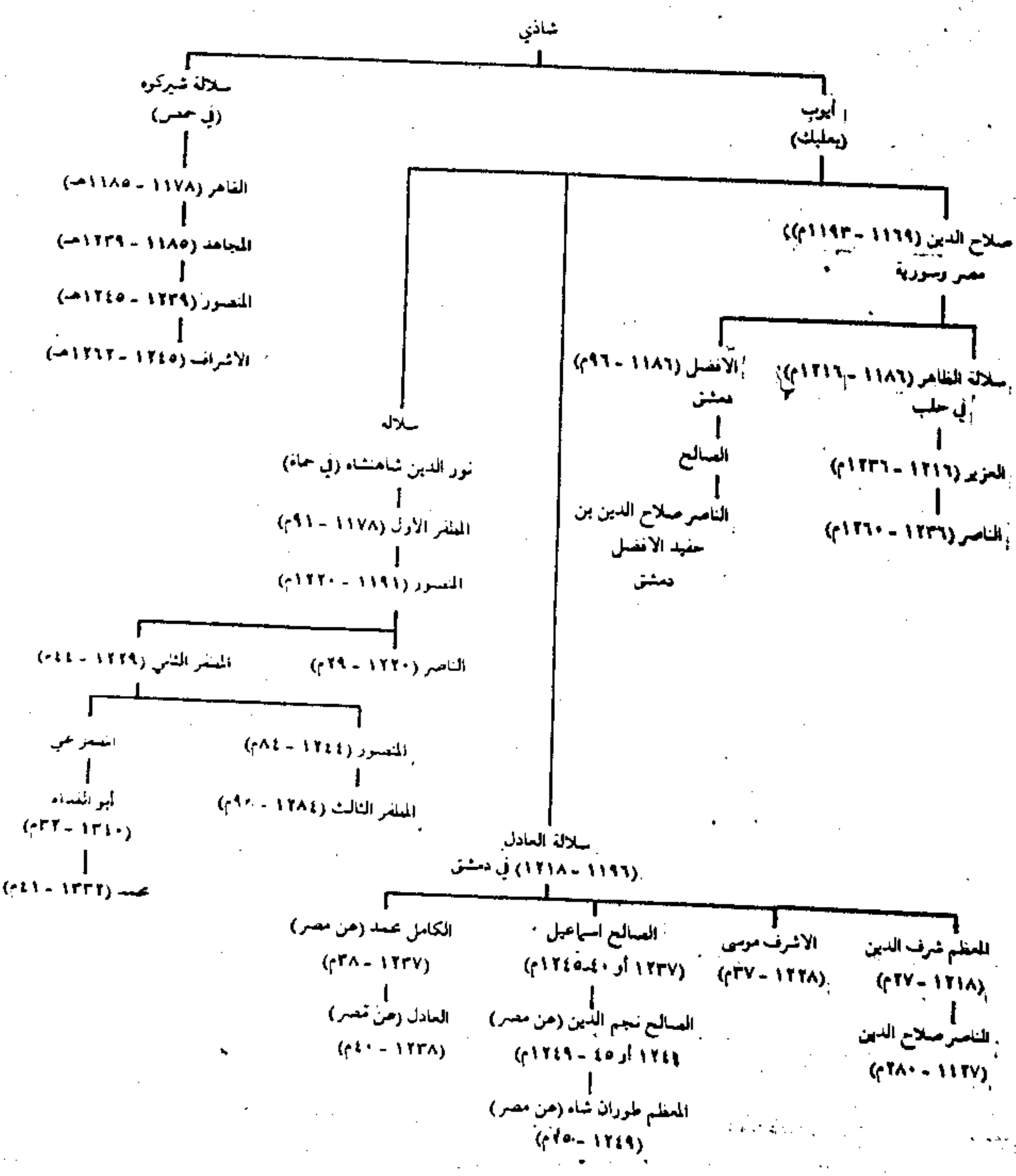
(٢) العمارة العربية الاسلامية خصائصها وآثارها في سوريا عبد القادر الريحاوي : ١٤٥

(٣) نفس المصدر ص١٩٦

(٤) المختصر ج٤ : ١١٩

# الملحق (١)

## الشجرة الايوبية



# الملحق (٢)

## شجرة نسب ملوك الايوبيين في حماة

نور الدين شاهنشاه (اخو صلاح الدين)

↓

١) المظفر الاول تقي الدين عمر (١١٧٨ - ١١٩١)

↓

٢) المنصور ناصر الدين محمد (١١٩١ - ١٢٢٠)
٦١٧-

٣) الناصر صلاح الدين
(١٢٢٠ - ١٢٣٩)

٤) المظفر الثاني تقي الدين
(١٢٢٩ - ١٢٤٤)
٦٤٢

٥) المنصور سيف الدين
(١٢٤٤ - ١٢٨٤)

↓

٦) المظفر الثالث تقي الدين
(١٢٨٤ - ١٢٩٨)

(المظفر علي)

↓

٧) المؤيد ابو الفداء
(١٣١٠ - ١٣٣٢)

↓

٨) الافضل محمد
(١٣٣٢ - ١٣٤١)

عن فيليب حتي تاريخ سوريا ولبنان
وفلسطين ج ٢ ص٢٦٥

# الملحق (٣)

## رحلة ناصر حزو إلى حماه
## في القرن الخامس الهجري(١)

وفي الخامس عشر من رجب سنة ٣٣٨ (١٥ يناير ١٠٤٧) سرنا إلى كويمات ، ومنها إلى حما . وهذه مدينة جميلة عامرة على شاطىء نهر العاصي ، ويسمّى هذا النهر بالعاصي لانه يذهب إلى بلاد الروم . فهو يخرج من بلاد الإسلام ليدخل بلاد الكفر . وقد نصبوا عليه سواقي كثيرة . ومن حما طريقان ، أحدهما بجانب الساحل غرب الشام ، والآخر في الجنوب وهو ينتهي إلى دمشق ، فسرنا عن طريق الساحل . وقد رأينا في الجبل عيناً ، قيل إن ماءها يتفجر في الثلاثة أيام التالية لنصف شعبان من كل سنة ، ثم ينضب فلا تخرج منه قطرة واحدة حتى السنة التالية . ويذهب الكثيرون لزيارة هذه العين تقرباً إلى الله سبحانه وتعالى ، وقد بنيت هناك عمارات وأحواض(١) . ولما سرنا من هناك بلغنا سهلاً كساه النرجس ثوباً أبيض . وذهبنا بعد ذلك إلى مدينة تسمى عرقة . وبعد مسيرة فرسخين منها بلغنا شاطىء البحر فتبعناه ، ناحية الجنوب ، حتى بلغنا مدينة طرابلس بعد مسيرة خمسة فراسخ .



---

(١) عن سفر نامه ؛ ترجمة د. يحيى الخشاب ـ دار الكتاب الجديد

# الملحق (٤)

## حماة في رحلة بنيامين التطيلي الاندلسي

## التي عاد منها الى قشتاله في الاندلس عام ٦٥٩هـ/ ١١٧٣م

## والتي تمت ما بين (٥٦١ ـ ٥٦٩)هـ

## (١١٦٥ ـ١١٧٣)م

حماة : هي بلدة «حمت» الواردة في التوراة على ضفاف نهر يبوق (وقد اخطأ بنيامين في اسمه كما ورد في حاشية شرح الكلمة في أصل الكتاب) في سفح لبنان . وقد أصابتها هزة أرضية (الزلزال العظيم سنة ٥٥٢هـ/ ١١٥٧) منذ عهد قريب اهلكت خمسة عشر الفاً من سكانها بيوم واحد . فلم يبق منهم الا سبعون نفساً . وفي هذه المدينة من العلماء الربيون علاء الكاهن والشيخ ابو غالب ومختار . وهي تبعد مسيرة يوم عن شيزر .»[1]

★

(١) «رحلة بنيامين» رحلة بنيامين بن يونه التطيلي الاندلسي (٥٦١ ـ ٥٦٩هـ) (١١٦٥ ـ١١٧٣م) ترجمة عزرا حداد طبع بغداد ١٩٤٥م ص ١٢٠ ـ ١٢١ .

ـ يلاحظ المترجم المحقق ان اسماء الواردين في حماة عرب ويستغرب ذلك.

ـ يلاحظ ان النص . ورد بعد الزلزال باربعة عشر سنة.

# الملحق (٥)

## حماة في رحلة ابن جبير الاندلسي

### ذكر مدينة حماة

مدينة شهيرة في البلدان ، قديمة الصحبة للزمان ، غير فسيحة الفناء ، ولا رائقة البناء ، أقطارها مضمومة ، وديارها مركومة ، لا يهش البصر اليها ، عند الإطلال عليها ، كأنها تكن بهجتها وتخبيها ، فتجد حسنها كامناً فيها ، حتى إذا جست خلالها ، ونقرت ظلالها ، ابصرت بشرقيها نهراً كبيراً ، تتسع في تدفقه أساليبه ، وتتناظر بشطيه دواليبه ، قد انتظمت طرتيه ، بساتين تتهدل أغصانها عليه ، وتلوح خضرتها عذاراً بصفحتيه ، ينسرب في ظلالها ، وينساب على سمت اعتدالها ، وبأحد شطيه المتصل بربضها مطاهر متنظمة بيوتاً عدة ، يخترق الماء من دواليبه جميع نواحيها ، فلا يجد المغتسل اثر اذى فيها . وعلى شطه الثاني المتصل بالمدينة السفلى جامع صغير قد فتح جداره الشرقي عليه طيقاناً تجتلي منها منظراً ترتاح النفس اليه ، وتتقيد الأبصار لديه . وبإزاء ممر النهر بجوفي المدينة قلعة حلبية الوضع ، وإن كانت دونها في الحصانة والمنع ، سُرِّب لها من هذا النهر ماء ينبع فيها ، فهي لا تخاف الصدى ، ولا تتهيب مرام العدى .

وموضوع هذه المدينة في وهدة من الأرض عريضة مستطيلة ، كأنها خندق عميق ، يرتفع لها جانبان : أحدهما كالجبل المطل ، والمدينة العليا متصلة بسفح ذلك الجانب الجبلي ، والقلعة في الجانب الآخر في ربوة منقطعة كبيرة مستديرة قد تولى نحتها الزمان ، وحصل لها بحصانتها من كل عدوّ الأمان ، والمدينين السفلى تحت القلعة متصلة بالجانب الذي يصب النهر عليه ، وكلتا المدينتين صغيرتان . وسور المدينة العليا يمتد على رأس جانبها العلي الجبلي ويطيف بها .

وللمدينة السفلى سور يحدق بها من ثلاثة جوانب ، لأن جانبها المتصل بالنهر لا يحتاج الى سور . وعلى النهر جسر كبير معقود بصم الحجارة يتصل من المدينة السفلى الى ربضها . وربضها كبير فيه الخانات والديار ، وله حوانيت يستعجل فيها المسافر حاجاته الى أن يفرغ لدخول المدينة ، وأسواق المدينة العليا احفل واجمل من أسواق المدينة السفلى ، وهي الجامعة لجميع الصناعات والتجارات ، وموضوعها حسن التنظيم ، بديع الترتيب والتقسيم ، ولها جامع أكبر من الجامع الأسفل ، ولها ثلاث مدارس ومارستان على شط النهر بإزاء الجامع الصغير .

ويخارج هذه البلدة بسيط فسيح عريض قد انتظم أكثره شجيرات الاعناب وفيه المزارع والمحارث ، وفي منظره انشراح للنفس وانفساح . والبساتين متصلة على شطي النهر ، وهو يسمى العاصي ، لان ظاهر انحداره من سفل الى علو ، ومجراه من الجنوب الى الشمال ، وهو يجتاز على قبلي حمص وبمقربة منها .

فكان مقامنا بحماة الى عشي يوم السبت المذكور ، ثم رحلنا منها واسرينا الليل كله واجتزنا في نصفه هذا النهر العاصي المذكور على جسر كبير معقود من الحجارة ، وعليه مدينة رستن التي خرّبها عمر ابن الخطاب ، رضي الله عنه . وآثارها عظيمة . ويذكر الروم القسطنطينيون أن بها أموالاً جمة مكنوزة ، والله أعلم بذلك ، فوصلنا الى مدينة حمص مع شروق الشمس من يوم الاحد الموفي عشرين لربيع الأول ، وهو أول يوليه ، فنزلنا بظاهرها بخان السبيل .



# الملحق (٦)

## حماة في

## رحلة ابن بطوطة

ثم سافرتُ منها إلى مدينة حماة إحدى أمّهات الشام الرّفيعة ومدائنها البديعة . ذات الحسن الرّائق ، والجمال الفائق ، تحفها البساتينُ والجنّاتُ ، عليها النّواعيرُ كالأفلاك الدّائرات ، يشقّها النهرُ العظيم المسمىّ بالعاصي ، ولها ربض سُمّي بالمنصورية أعظمُ من المدينة في الأسواق الحافلة والحمّامات الحسان . وبحماةَ الفواكه الكثيرة ، ومنها المشمشُ اللّوزي ، إذا كسرتَ نواته وجدتَ في داخلها لوزةً حلوة .

قال ابن جُزَيّ : وفي هذه المدينة ونهرها ونواعيرها وبساتينها يقول الأديب الرحّال . نور الدين أبو الحسن عليّ بن موسى بن سعيد العبسي العمّاري الغرناطي نسبةً لعمّار بن ياسر . رضي الله عنه :

حَمى اللهُ من شَطّي حماةَ مناظراً ... وَقفتُ عليها السّمعَ والفكْرَ والطّرْفا

تُغنّي حَمامٌ أو تميلُ خمائلٌ ... وتزهى مَباني تمنعُ الواصِفَ الوَصْفا

يلومونني أن أعصِيَ الصّوْنَ والنُّهى ... بها واطيعَ الكاسَ واللّهوَ والقَصْفا

إذا كانَ فيها النّهرُ عاصٍ فكيفَ لا ... أحاكيهِ عِصْياناً وأشْرَبُها صِرْفا[1]

وأشدو لَدى تِلْكَ النّواعيرِ شدوَها ... وأغلِبُها رَقصاً وأشبِهُها عَزْفا

تَئِنُّ وتُذري دَمْعَها ، فكأنّها ... تَهيمُ بمَرْآها وتَسْألُها العَطْفا

ولبعضهم في نواعيرها ذاهباً مذهب التورية :

وَناعورَةٍ رَقّتْ لِعِظَمِ خَطيئتي ... وَقد عاينتْ قَصْدي من المنزِل القاصي

بكَتْ رَحمةً لي ثمّ باحتْ بشَجوِها ... وَحسبكَ أنّ الخشبَ تبكي على العاصي

ولبعض المتأخّرين فيها أيضاً من التورية :

يا سادَةً سَكنوا حماةَ وَحقّكُمْ ... ما حُلتُ عَن تَقوى وَعن إخلاصِ

والطّرْفُ بَعدَكُمُ إذا ذُكِرَ اللّقا ... يَجري المَدامعَ طائعاً كالعاصي

ثم سافرتُ إلى مدينة المَعرة التي يُنسبُ إليها الشاعر أبو العلاء المعرّي وكثيرٌ سواه من الشعراء .

قال ابن جُزَيّ : وإنّما سمّيتْ بمعرّة النعمان لأنّ النعمان بن بشير الأنصاري صاحبَ رسول الله ، صلّ الله عليه وسلّم ، تُوفّي له وَلدٌ أيّام إمارته على حمص ، فدَفَنَه بالمعرّة . فعُرفت به ، وكانت قبل ذلك تسمّى ذاتَ القصور ، وقيل : إنّ النعمان جبلٌ مطلّ عليها سُمّيت به .

والمعرّة مدينة كبيرة ، حسنة ، أكثر شجرها التين والفُستق . ومنها يُحملُ إلى مصر والشام [1] .

★

(١) رحلة ابن بطوطة ص٦٦ ـ ٦٧

## الملحق (٧)

### نخبة الدهر في عجائب البر والبحر

### لشيخ الربوة: عيد الزيتونة (خميس المشايخ) في حماة[1]

وعيد الزيتونة ويسمّونه الشعانين يعنى التسبيح يعملونه يوم الاحد سابع احد في صومهم وطريقتهم فيهم ان يخرجوا بسعف النخل من الكنيسة وهو يوم ركوب المسيح الحمار ودخوله صهيون بيت المقدس يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر والناس بين يديه يسبّحون الله وعيد الفسح وهو الكبير يقولون انّ المسيح قام فيه بعد الموت والصلب بثلاثة ايّام وخلّص آدم من الجحيم واقام في الارض اربعين يوما آخرها يوم الخميس ثمّ صعد إلى السماء [وفي هذا العيد تُبطل اهل حماة مدّة ستّة ايّام اوّلها يوم الخميس الكبير وهو خميس العهد وآخرها يوم الثلاث ثالث الفسح وتنتقش فيه النساء وتلبس فيه الكساوى الفاخرة ويصبّغون فيه البيض ويعملون الاقراص والكعك المسلمون اكثر من النصارى ويرد إلى حماة اهل سائر البلاد المجاورة لها مثل حمص وشيْزرْ وسلمية وكفر طاب وابو قُبيْس ومصْياف والمعرّة وتيزين والباب وبُزاعَة والفوعة وحَلَب ويطلعون جيعاً إلى العاصي ويضربون لهم اهل حماة على شطوطه خياما ويركبون في المراكب بالمغاني ويرقصون في المراكب النساء والرجال على الشطوط حتى تتهّتك الخلائق ويمضي لهم ستّة ايّام لا يرى في الوجود مثلها وكذلك يبطلون أوّل يوم صوم النصارى ويقولون قد طلعوا يلتقون الراهب ويبطلون أيضا يوم نزول الشمس برج الحمل ولم أرَ هذا في مدينة غيرها .

وخميس الأربعين يسمّونه الصعود وهو الأربعون من الفطر ويزعمون انّ المسيح تسلّق فيه بين تلاميذه إلى السماء بعد القيامة ووعدهم بإرسال الباقليط وهو روح القدس وعيد الخمسين وهو العنصرة يعملونه بعد خمسين يوما من عيد .القيامةيقولون. انّ روح القدس حلّت في التلاميذ شبه السنة نارية وتفرّقت عليهم السنة الناس فتكلّموا بجميع الألسنة وراح كلّ واحد منهم إلى بلاد لسانه الّذي تكلّم به يدعوهم إلى دين المسيح وعيد الميلاد هو اليوم الّذي ولد فيه المسيح يقولون انّه يوم الاثنين يجعلون عشيّة الاحد ليلة الميلاد وهم يقدمون فيها المصابيح في الكنائس وولد ببيت لحم بقرية يهودا من عمل اورشليم وهي بيت المقدّس ] وفي هذه الليلة يوقد أهل حماه كبيرهم وجليلهم وحقيرهم وجندهم واميرهم من القناديل فوق الاسطحة ومن القنّب والشيح عظيما ويوقدون من البارود والنفط انواعا شتّى .

---

[1] ـ من كتابه نخبة الدهر ص ٢٨٠ ـ ٢٨١

# الملحق (٨)

## حماة في تقويم البلدان لابي الفداء

ـ حماة : من الاقليم الرابع من الشام بين حمص وقنسرين . بفتح الحاء المهملة والميم والف وهاء في الاخر

وحماة مدينة اولية ولها ذكر في كتاب الاسرائيليين ، وهي من انزه البلاد الشامية والعاصي يستدير على عاليها من شرقيها وشماليها ولها قلعة حسنة البناء مرتفعة وفي داخلها الارحية على الماء وبها نواعير على العاصي ، تسقي اكثر بساتينها ويدخل منها الماء الى كثير من دورها .

وحماة بلدة قديمة مذكورة في التوراة ، وهي وشيزر مخصوصتان بكثرة النواعير دون غيرهما من بلاد الشام .[1]

ـ بارين : من الاقليم الرابع من اعمال حماة . بفتح الباء والف وكسر الراء المهملة وسكون المثناة التحتية ونون في الآخر .

وهي بلدة صغيرة ذات قلعة قد دثرت ولها اعين وبساتين ، وهي على مرحلة من حماة وهي غربي حماة بميلة يسيرة الى الجنوب وبها آثار عمارة قديمة تسقي الرفنية لها ذكر شهير في كتب التاريخ وهي بفتح الراء المهملة والفاء ثم نون مكسورة وياء مثناة تحتية مشددة ، ثم هاء في الآخر وذكر في كتاب الاطوال ان طول الرفنية سِ تَ والعرض لَد كَ وحصن بارين هو حصن احدثه الفرنج في سنة بضع وثمانين واربع ماية ثم ملكه المسلمون وبقي مدة ثم اخربوه .[2]

المعرة : من الاقليم الرابع من اعمال حلب[3] من جند حمص . من اللباب بفتح الميم والعين المهملة ثم راء مهملة مشددة وفي الآخر هاء . قال في اللباب ومعرة النعمان مدينة من الشام وقال السمعاني في الاصل اعني كتاب الانساب والنسبة الى المعرة معرتمي قال لان ثمّ معرتين معرة النعمان ومعرة نسرين فالنسبة إلى الاولى معرتمي والى الثانية معرنسي غير أن اكثر اهل العلم لا يعرف ذلك اقول اني رأيت هذا

---

(١) تقويم البلدان لابي الفداء : ٢٦٢ ـ ٢٦٣

(٢) نفس المصدر : ٢٥٨ ـ ٢٥٩

(٣) يتحدث ابو الفداء عن المعرة بعد ان ضمت الى حلب على ما يبدو .

النقل في الانساب ولم اجده في اللباب قال في العزيزي ومعرة النعمان مدينة جليلة عامرة كثيرة الفواكه والثمار والخصب وشرب أهلها من الآبار[1]

★

(1) نفس المصدر السابق : ٢٩٤ ـ ٢٩٥

## الملحق (٩)

# حماه في صبح الأعشى للقلقشندي[١]

## النيابة الرابعة
## (نيابة حماة ، وفيها جملتان)

## الجملة الاولى
## (في ذكر أحوالها ومعاملاتها)

أما معاملاتها فعلى ما تقدّم في غيرها من الممالك الشامية من المعاملة بالدنانير والدراهم ، وصَنْجتها كصَنْجة دمَشْقَ وحَلَبَ وطَرَابُلُسَ ، تنقص عن الصَّنجة المصرية كل مائة مثقال مثقالٌ وربع ، وكل مائة درهم درهم وربع ؛ ورطلها سبعمائة وعشرون درهماً بصَنْجتها ، ومَكِيلاتها معتبرة بالمَكُوك كما في حَلَبَ وبلادها ، ومَكُّوكها مقدّر كل مكوكين وربع مكوك غرارة بالدِّمَشْقِيّ ؛ وقياس قماشها بذراع[١] وقياس أرضها بذراع العمل المعروف .

## الجملة الثانية
### (في ترتيب نيابتها ، وهي على ضربين)
## الضرب الاول
### (مابحاضرتها)

أما جيوشها فمن التُرك ومَنْ في معناهم ، وبها عدة من أمراء الطبلخاناه والعشرات والخمسات ومقدّمي الحَلْقة وأجنادها ، وليس بها مقدم ألف . وقد تقدم في الكلام على قواعد الشام المستقرة أنها

(١) صبح الأعشى في صناعة الانشا للقلقشندي ج٤ : ٢٣٦ - ٢٣٩

كانت بيد بقايا الملوك الأيوبية إلى آخر الدولة الناصرية «محمد بن قلاوون» في سلطته الاخيرة . قال في «مسالك الابصار» : إن صاحبها كان يستقل فيها بإعطاء الامرة والاقطاعات وتولية القضاة والوزراء وكُتّاب السر وسائر الوظائف بها ، وتُكتبُ المناشيرُ والتواقيعُ من جهته ولكنه لا يُمضِي أمراً كبيراً في مثل إعطاء إمرة أو وظيفة كبيرة حتّى يشاور صاحب مصر ، وهو لا يجيبه إلا بأن الرأي ما تراه ومن هذا ومثله ، وربما كتب له مرسومٌ شريفٌ بالتصرف في مملكته . قال في «مسالك الأبصار» : ومع ذلك فصاحب مصر متصرف في ولاية صاحبها وعزله ، من شاء ولاّه ومن شاء عزله ، ولم يزل الأمر على ذلك إلى ان خُلِع الأفضلُ[٢] محمد بن المؤيد المتقدّم ذكره من سلطنتها ، بعد موت السلطان الملك الناصر وملك ابنه أبي بكر ؛ ونائبها من أكابر الامراء المقدّمين ، ولكنه في الرتبة دون نائب طَرَابُلسَ وإن كان مساوياً له في المكاتبة من الأبواب السلطانية ، ويظهر ذلك في كتابة المطلقات الكبار حيث يذكر نائب طَرَابُلسَ قبله .

وبها من وظائف أرباب السيوف الحجوبية ؛ وبها حاجبان : الكبير منهما طبلخاناه والثاني عشرة ؛ والمهمندارية ، وبها اثنان وهما جنديان ؛ وشدّ مراكز البريد ، وبه جنديّ ؛ وأميراخورية البريد ، ومتوليها جندي ، وولايةُ المدينة ، وواليها جنديّ ، ونقابةُ العساكر ، وبها اثنان وهما جنديان احدهما أكبر من الآخر . وجميع أرباب الوظائف يوليهم النائب بها بتواقيع كريمة ، وليس بها قلعة لها نائب .

وبها من الوظائف الدينية من ارباب الاقلام أربعة قضاة من المذاهب الأربعة ، وولايتهم من الأبواب السلطانية بتواقيع شريفة ، وقاضي عسكر حنفي ، وليس بها قضاة عسكر من المذاهب الثلاثة الأخر ولا مفتو دار عدل ، وبها وكيل بيت المال ، وولايته من الأبواب السلطانية بتوقيع شريف ووكالة شرعية ؛ ومحتسب بولاية عن النائب بتوقيع كريم .

وبها من الوظائف الديوانية من أرباب الأقلام وكاتبُ سر ، ويعبّر عنه في ديوان الانشاء بصاحب ديوان المكاتبات بحماة المحروسة ، وولايته من الابواب السلطانية بتوقيع شريف ، وله اتباع من كُتّاب الدست وكُتّاب الدّرج وولايتهم عن النائب بتواقيع كريمة ؛ وبها ناظر المملكة القائم مقام الوزير ، وولايته من الابواب السلطانية بتواقيع كريمة ؛ وبها ناظر المملكة القائم مقام الوزير ، وولايته من الأبواب السلطانية بتوقيع شريف ، وله اتباع من كُتّاب وشهود ، وولايتهم عن النائب بتواقيع كريمة ، إلى غير ذلك من وظائف صغار يوليها النائب بتواقيع كريمة .

وترتيب المَوْكب بها أن النائب بها يركب من دار النيابة في يومي الخميس والاثنين وصحبته العسكر من الامراء وأجناد الحَلْقة ، ويخرج إلى خارج المدينة من قبلها ويسير في المَوْكِب إلى ضيعة تسمى بقرين على القرب من حماة ، ثم يعود في مَوْكِبه حتى يقف بسُوق الخيل بمكان خارج المدينة يعرف بالمَوْقف وينادي بينهم على الخيول ، وربما نودي على بعض العقارات ، ثم تصيح الجاويشية ، وينصرف عن ذلك المكان ويدخل المدينة ، ويأتي دار النيابة ويدخل أوّل العسكر من داخل باب يعرف بباب العُسْرة[١] ، ثم يترجل الناس على الترتيب على قد منازلهم حتّى لا يبقى راكب سوى النائب بمفرده ،

ولا يزال راكباً حتى يترجل بشُبّاك بدار النيابة معدّ للحكم فيجلس فيه ويجلس عنده داخل الشُّباك القضاةَ الأربعة : الشافعي والحنفي عن يمينه ، والمالكي عن يساره والحنبليّ يليه ، ويجلس الأمراء على قدر منازلهم ، وكاتب السر وناظر الجيش أمام النائب خارج الشُّباك ، ويقف هناك الحاجبان والمهمندار ونقيب النقباء ، وتُرفَع القصص فيقرؤ ها كاتب السر عليه ويرسمُ فيها بما يراه ، ثم يقوم من مجلسه ذلك وينصرف القضاة ويدخل إلى قُبّة معدّة لجلوسه ومعه كاتب السر وناظر الجيش والأمراءُ فيفصل بقية أموره مما يتعلق بالجيش وغيره ، ثم يمد السِّماطُ بعد ذلك فيأكلون وينصرفون .



# الملحق رقم ١٠

الملك المنصور يسأل السلطان الملك المنصور قلاون في تعيين ابنه بعد وفاته فيجيبه بالا يجاب قائلاً :

«من السلطان بعد البسملة المملوك قلاوون أعز الله أنصار المقام العالي المولوي السلطاني الملكي المنصوري الناصري ولا عدمه الاسلام ولا فقدته السيوف والاقلام وحماه من أذى داء وعود عواد والمام الام المملوك يجهد الخدمة التي كان يود تجديدها شفاها ويصف ما عنده من الالم لما الم بمزاجه الكريم حتى انه لم يكد يفتح بالحديث فاها ولما وقفنا على الكتاب المولوي المتضمن بمرض الجد المحروس وما انتهى اليه الحال كادت القلوب تنشق والنفوس تذوب حزناً والرجاء من الله ان يتداركه بلطفه وأن يمن بعافيته التي وقع في مسألتها يديه وبسط كفيه وهو يرجو من كرم الله معاجلة الشفاء ومداركة العافية المورودة بعد الكدر مورد الصفاء وان الله يفسح في أجل المولى ويهبه العمر الطويل وأما الاشارة الكريمة الى ما ذكره من حقوق يوجبها الاقرار وعهود أمنت بدورها من السرار ونحن بحمد الله فعندنا تلك العهود ملحوظة وتلك المودات محفوظة فالمولى يعيش قرير العين فما تم الا ما يسره من اقامة ولده مقامه لا يحول ولا يزول ولا يرى على ذلك ذلة ولا ذهول ويكون المولى طيب النفس مستديم الانس بصدق العهد القديم وبكل ما يؤثر من خير مقيم»[1]



(١) المختصر في اخبار البشر ج٤ ص١٨ ـ١٩

# الملحق رقم (١١)

## كتاب تعيين الملك المظفر على حماة

## بعد وفاة ابيه الملك المنصور

## والتعين من السلطان الملك المنصور قلاوون

ونسخة الكتاب الواصل من السلطان بعد البسملة المملوك قلاوون اعز الله نصره المقام العالي المولوي السلطاني الملكي المظفري التقوي ونزع عنه الباس الباس والبسه حلل السعد المجلوة على أعين الناس وهو يخدم خدمة بولاء قد تبجست عيوبه وتاسست مبانيه وتيابست ظنونه وحلت رهونة وحلت ديونه وأثمرت غصونه وزهت أفنانه وفنونه ومنها وقد سيرنا المجلس السامي جمال الدين اقوش الموصلي الحاجب واصحبناه من الملبوس الشريف ما يغير به لباس الحزن وينجلي في مطلعه ضياء وجه الحسن وينجلي بلملك غيوم تلك الغموم وأرسلنا ايضا صحبته ما يلبسه هو وذووه كما يبدو البدر بين النجوم وآخر الكتاب وكتب في عشرين شوال سنة ثلاث وثمانين وستمائة[١]



(١) المختصر في اخبار البشر ج٤ ص٢٠

# الملحق رقم (١٢)

## (ذكر ركوب الملك المظفر صاحب حماة بشعار السلطنة)

في هذه السنة في صفر كان ركوب السلطان الملك المظفر محمود صاحب حماة بشعار السلطنة بدمشق المحروسة وصورة ما جرى في ذلك ان السلطان الملك المنصور قلاوون وصل في هذه السنة في أواخر المحرم بعساكره المتوافرة الى دمشق المحروسة وسار الملك المظفر صاحب حماة وعمه الملك الافضل ووصلا اليه الى دمشق فاكرمهما السلطان اكراماً كثيرا وأرسل الى الملك المظفر في اليوم الثالث من وصوله التقليد بسلطنة حماة والمعرة وبارين والتشريف وهو أطلس أحمر فوقاني بطراز زركش وسنجاب ودايرة قندس وقباء أطلس أصفر تحتاني وشاش تساعي وكلوته زركش وحياصة ذهب وسيف محلى بالذهب وتلكش وعنبرينا وثوب بطرز مذهبة ولباس وارسل شعار السلطنة وهو سنجق بعصائب سلطانية وفرس بسرج ذهب ورقبة وكبوش وارسل الغاشية السلطانية فلبس الملك المظفر ذلك وركب بشعار السلطنة وحضرت أمراء السلطان ومقدمو العسكر وساروا معه من الموضع الذي كان فيه وهو داره المعروفة بالحافظية داخل باب الفراديس بدمشق المحروسة الى أن وصل الى قلعة دمشق ومشت الامراء في خدمته ودخل الملك المظفر الى عند السلطان فاكرمه وأجلسه الى جانبه على الطراحة وطيب خاطره وقال له أنت ولدي وأعز من الملك الصالح عندي فتوجه الى بلادك وتأهب لهذه الغزاة المباركة فأنتم من بيت مبارك ما حضرتم في مكان الا وكان النصر معكم فعاد الملك المظفر وعمه الملك الافضل الى حماة وعملا اشغالهما وكذلك باقي العسكر الحموي وتأهبوا للمسير الى خدمة السلطان ثانياً[1]



(١) المختصر في اخبار البشر ج٤ ص٢٠

خارطة مملكة حماة وشمال بلاد الشام

قيصرية
ملاطية
ديار بكر
(آمد)
مرعش
الرها
حران
عنتاب
تل حمدون
تل باشر
حلب
الرقة
اللاذقية
حماة
حمص
تدمر
بعلبك
بيروت
دمشق
صيدا
عكا
بصرى
عمان
القدس
الكرك
الشوبك
قيسارية
ايله

# اسماء المصادر والمراجع العربية
## المخطوطة والمطبوعة
### اولاً : المصادر


١ ـ ابن ابي اصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الاطباء
دار مكتبة الحياة ـ بيروت ـ ١٩٦٥
ـ ابن ابي حصينة : الديوان بشرح ابي العلاء المعري تحقيق محمد اسعد طلس
مطبوعات المجمع العلمي العربي ـ دمشق ١٩٥٦
٢ ـ ابن ابي الدم : القاضي شهاب الدين ابي اسحاق ابراهيم بن عبد الله المعروف بابن ابي الدم الحموي :
ـ كتاب ادب القضاء وهو الدرر المنظومات في الأقضية والحكومات تحقيق محمد مصطفى الزحيلي
طبعة دار الفكر ـ دمشق ـ ١٩٨٢
٣ ـ ـ تاريخ ابن ابي الدم
مخطوطة مكتبة البودليان : March, 60
ابن الأثير الجزري : محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني
٤ ـ ـ الكامل في التاريخ
تحقيق عبد القادر احمد طليمات
طبعة دار الكتب الحديثة ـ القاهرة وبغداد ـ ١٩٦٣
٥ ـ ابن بطوطة : ـ رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار دار صادر
ـ دار بيروت ـ ١٩٦٤
ابن تعزي بردي : جمال الدين ابي المحاسن يوسف بن تعزي بردي الاتابكي
٦ ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة .
نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب في القاهرة
٧ ـ ابن جبير الأندلسي ـ رحلة ابن جبير
دار التراث ـ بيروت
ابن الجوزي سبط بن الجوزي
٨ ـ ـ مرآة الزمان في تاريخ الأعيان
طبعة مكتبة المثنى عام ١٩٥٢ المصورة عن مخطوطة احمد الثالث

٩ ـ ابن حوقل الأندلسي ـ صورة الأرض
طبعة دار مكتبة الحياة ـ بيروت
ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد بن خلدون
١٠ ـ تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر . . .
طبعة بيروت ـ ١٩٧١ المصورة
١١ ـ ابن خياط ـ تاريخ خليفة بن خياط برواية بقي بن مخلد
تحقيق د . سهيل زكار
طبعة وزارة الثقافة بدمشق ـ ١٩٦٨
ابن رسته : ابو علي احمد بن عمر بن رسته
١٢ ـ الاعلاق النفيسة
طبعة دار المثنى ببغداد المصورة عن طبعة ليدن عام ١٨٩١
١٣ ـ ابن شداد (عز الدين) : ـ الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة
الاجزاء الثلاثة الأولى بتحقيق سامي الدهان
طبع المعهد الفرنسي بدمشق
١٤ ـ ابن شداد (بهاء الدين) : ـ النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية او سيرة صلاح الدين
تحقيق د . جمال الدين الشيال
الطبعة الأولى ـ ١٩٦٤
ابن شيخ الربوة : شمس الدين محمد بن ابي طالب الانصاري الدمشقي
١٥ ـ نخبة الدهر في عجائب البر والبحر
طبعة مكتبة المثنى ـ بغداد ـ المصورة .
ابن طباطبا : محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقا
١٦ ـ الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية
طبعة دار بيروت ـ ١٩٦٦
ابن عبد الظاهر : محي الدين بن عبد الظاهر
١٧ ـ الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر
تحقيق عبد العزيز الخويطر
طبعة الرياض ـ ١٩٧٦
ابن العديم : كمال الدين عمر بن احمد
١٨ ـ بغية الطلب في تاريخ حلب ـ مخطوطة .
مجلدتي ايا صوفيا برقم ٣٠٣٦
٨ مجلدات في احمد الثالث برقم ٢٩٢٥
مجلد في فيض الله برقم ١٤٠٤ (استانبول)

١٩ - ـ زبدة الحلب في تاريخ حلب
تحقيق سامي الدهان
طبعة المعهد الفرنسي بدمشق - ١٩٦٨
ابن الفقيه ابو بكر احمد بن ابراهيم الهمداني المعروف بابن الفقيه
٢٠ - ـ مختصر كتاب البلدان
مطبعة دار المثنى المصورة عن طبعة ليدن سنة ١٣٠٢ هـ
ابن قاضي شهبه : بدر الدين ابن قاضي شهبة
٢١ - ـ الكواكب الدرية في السيرة النورية
تحقيق د . محمود زايد
دار الكتاب الجديد - بيروت ١٩٧١
ابن القلانسي : ابو يعلى حمزة بن القلانسي
٢٢ - ـ تاريخ ابن القلانسي المعروف خطأ باسم ذيل تاريخ دمشق
طبعة مكتبة المثنى ببغداد المصورة عن طبعة الآباء اليسوعيين في بيروت ١٩٠٨
٢٣ ـ ابن كثير الدمشقي : ـ البداية والنهاية
طبعة مكتبة المعارف ـ بيروت (الثانية) ١٩٧٧
٢٤ ـ ابن مماتي (الأسعد) : ـ قوانين الدواوين
تحقيق عزيز سوريال عطية
مطبعة مصر بالاسكندرية ـ ١٩٤٣
٢٥ ـ ابن منقذ (اسامة) : كتاب الاعتبار
تحقيق فيليب حتي
طبعة الدار المتحدة للنشر ـ ١٩٨١
٢٦ ـ ابن نظيف الحموي (محمد بن علي) : ـ التاريخ المنصوري
تحقيق د . ابو العيد دوده
منشورات مجمع اللغة العربية بدمشق ـ ١٩٨٢
٢٧ ـ ابن واصل الحموي : ـ مفرج الكروب في اخبار بني ايوب
المجلد الأول حققه جمال الدين الشيال
ـ القاهرة ـ ١٩٥٣ ،
٢٨ ـ ابن الوردي (زين الدين عمر) : ـ تاريخ ابن الوردي ذيل المختصر في اخبار البشر
باشراف احمد رفعت البدراوي
دارة المعرفة ـ بيروت ـ .
٢٩ ـ ابو شامة (المقدسي الدمشقي) : ـ ذيل الروضتين : تراجم القرنين السادس والسابع
طبعة دار الجيل ـ بيروت ـ ١٩٧٤ .

٣٠ ـ أبو الفداء (عماد الدين اسماعيل) : ـ المختصر في اخبار البشر
الطبعة القديمة بدون تاريخ او مكان الطبع

٣١ ـ ـ تقويم البلدان
طبعة دار المثنى ببغداد المصورة عن طبعة باريز عام ١٩٤٠

٣٢ ـ الاصطخري (ابراهيم بن محمد) : ـ المسالك والممالك
طبعة القاهرة ١٩٦١

٣٣ ـ اصفهاني (العماد الكاتب) : ـ خريدة القصر وجريدة العصر : قسم شعراء الشام ج٣
تحقيق د . شكري فيصل

٣٤ ـ ـ الفتح القسي في الفتح القدسي
طبعة القاهرة .

٣٥ ـ البشاري (المقدسي) : ـ احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم
طبعة دار المثنى ببغداد المصورة عن طبعة ليدن ـ ١٩٠٦

٣٦ ـ البغدادي (عبد اللطيف) : ـ الافادة والاعتبار في الامور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر
تحقيق احمد غسان سبانو
دار قتيبة ـ دمشق ـ ١٩٨٣

٣٧ ـ البكري (عبد الله بن عبد العزيز) : ـ معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع
تحقيق مصطفى السقا
طبعة عالم الكتب ـ بيروت

٣٨ ـ البنداري (الفتح بن علي) : ـ سنا البرق الشامي وهو مختصر البرق الشامي للعماد الاصبهاني
تحقيق د. رمضان ششن
طبعة دار الكتاب الجديد . لبنان

٣٩ ـ بنيامين (التطيلي) : ـ رحلة بنيامين التطيلي بن يونه الاندلسي :
ترجمة عزرا حداد
طبعة بغداد ـ ١٩٤٥

٤٠ ـ حاجي خليفة (مصطفى بن عبد الله) : ـ كشف الظنون في اسامي الكتب والفنون
طبعة مكتبة المثنى ـ بغداد وبيروت (مصورة)

٤١ ـ الحريري (احمد بن علي) : ـ الاعلام والتبيين في خروج الفرنج الملاعين على ديار المسلمين
تحقيق د. سهيل زكار
مكتبة دار الملاح ـ دمشق ـ ١٩٨١

٤٢ ـ الحميري (محمد بن عبد المنعم) : ـ الروض المعطار في خبر الاقطار
تحقيق ـ د. احسان عباس
مكتبة لبنان ـ ١٩٧٥

٤٣ ـ الحنبلي (أحمد بن ابراهيم) : ـ شفاء القلوب في مناقب بني ايوب
تحقيق ناظم رشيد
طبعة وزارة الثقافة ببغداد ـ ١٩٧٨
٤٤ ـ الذهبي (ابو عبد الله شمس الدين محمد) : ـ تذكرة الحفاظ
الطبعة الرابعة ـ بيروت
٤٥ ـ الزبيدي (المرتضى) : ـ ترويح القلوب في ذكر الملوك بني ايوب
تحقيق د. صلاح المنجد
مطبوعات مجمع اللغة العربية ـ دمشق ـ ١٩٧٨
٤٦ ـ شاهنشاه (تاج الدين بن ايوب) : ـ منتخبات من كتاب التاريخ
الطبعة الاولى
٤٧ ـ الطبري (محمد بن جرير) : ـ تاريخ الطبري المسمى تاريخ الرسل والملوك .
طبعة دار المعارف بمصر ـ الطبعة الثانية .
٤٨ ـ العظيمي (محمد بن علي) : ـ تاريخ العظيمي (مخطوطة)
مخطوطة مكتبة بيازيد رقم ٣٩٨
٤٩ ـ عمر (محمد بن تقي الدين) : ـ مضمار الحقائق وسر الخلائق
تحقيق د. حسن حبشي
طبعة القاهرة ـ عالم الكتب
٥٠ ـ القفطي (جمال الدين علي بن يوسف) : ـ إنباه الرواة على أنباه النحاة
تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم
مطبعة دار الكتب المصرية ـ ١٩٥٢
٥١ ـ القلقشندي (احمد بن علي) : ـ صبح الاعشى في صناعة الانشا
نسخة مصورة عن الطبعة الاميرية
مطبعة وزارة الثقافة ـ مصر
٥٢ ـ المقدسي (عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم) : ـ الروضتين في أخبار الدولتين
طبعة دار الجيل المصورة ـ بيروت
٥٣ ـ المقريزي (تقي الدين احمد بن علي بن عبد القادر بن محمد) : ـ الخطط المقريزية المسماة المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار
طبعة دار صادر (المصورة) بيروت
٥٤ ـ ـ السلوك لمعرفة دول الملوك
ج١ و ٢ تحقيق محمد مصطفى زياده

ج٣ و٤ تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور
طبعة القاهرة ١٩٣٩/ ١٩٧١
٥٥ ـ النويري (أحمد بن عبد الوهاب) : ـ نهاية الارب في فنون الادب
طبعة وزارة الثقافة بمصر (مصورة عن طبعة دار الكتب)
٥٦ ـ ياقوت الحموي : ـ معجم البلدان
طبعة داو صادر ـ بيروت
٥٧ ـ ـ المشترك وضعاً والمفترق صقعاً
طبعة دار المثنى بغداد عن طبعة جوتنجن (١٨٤٦) .
٥٨ ـ اليونيني (موسى بن محمد) : ـ ذيل مرآة الزمان
طبعة حيدر أباد ـ بالهند ـ ١٩٦٠

★

## ثانياً - المراجع العربية والمترجمة


١ - اسعد (الخوري عيسى) : - تاريخ حمص
الطبعة الاولى - ١٩٤٠

٢ - اشقر (أسد) : - تاريخ سوريا
الطبعة الاولى - ١٩٧٨

٣ - بارودي (انور) : - سفر جغرافية حماه
مطبعة ابي الفداء - حماة - ١٩٤٨

٤ - باشميل (محمد احمد) : - العرب في الشام قبل الاسلام
طبعة دار الفكر - بيروت - ١٩٧٣

٥ - بروكلمان (كارل) : - تاريخ الادب العربي
ترجمة عبد الحليم النجار
طبعة دار المعارف بمصر - ١٩٧٧

٦ - بيطار (د. امينه) : - تاريخ العصر الايوبي
طبعة جامعة دمشق - ١٩٨٢

٧ - بيلي (د. احمد) : - حياة صلاح الدين
الطبعة الثانية - القاهرة - ١٩٢٦

٨ - تامر (عارف) : - سنان وصلاح الدين
الطبعة الاولى

٩ - التميمي (رفيق) : - الحروب الصليبية
مطبعة اللواء - القدس ١٩٤٥

١٠ - جب (هاملتون) : - دراسات في حضارة الاسلام
دار العلم للملايين - بيروت

١١ - حاطوم (وعاقل وطربين ومدني) : - المدخل إلى التاريخ
مطبوعات جامعة دمشق - ١٩٦٥

١٢ - حبشي (حسن) : - نور الدين والصليبيون
دار الفكر العربي - القاهرة - ١٩٤٨

٢٨ - زكريا (أحمد وصفي) : - جولة اثرية في بعض البلاد الشامية
الطبعة الاولى - دمشق - ١٩٣٤

٢٩ - زيتون (د. عادل) : - تاريخ المماليك
طبعة جامعة دمشق - ١٩٨٣

٣٠ - - العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى
دار دمشق - ١٩٨٠

٣١ - سلام (محمد زغلول) : - ضياء الدين بن الاثير - سلسلة النوابغ (٣٦)
دار المعارف بمصر - القاهرة

٣٢ - الادب في العصر المملوكي
دار المعارف بمصر - القاهرة

٣٣ - سليم (محمود رزق) : - تقي الدين بن حجة - سلسلة النوابغ (٢٠)
دار المعارف بمصر - القاهرة

٣٤ - سميل (ر. س) : - الحروب الصليبية
ترجمة سامي هاشم
المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت - ١٩٨٢

٣٥ - شلبي (د. عبد الفتاح) : - البهاء زهير - سلسلة النوابغ
دار المعارف بمصر - القاهرة

٣٦ - شمعون (المطران غريغوريوس صليبا) : - الممالك الأرامية
طبعة حلب - ١٩٨١

٣٧ - الصابوني (الشيخ أحمد) : - تاريخ حماه
الطبعة الثانية - حماه .

٣٨ - عاشور (د. سعيد عبد الفتاح) : - مصر والشام في عصر الايوبيين
طبعة بيروت - ١٩٧٢

٣٩ - عاشور (فايد) : - العلاقات بين البندقية والشرق الادنى الاسلامي في العصر الأيوبي
طبعة دار المعارف بمصر - القاهرة - ١٩٨٠

٤٠ - علبي (أكرم حسن) : - دمشق بين عصر المماليك والعثمانيين
الشركة المتحدة للتوزيع - دمشق - ١٩٨٢

٤١ - غالب (مصطفى) : - اعلام الاسماعيلية
دار اليقظة العربية - بيروت - ١٩٦٤

٤٢ تاريخ الدعوة الاسماعيلية
طبعة دار الاندلس - ١٩٧٩

١٣ - الحرب الصليبية الاولى
دار الفكر العربي - القاهرة
١٤ - حتي (فيليب) : - تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين
ترجمة د. جورج حداد ود. عبد الكريم رافق
دار الثقافة - بيروت - ١٩٥٨
١٥ - - العرب تاريخ موجز
دار العلم للملايين - بيروت -
١٦ - الحصني (محمد اديب آل تقي الدين) : - كتاب منتخبات التواريخ لدمشق
منشورات دار الآفاق الجديدة - بيروت ١٩٧٩
١٧ - خليل (د. عماد الدين) : - عماد الدين زنكي
الدار العلمية - بيروت - ١٩٧١
١٨ - دباغ (مصطفى مراد) : - القبائل العربية وسلائلها في بلادنا فلسطين
دار الطليعة - بيروت - ١٩٧٩
١٩ - دبس (المطران يوسف) : - من تاريخ سوريا الدنيوي والديني
طبعة مصورة - بيروت
٢٠ - دهمان (محمد احمد) : - ولاة دمشق في عصر المماليك
دار الفكر - دمشق - ١٩٨١
٢١ - في رحاب دمشق
دار الفكر - ١٩٨٢
٢٢ - ربيع (محمد حسنين) : - النظم المالية في مصر زمن الايوبيين
مطبعة جامعة القاهرة - ١٩٦٤
٢٣ - رزوق (د. معروف عزيز نايف) : - تاريخ شيزر
منشورات وزارة الثقافة - دمشق - ١٩٨٢
٢٤ - ريحاوي (عبد القادر) : - العمارة العربية الاسلامية وخصائصها واثارها في سورية
منشورات وزارة الثقافة - دمشق - ١٩٧٩
٢٥ - زكار (د. سهيل) : - مدخل لتاريخ الحروب الصليبية
دار الامانة - مؤسسة الرسالة الطبعة الاولى - ١٩٧٢
٢٦ - حطين : مسيرة التحرير من دمشق الى القدس
دار حسان - ١٩٨٤
٢٧ - مختارات من كتابات المؤرخين العرب
طبعة دار الفكر - دمشق

## ثالثاً ـ دوائر المعارف


١ ـ دائرة المعارف الاسلامية : ـ النسخة العربية المترجمة
ـ طبعة دار المعرفة (مصورة) بيروت ـ لبنان

٢ ـ دائرة معارف البستاني : ـ بطرس البستاني ـ مادة حماة
دار المعرفة ـ بيروت (مصورة)

٣ ـ قاموس الكتاب المقدس : ـ الطبعة العربية باشراف بطرس عبد الملك وغيره
ـ الطبعة الثانية ـ بيروت ـ ١٩٧١


## مراجع اخرى


٤ ـ الدليل المجاني للمدن والقرى والمزارع في القطر العربي السوري لعام ١٩٧٣
المكتب المركزي للاحصاء طبعة عام ١٩٧٤

٥ ـ جدول المسافات للقطر العربي السوري
الصادر عن ادارة المساحة العسكرية ـ دمشق ـ ١٩٧٩


★

٤٣ ـ فريحة (انيس) : ـ معجم اسماء المدن والقرى اللبنانية
مكتبة لبنان ـ ١٩٧٢
٤٤ ـ قدامة (أحمد) : ـ معالم واعلام في بلاد العرب : قسم القطر العربي السوري ج١
طبعة دمشق
٤٥ ـ كراتشكوفسكي (اغناطيوس) ـ تاريخ الادب الجغرافي العربي
ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم
طبعة جامعة الدول العربية ـ القاهرة ـ ١٩٥٧
٤٦ ـ كرد علي (محمد) : خطط الشام
دار العلم للملايين ـ بيروت ـ ١٩٧٠
٤٧ ـ كرملي (الاب انستاس ماري) : ـ النقود العربية وعلم النميات
طبعة بيروت
٤٨ ـ لامارتين (الاب لامارتين اليسوعي) : ـ تاريخ لبنان
الطبعة الاولى ـ المطبعة اليسوعية ـ بيروت
٤٩ ـ لباد (ميشيل) : ـ الاسماعيليون والدولة الاسماعيلية بمصياف
الطبعة الاولى ـ ١٩٦٢
٥٠ ـ مصطفى (شاكر) : ـ التاريخ العربي والمؤرخون
دار العلم للملايين ـ بيروت ـ ١٩٧٨
٥١ ـ موسى باشا (د. عمر) : ـ محاضرات في الادب المملوكي والعثماني
مطبوعات جامعة دمشق .
٥٢ ـ مؤنس (د. حسين) : نور الدين محمود
طبعة القاهرة ـ ١٩٥٩
٥٣ ـ نولدكه (تيودور) : ـ امراء غسان
ترجمة د. بندلي خوري ـ د. قسطنطين زريق
المطبعة الكاثوليكية ـ بيروت ـ ١٩٣٣

★

## خامساً - المجلات والحوليات

١ - مجلة الرسالة : اعداد السنة الثامنة - بحث النقابات في الاسلام (برنارد لويس) .

٢ - مجلة المشرق : العدد ٣٤ : ١٩٦١

٣ - مجلة الحوليات الاثرية العربية السورية الصادرة عن المديرية العامة للاثار والمتاحف بدمشق العدد ١٦ عام ١٩٦٦

٤ - مجلة الاكليل اليمنية : العدد الاول - السنة الثانية - ١٩٨٢ مقال احمد غسان سبانوص ١٧٠ القبائل العربية في سوريا قبل الفتح

٥ - مجلة العمران : الصادرة عن وزارة الشؤون البلدية والقروية - دمشق العدد ٢٩ - ٣٠ حزيران ١٩٦٩ عدد خاص بحماة

★

## رابعاً ـ كتب المهرجانات والمؤتمرات

١ ـ **مهرجان ابي الفداء** : في ذكرى مرور سبعمائة عام على ولادته
صدر عن المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب والعلوم الاجتماعية
دمشق ـ ١٩٧٤

٢ ـ **المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام** : المنعقد في الجامعة الاردنية ـ ١٩٧٤
طبع الدار المتحدة للنشر ـ بيروت

٣ ـ **ابن عساكر** : في ذكرى مرور تسعمائة سنة على ولادته
تنظيم وزارة التعليم العالي ـ دمشق ـ ١٩٧٩

★

# سادساً ـ المصادر والمراجع الاجنبية

I - Asocial and Economic History of The Near East in The Middle Ages

E. Ashtor

Collins - London - 1976

II - History Of The Crusade:

Kenneth M. Setton

Univeesity Of Pennsylvania Press - 1958

III - Joinville and Villehardouin Chronicles Of The Crusades

Penguin Classics - U.K - 1963

IV - Saladin

Stanley Lane - Pool

Khayats Beirqt - 1964

V - The Emirat Of Alepo

Suhayl Zakkar

Dar AL-Amanah

VI - Willam Of Tyre

★

# الفهرس